



مع تحياتي : علي مولا

نيقولاى غونغول

الأنفس الميتة

رواية

ترجمة د. عبد الرحيم بدر
راجع الترجمة واكمل الناقص منها
غالب طعمة فرمان



دار «رادوعا»،
موسكو

غوغول اللفز

حين أصدر غوغول المجلد الاول من «الانفس الميتة» ، وهي اروع عمل له ، في عام ١٨٤٢ كتب الناقد الروسي الشهير فيساريون بيلينسكي : «دلونا ، اين تلك الروح التاريخية العالمية في اعمال غوغول ، اين ذلك المحتوى المشترك بقدر واحد بالنسبة لجميع الشعوب والقرون ؟ دلونا ماذا سيحصل لاي عمل من اعمال غوغول اذا ما ترجم الى اللغة الفرنسية او الالمانية او الانجليزية ؟»

كان بيلينسكي معجباً متحمساً بغوغول ، وجد فيه كاتباً روسياً عظيماً الشأن ، ومع ذلك فحتى هو كان يعتبر اهمية مبدع «الانفس الميتة» ، و«المفتش العام» و«المعطف» مقتصرة على روسيا وحدها .

ونحن اليوم واثقون من أن الامر ليس كذلك . فقد ترجم غوغول ويترجم الى اللغة الفرنسية والالمانية والانجليزية واليابانية والى الكثير من لغات العالم الاخرى . وتنتشر المقالات والكتب المكرسة لغوغول في جميع انحاء المعمورة . وتقام مناقشات ولقاءات علمية حوله .

نموذج من المقتبة

Николай Гоголь
МЕРТВЫЕ ДУШИ
Поэма

На арабском языке

تقديم المقتبة

كتاب

نموذج من المقتبة

نموذج من المقتبة

نموذج من المقتبة

① حقوق الترجمة الى اللغة العربية والمقدمة والملاحظات محفوظة لدار وراذواغ ١٩٨٩ .

طبع في الاتحاد السوفييتي

Н. В. Гоголь. Мертвые души. Поэма.
На арабском языке.

Редактор Л. Ф. Чеботкина.

Перевод осуществлен по изданию:

Н. В. Гоголь. Сочинения в 2-х томах.

Москва, «Художественная литература», 1973, т. 2.

نموذج من المقتبة

نموذج من المقتبة

ولعل صفة «اللفزى» أكثر ما يتردد من بين الصفات التى تطلق الآن عن إبداع هذا الكاتب . فكتيراً ما يقال : «غوغول اللفز» .

وقد تجلّت صفة «اللفزى» ، بالطبع ، فى فرداة المآل الذى صار اليه غوغول بعد الوفاة ، وفى اطراد تنامي صيته العالمى . ولكن ليس هذا وحسب . فإن كلمة «اللفزى» تتضمن انكاساً لحياة الكاتب ، وصورة لخصائص طبعه السايكولوجى والروحى ، وطبعاً لخصائص طريقته فى الإبداع أيضاً .

نحن لا نستطيع ، طبعاً ، أن نحدد كم ستكتشف الملاحظات العالية من هذه الخصائص ، وإلى أى حد من الكمال . ولكننا مستحاول الإشارة إليها على الأقل ، وتقديم المعلومات الأكثر ضرورة عن حياة الكاتب وإبداعه .

• • •

ولد نيقولاى فاسيليفيتش غوغول فى الاول من نيسان (فى ٣٠ آذار حسب التقويم القديم) عام ١٨٠٦ فى الجزء الجنوبى الغربى من الامبراطورية الروسية ، فى أوكرانيا ، فى منطقة «فيليكى سوروتشينيتسى» . وكان والده من ملاكى الاراضى المتوسطين . وكان لهما حوالي ٤٠٠ قن من الفلاحين وضيعة صغيرة باسم «فاسيليفكا» (لها اسم آخر هو ياتروفشينا) تقع غير بعيد عن فيليكى سوروتشينيتسى فى نفس ولاية بولتافا . وقد قضى كاتبنا المقبل أعوام طفولته فى فاسيليفكا .

كان الاقليم غنياً بالاساطير والنوادر والحكايات الجبية التى حفزت مقيلة الصبى الحساس العصبى . عندما بلغ غوغول الثانية عشرة ارسل الى مدرسة العلوم الرفيعة ، وهى مؤسسة تعليمية عالية فتحت حديثاً فى مدينة نيجين الصغيرة فى ولاية تشيرنيفوف المجاورة . وقضى «نيكوشا» الصغير هناك سبعة أعوام . ولم يؤخذ الى بيت والديه فى فاسيليفكا الا فى العطل المدرسية ، وما عدا ذلك أبقى بين جدران المدرسة فى وسط من الاولاد متنوع الطوائف جامع ، حاد المزاج .

لم تكن علاقة غوغول بزملائه بسيطة . فكانوا يسمونه بالفريب واللفز فى هذه الأمانة أيضاً . وقد كتب غوغول الى أمه قبل بضعة أشهر من تخرجه من المدرسة : «أنا اعتبر لفزاً لدى الجميع ، ولا أحد حلفتى إطلاقاً» . وأضاف : «ولك أن تعتبرنى ما تشائين» . فقط أن تصدقى بأن العواطف النبيلة تملأ نفسى دائماً ، وأننى لم أحط من قدر نفسى ، وأننى طوال حياتى كنت الى جانب الخير» .

فى سن مبكرة جداً ، منذ السادسة عشرة من عمره ، أخذ يعد نفسه لنشاط اجتماعى . ولم تكن لغوغول بعد فكرة عن الاشتغال فى الكتابة ، رغم أنه بدأ يكتب وهو فى المدرسة . بل وبعض المعلومات تشير الى أنه بدأ الكتابة فى سن أبكر ، وهو ما يزال صبياً صغيراً جداً . وكان «المجال» الذى ذكره غوغول فى رسالته الى أمه ، والذى أراد أن ينلر له نفسه كليباً هو الخدمة فى

مؤسسة من مؤسسات الدولة ، والادق مجال القانون ، العمل في ميدان القضاء والتشريع . «لقد رايت أن العمل في هذا المجال سيكون الأكثر . . . أن الجور القضائي ، التماسه العظمى في الدنيا ، كان يمزق قلبي أكثر من أى شيء آخر» .

ولكن حدث ما لم يكن في تصور غوغول . فبعد انهاء المدرسة ، ووصوله الى بطرسبورج في نهاية ١٨٢٨ حاول بالفعل أن يبتنى مستقبله في الخدمة ، وكان وقتا ما يشغل منصب موظف صغير ، ولكنه لم يستطع أن يقوم بأى أعمال مهمة في ميدان القضاء . والخدمة فسي مؤسسة الدولة التي كانت تسلم غوغول الى خيبة أمل متنامية ساعة بعد أخرى ، اخذت تتراجع أمام نشاطات أخرى ، هي النشاطات الادبية والتعليلية . وصار غوغول مدرّساً في معاهد بطرسبورج التعليمية - المعهد الوطنى ، وبعد ذلك جامعة بطرسبورج . وهنا ، ولا سيما في الاعمال الادبية ، قد حقق غوغول نجاحات مثيرة مباشرة دفعة واحدة تقريباً .

واذا كان كتاب غوغول الصفيير الاول - وهو القصيدة العاطفية «هانز كيوخيلفارتن» التي صدرت عام ١٨٢٩ تحت اسم مستعار ، هو ف . ألوف قد اثار سخریات الصحفيين ، فإن الكتاب التالى - وهو مجموعة «امسيات في قرية قرب ديكانكا» من مجلدين صدرا ١٨٣١-١٨٣٢ - رفعت مؤلفه الى عداد الكتاب الروس الافذاذ . وقد كسب غوغول رأساً المهارة والنضج واصالة الطريقة . لقد جسسه فنياً التجربة التي حصل

عليها من تربة أرضه - معرفته الرائعة في الاساطير الاوكرانية ، ومعيشة الشعب ، والمادات . وقد حبيب غوغول . بالمعنى العرفى للكلمة ، اوكرانيا الى آلاف والاف من القراء الروس .

وقد كتب الكسندر بوشكين تحت تأثير الجزء الاول من كتاب غوغول هذا : « . . . الآن اتمت قراءة «امسيات قرب ديكانكا» . وقد اذهلني . ذلك هو المرح الحقيقي الصافي ، الصادق ، بدون تكلف ، ولا تحفظ . وفي بعض الاماكن شعر ، واى شعر ! اى راحة حس ! كل ذلك غير اعتيادى في ادبنا العالي ، بشكل ما زلت مذهولاً به» .

وخلال ذلك كان في انتظار القراء مفاجاة جديدة ، في الروايات القصيرة التي اعقبت «امسيات» وجئمت فسي مجموعتين هما «ميرغورد» و«منمنمات» (كلتاها صدرتا في عام ١٨٣٥) لم يعد غوغول رومانسياً ملهماً ، بل كاتباً اجتماعياً صارماً ، محللاً بصفاً ذهن للوضاعة والحقارة الحياتية (رغم أن الاساس الشعاعى العميق في هذه الروايات القصيرة وفي كل ابداع غوغول احتفظ بقوته) . وفي بعض الاعمال ، مثل «كيف تشاجر ايفان ايفانوفيتش مع ايفان نيكيفوروفيتش» نظر غوغول من زاوية نظر جديدة الى الحياة الريفية التي عرفها منذ الطفولة ، الى اوكرانيا العبيية . وفي أعمال أخرى ، وهي ما اطلق عليها «قصص بطرسبورج» («شارع نيفسكى» ، «مذكرات مجنون» الى آخره) عكس بصفاً ذهن بالغ وبلا رافة حياة العاصمة الروسية . وقد اعطت القدرة على

الملاحظة ، وتصوير التناقضات الاجتماعية العادة ،
وتعارضات العلم والواقع ، وفنطازية النكمة غير القابلة
للمحاكاة ، والشاعرية الصيقة المروى فيها طابعاً حياتياً
غير مألوف ، ونسبية لتصوير غوغول لبطرسبورج .
وفي مجموعتي «ميرغورد» و«منمنمات» تكشفت بكل
حجتها موهبة غوغول الهائلة وغنى مخبريته وألفها .
وعندها ، وحسب اعترافه ، اتخذ هذا القرار : «إذا كنت
تريد أن تضحك فمن الأحسن أن تضحك بقوة ومما
يستاهل الضحك العام بالفعل» («اعترافات مؤلف») .
وهكذا انضمت الى فكرته في أن يكون «في خدمة
البؤلة» فكرة الاشتغال في مجال الكتابة . وتوصل
غوغول الى استنتاج حاسم حدد كل مستقبله : يجب
البحث عن المنفعة الاجتماعية غير بعيد عن طريق
الكاتب . لكن لا في العمل الوطني ، بل يمكن إيجاد
هذه المنفعة في عمل الكاتب نفسه ، والكاتب المعاصر .
الكوميدي . بشكل خاص .

في عام ١٨٣٦ ظهرت كوميديا «المفتش العام»
منشورة وممنلة على خشبة المسرح ، وقد صورت
بوضوح ، وكأنها من خلال عدسة مكبرة ، حياة بلدة
صغيرة اقليلية . وكانت صورة هذه البلدة المتخيلة
واضحة للبيان عميقة المعاني وفي نفس الوقت تكساد
تكون من كثرة الدلالات الرمزية مما جعلها تترك أثراً
قوياً جداً على المعاصرين ، وجلبت لؤلؤها لا استحسان
الاصدقاء فقط ، بل السباب الفظ من قبل المفرضين .
ورغم ازعاج غوغول الشديد من هذه الشتائم ، الا انه

لا يعيد عن الطريق الذي سلكه ، ويبدأ بتحقيق مشروع
اكثر ضخامة ، وهو قصيدة «الانفس الميتة» التي بدأها
في وقت مقارب ليدته في «المفتش العام» أي حوالي
١٨٣٥ . فضلاً عن أن موضوعي هذين العاملين هما من
ايحاء الكسندر پوشكين .

قضى غوغول الفترة ما بين حزيران ١٨٣٦ ونيسان
١٨٤٨ خارج روسيا (في ألمانيا ، وسويسرا ، وفرنسا ،
وبلجيكا . ولكن معظم هذه الفترة قضاء في إيطاليا) .
ولا يعود الى روسيا الا لفترة قصيرة ، لا تتجاوز بضعة
شهور . مرة في عام ١٨٣٩ لترتيب أمور اخواته
اللواتي تخرجن من المعهد الوطني ، ومرة أخرى في
عام ١٨٤١ للقيام بنشر المجلد الاول من «الانفس
الميتة» (نشر في عام ١٨٤٢) .

وكان غوغول قد صرح في عام ١٨٣٦ بأن «الانفس
الميتة» ستكون من عدة مجلدات . وقد شبه الكاتب
المجلد الاول «بمقدمة» القصر الذي اشيده» (من رسالة
مؤرخة في ١٧ آذار ١٨٤٢) . وعين صدر المجلد الاول
عُرف القارئ من الفصل العادي عشر أن القصيدة مكونة
من ثلاثة مجلدات («الجزءان الكبيران يتبعان . . .») .

ورغم أن غوغول في الاربعينات نشر أعمالاً جديدة
(من بينها ثلاث قصص «المعطف» والمعلمين المسرحيين
«خطوبة» و«المقامرون») الا أن حياته كلها كانت مكرسة
للعمل الرئيسي ، وهو اكمال «الانفس الميتة» ومن
جديد ظهرت الصفتان «اللفز» و«السر» ، وكأننا ، في
هذه المرة ، نعودان الى قصيدة غوغول هذه ، لأن

«الانفس الميتة» كانت موكلة بالكشف عن سر الحياة الروسية ، ورسالة روسيا في التاريخ المعاصر . وبذل غوغول جهداً هائلاً فوق الطاقة الانسانية في العمل على هذه القصيدة . وفي صيف عام ١٨٤٥ ، احرز مخطوطة المجلد الثاني ، تعبيراً عن عدم رضاه عمداً أنجزه .

واخذ الكاتب معه الى القبر «سر» بقية القصيدة ، ومحتواها الذي تروى فيه المؤلف بسمة واستيعاب . والفصول التي سلمت من الجزء الثاني نشرت لأول مرة في عام ١٨٥٥ ، على شكل مجلد اضافي الى الطبعة الثانية لمؤلفات غوغول (الطبعة الاولى للمؤلفات صدرت في عامي ١٨٤٢-١٨٤٣) : «مؤلفات نيقولاى فاسيليفيتش غوغول التي وجدت بعد وفاته . مغامرة تشيشيكوف او الانفس الميتة . قصيدة ن . ف . لغوغول . المجلد الثاني (٥ فصول) ، موسكو ١٨٥٥» .

• • •

وجهر ما يؤلف «لغزية» لغوغول هو انه في ظاهره يبدو كاتباً بسيطاً جداً ، بينما هو ، في داخله ، في باطنه الخفى ، معقد جداً . يجب أن يقرأ لغوغول في غاية الاهتمام ، دون التوقف عند الموضوع والحدث ، نافذين الى اصغر التفاصيل والتفاصيل . كان الكاتب والشاعر الروسي الشهير والباحث الادبي أندريه بيل يقول ان المحتوى لغوغولي غارق في التفاصيل . وهذا بالطبع ، ينطبق ، بالدرجة الاولى على «الانفس الميتة»

ويكتب غوغول ، وهو يتحدث عن اسباب حرقاً للمخطوطة : «ثمة ساعات لا يمكن فيها أن تحت المجتمع او وحتى جيلا كاملاً الى الرائع الجميل ، الا اذا اظهرت كل عمق وضاعته الراحنة . ثمة ساعات لا ينبغي فيها حتى التحدث عن الرفيع والرائع دون أن تشبى بوضوح ، كوضوح النهار ، الى السبل والطرق التي يسلكها كل انسان اليه . وكانت هذه الناحية الاخيرة قليلة وضيفة التطور في المجلد الثاني من «الانفس الميتة» ، بينما كان يجب أن تكون الرئيسية او تكاد ولهذا احرقته» . (اربع رسائل الى اشخاص مختلفين بشأن «الانفس الميتة» ، الرسالة الرابعة) وبهذا الشكل كانت الصعوبات الناشئة مرتبطة بالهدف الرئيسي للمجلد الثاني . فقد كان يجب الاحتفاظ بانسجام الشخصيات ، وتماشى الاقتعال والمثالية في ذات الوقت ، والاقتراب من «الرفيع والرائع» في وعبر القاري .

في عام ١٨٤٨ وبداية ١٨٤٩ عمل غوغول عملاً مكثاً في صيغة جديدة للقصيدة .

وبعد سبعة اعوام ، في بداية ١٨٥٢ انفجرت ازما

أعتقد أعمال غوغول . والطريق الى الطبقات العميقة
لمحتوى هذا العمل يمتد أيضا خلال أدق التفاصيل
والدقائق .

فلنوضح ذلك ب مثال .

في الفصل المخصص للمالك مانيلوف توجد هذه
العبارة : « وقد كان في الواقع يقف ، في بعض الأحيان
في الشرفة وينقل بصره من الساحة الى البركة ويقول
لنفسه ، كم يكون رائعا في الحقيقة لو أن مرأى شئ
تحت البركة . وأن ينصب جسر حجري فوق البركة
فجأة أيضا ، وأن تقوم في لمح البصر حوانيت ، فيها
جميع مستلزمات الفلاحين الضرورية » .

اذن ، جسر حجري فوق البركة ! يمكن أن يتصور

المرء (مثل هذه الاعتقادات موجودة بالفصل في ادب
غوغول) أن هذا التلصيص الصغير قد أوجت به للكاتب
انطباعاته الواقعية عن الحياة الإيطالية - قنطرة
«ريالته» في البندقية أو «بوتته فيكو» في فلورنسا
الا أن الامر ليس كذلك ، فإن السطور الواردة فيه
كتبها غوغول قبل سفره الى إيطاليا .

ان لو صف غوغول معناه الفريد الخاص به ، وهذا
المعنى قائم على محتوى القصيدة كلها .

وفي حقيقة الامر ان لجسرى البندقية وفلورنسا
المذكورين غاية معينة قائمة بذاتها . فالجسر القائم على
نهر (أو قنطرة) هو مركز اتصالات . وسكان المدينة
يمرر هذا الجسر مرة في الاسبوع (وربما في اليوم)
وتلقت انتباهه الدكاكين الموجودة على جانبيه . ثم

ان هذين الجسرين جميلان جدا ، وكل من رآهما متيقن
من ذلك .

ولكن لصورة غوغول معنى مختلف تماما . فهل من
المصادفة أن الجسر الذي يتخيله مانيلوف غير قائم
على نهر ، بل على بركة لا تحتاج له طبعاً ؟ ومعنى ذلك
أن الباعة والمشتريين (الفلاحين) ، وهذا تلصيص آخر
ليس قليل الاهمية عند غوغول) يجب ان يمشوا على
الجسر خصيصاً ، ليتومروا بشترياتهم . والجسر الضخم
المقام على البركة (مانيلوف يريد ان يبنيه من
الصخر) هو في مفزاه الجمال منظر سخيف ونحير
معقول . وبهذه الطريقة يصير مغزى بصر مانيلوف بلا
غاية محددة ، وبلا معنى .

والموضع الذي أشرنا اليه يميز بناء القصيدة كلها .
بل يمكن القول ان هذا جوهر أسلوبها ، لأنه قد ثبت
عمدا نوعان من انعدام الهدف في عالم مانيلوف
وتشيتشيكوف : اقتصادى صرف (عملي) وجمالى . وهما
في «الانفس الميتة» ينميان كتيارين ، وأحياناً يتعدان
سوية .

ولنضرب مثلاً في انعدام الغاية الاقتصادية (العمل)
في بيت مانيلوف نفسه ، على الأقل ، ذلك البيت المقام
على «مرتفع منعزل مكتسوف» تضرب فيه الرياح من أى
ناحية هبت . ومثال انعدام الغاية الجمالى هو بيت
مالك آخر ، هو سوباكليتش . فإن كل شئ في هذا
المنزل مريح وراشخ ، ولكن على حساب الجمال
والتناسق « فقد فشلت جهود المهندسين القوية في جعل

قمة الهرم فوق مركز البناية لأن المالك أزال إحدى أعمدتها الأربعة الأساسية» .

وكلا المنيين مشترك في السجاجة . والشاعر صفة الفروسيكية للسجاجة شائعة في «الانفس الميتة» الى حد الدقة المبالغ فيها ، الى حد الكمال الفني البالغ .
ويصير المظهر الخارجى للأشياء ، أحداث السفر ، وتأملات الشخصيات وأقوالها مجالات لظهور اللاعقلية والسجاجة . وحافة الإنسان ، وغياب اللهم الأولي بل والمنطق البدائي تحرز النصر تلو النصر . حين يستنتج مدير البريد (الفصل العاشر - اجتماع عند مدير الشرطة) أن تشيتشيكوف هو الكاتبين كوبيكين ، غافلاً تماماً أن كوبيكين هذا بلا رجل ولا يد ، بينما أطراف تشيتشيكوف كلها ، في مكانها ، والحمد لله ، فإنه بذلك أقام مبنى ذهنياً غير معقول يشبه جسر مايلوف .
إن شاعرية السجاجة مرتبطة أوثق الارتباط بالحدث والموضوع - شراء وبيع «الانفس الميتة» .

(يجب التوضيح هنا أن اللاح في ظل قانون الثنائية في روسيا كان يمكن أن يباع ويشترى كشيء ، كملكية غير منقولة . وإلى جانب ذلك كان عدد الفلاحين - النفوس المسجلة - تثبت بقوائم خاصة توضع وتقدم مرة كل بضعة أعوام . وفي الفترة بين تسجيل وتسجيل يعتبر الفلاحون الموتى أحياء ، بل وأن ملاكها ملزمون على دفع ضرائب للسلطة . وعلى هذا الأساس بنيت حسابات تشيتشيكوف . فإن المالك يتغلب له برحابة صدر عن الفلاحين الموتى حتى لا يدفع عنهم نفوناً

إضافية . بينما سيرهنهم تشيتشيكوف في مجلس الرعاية باعتبارهم أحياء ويحصل على مبلغ كبير مسن (المال) .

ولكن الحقيقة أن كل ما يجري في القصيدة - وحدثها المركزي (التلاعب الاحتيالي بالنفوس الميتة) متزعزع ومشكوك فيه بما فيه الكفاية . وهو مشكوك فيه ليس فقط في المعنى الرفيع للخير الاجتماعى (طليعية تشيتشيكوف لا تثير أى شك) بل ومن وجهة نظر المنفعة الشخصية أيضاً ، من وجهة نظر النجاح الفردى للنصاب . فإن «متاجرة» تشيتشيكوف على مدى القصيدة المنظورة لم تؤدي الى النجاح المرجى . فهو يفادى البلدة على عجل عائداً من حيث أتى ، ولو أنه لسم بلضع . وكانت في انتظاره في المجلدين التاليين ، حسب المعلومات المتوفرة ، آنام جديدة بل وخيبات ساحقة جديدة . ومهما يكن المبلغ الذى يتزعمه تشيتشيكوف من حين لآخر فإن الهدف الاساسى يتعمد عنه أكثر فأكثر ، مثل سراب في صحراء راضة ، وهذا السراب قرين لمنشأة مايلوف الفنتازية .

ونغول يرتفع الى التصميمات القصوى ، وهو يبسط صيغة السجاجة الفروسيكية التى اكتشفها لتشمل ميتة الإنسان نفسها . وهكذا نجد سطوفاً فلسفية مريرة عن ضلالات الإنسان وضياعاته : «فكم من الطرق المعوجة المسدودة ، الضيقة ، المنحرفة بعيداً اختارتها الإنسانية في سعيها للوصول الى الحقيقة الأزلية وكس من مرة ، حتى بعد أن تزودوا

الأنفوس الميتة

رواية

بالرسالة المنزلة من السماء ، زاغوا وانعرفوا سواء
السبيل ، ووقفوا من جديد وفي وضع النهار في مغازات
نائية مسدودة ، وانزلوا من جديد غشاء العمى على
عيون بعضهم البعض ، متجذبين الى السراب الغادع ،
ووصلوا الى حافة الهاوية ، ليسال بعضهم بعضاً فيما
بعد : أين المخرج ، أين الطريق ؟ . . .

وتتكشف علاقة مباشرة ، توافق مباشر بين الصور
الصغيرة التي ينتسب اليها وصف جسر مانيلسوف ،
وتراكيب هذا العمل الرئيسية . وتتكشف الفكرة
الاصيلة الصادقة لتصيدة غوغول كلها ، وهي الحلم
الملتهم بطريق حقيقي نزيه للانسانية وفضح شديده
للخطوات الكاذبة السبجة ، لكل ما يؤدي الى الاعراف
مهلك عن هذا الطريق .

لقد وفي غوغول الكاتب بالكلمة التي اعطاها فسر
بداية حياته : « . . . صدفتني ، لقد كنت طوال حياتي
الى جانب الخير » .

يوري ما

المجلد الاول

الفصل الاول

انسابت الى باب فندق في مدينة «ن» عاصمة الولاية
عربة انيقة ، متوسطة الحجم ذات لوالب من النوع الذي
يفتنيه الزاب : الضباط المتقاعدون من ذوى الرتب
المتوسطة والضباط الصغار والملاك الذين يمتلك الفرد
منهم قرابة مئة نفس ، وباختصار ، كل الاشخاص الذين
يكونون الطبقة الوسطى . كان يجلس في العربة سيد
ليس بالجميل ولا بالقبيح ، ولا هو بالكثير السعة ولا
بالكثير النحول ، ومع أنه غير بالغ الكبر الا أنه لم يكن
بالغ الصغر ايضا . ولم يثر وصوله ضجة في المدينة
ولم ينعروه مدنا خاصا . سوى أن فلاحين كانوا يقفان
صدمة امام حانة في الجانب المقابل من الفندق ، تبادلوا
بعض الحديث بشأن العربة لا بشأن الرجل الجالس
عليها . قال احدهما «انظر الى هذه العربة ، اتظن أنها
بهذه الصلابة ستتمكن من الوصول الى موسكو ؟»
فاجاب زميله «أظن ذلك» . وسال الاول «أنا لا أظنها
ستصل الى قازان ، أيه ؟» فقال الثاني : «لن تذهب
بعيدا حتى قازان» . وبهذا انتهى الحديث . وعندما كانت
العربة تقترب من الفندق ، قابلها شاب يرتدى سراويل

لظنية ببطء ضيقة جدا ، قصيرة جدا ، ومعطفا طويلا
على الطراز الحديث . وفيها صلق فيه ديوس بررى
على شكل مبني . وادار الشاب راسه عنهما مر
بالعربة ونظر اليها نظرة فاحصة ، رفع يده بعددها
ليمسك قبضته (فقد كادت الريح تقذف بها عن راسه)
واستأنف السير في طريقه .

وعند وصول العربة باب النزول وجد راكبها حادم
الفندق واقفا لاستقباله ، وكان هذا خفيف الحركة
سريعا لدرجة يتعذر على المرء فيها ان يتبين طابع
ملامحه . وهوول حاملا على يديه عوطة ، بمطف مقسوم
من أسفل المؤخرة يغطي ظهره التحيل حتى اعلى عنقه .
وهز خصل شعره الى الوراء ، وراقى السيد الى الطابق
العلوي عبر رواق خشبي ، ليريه غرفة النوم التي
انتم الله به عليها . وكانت الغرفة المذكورة ذات منظر
عادي جدا ، اذ ان الفندق كان من نوع الفنادق التي
تجس بها عواصم الولايات والتي يستطيع المسافرين
فيها ، مقابل روبلين في اليوم ان يستحصل على غرفة
تطل فيها الصراير ، التسيبة باحاصي مطبخ من جميع
اركانها ، وذات باب مستور كالعادة ببولاب ويؤدي
الى الغرفة المجاورة التي يسكن فيها جار صامت ، مرحبا
اذتبه يتعرق شوقا لسماع كل هتة من القادم الجديد
وكان مظهر الفندق الخارجي يدل على مظهره الداخلي
كان طويلا يتألف من طابقين : تصله السلل خلو من
التبليخ ، مما جعل الطوب الاحمر القاتم الذي كان
مكبدا في الاصل ، يزيد اكمدادا تحت تأثير التغيرات

الجوية ؛ اما النصف العلوي من العمارة فقد كان مطليا
بالنحان الاصفر المادي الذي لا يهت ؛ وكان لحي
الطابق الاول حوائث تبيع لحم الخيل والحبال والكمك
الدور . وفي نافذة الحائث الواقع في الزاوية اسفل
بانع المسل المخسر بوجهه الاحمر وبالقرب منه سماور
نحاسي ، حتى يغفل الى من ينتظر اليها عن معد ان في
النافذة سماورين ، لولا ان لاحدهما لحيحة سوداء
كالقار .

ومينا كان المسافر يتفحص الغرفة ، احضرت ائتمته
اليها . احضرت اول الامر حقيبة من الجلد الابيض تدل
ونائها على انها قامت بعدد من الاسفار ، وكان يعمل
هذه الحقيبة وجلان : احدهما ميليفان ، حوذي السيد
(وهو رجل صميرة في مطف فرو) ، والاخر بيتر وشكا ،
وصيف السيد . وهو شاب في حوال الثلاثين ممن
العصر ، يرتدي سترة مشمعة بالية ، يتضح انها كانت
لصاحبه . وكان له أنف كبير وشفتان غليظتان وكان
صارما قليلا . وتلا الحقيبة صندوق للرسائل مصنوع
من الخشب الاحمر مزين الاطراف ، ثم صندوق احذية ،
ودحابة منوية ملفوفة بورقة زرقاء . وبعد ان قسم
ابداع كل هذه الاشياء ، اصرف السائق للصناينة
يشير له ، واصرف الوصيف الى مخدع صغير منزو مظلم
كجسر الكلاب ، حيث كان قد اعد لنفسه عباءة لها
رائحتها الخاصة وكيسا مملوا بالثياب وركسن الى
الحائط . واثام السرير الضيق ، ولطاء بقطة زعيدة
من خضبة - قطعة كالطيرة في رقتها وثقاقتها (وربما

فى دهنها أيضاً) - لتلك التى تمكن من استجدائها
من صاحب المنزل .

وبينما كان الاتباع يدبرون أمورهم نزل السيد الى
قاعة الاستقبال العامة . وهذا النوع من قاعات الاستقبال
معروف لكل من يقوم بالأسفار . فلها جدران مطلية
دائماً ، يعلو الأسوداد فسها العلوى من أثر دخان
التبغ ويكتسب القسم السفلى لساناً من احتكاك ظهور
الزبائن به . وخاصة ظهور أولئك التجار المحليين
الذين يبدأون على اللجوء الى نزل البلدة أيام السوق ،
واحتساء كربين مهودين من الشاي فيه ، وقاعات من
هذا القبيل أيضاً ، لها فى العادة سقف قفوة ، وثريات
بالنذارة نفسها تتدلى منها علاقات تنب وتوقع كلما
هرول القادم فوق البساط الزيتى البالى ، حاملاً معه
طبقاً مليئاً بالكزوس (وتبدو الكزوس كأنها سرب من
الطير جاثم على شاطئ بحر) . ثم نفس المجموعة من
الصور الزيتية . وبإيجاز ، هناك أشياء معينة يراها
المرء فى كل فندق - أما فى حالتنا هذه فقد كان ابرد
ظاهرة فى الغرفة صورة زيتية لعورية برزت انداؤها
بحجم لا يمكن أن يرى القارىء مثله فى حياته . تصوير
مائل للطبيعة نراه فى الصور التاريخية التى حملها
الينا فى روسيا من إيطاليا فى وقت ما أناس مجهولون
بل ووجهاء فى بعض الأحيان يدعون أنهم حبراء غسسى
الفن : وذلك أن الوجهاء المشاهير اليهم اشتروا ما اشتروه
بناء على إرشادات الدليل الذى كان يرافقهم فى السفر -
خلع مسافرتنا قبعته ، ونزع عن عنقه لفافاً صوفياً

ملوناً . من ذلك النوع الذى تعيكة الزوجة لزوجها
بيديها وحسبما تعطيه آياه توصيه وصايا محترمة عن
كيفية طيه . والواقع أن المراهب أيضاً يلبسون للذات
مماثلة ، لكنهم فى حالتهم هذه لا يعلم الا الله من الذى
حاكها لهم 1 ما لم البسها قط . وطلب السيد انشاء
بعد أن نزع اللفاح . وبينما كانت الصنوع المختلفة
وهن التحضير : حساء الكرنب وفتيرة لها من العصر
بضعة اسابيع ، وصحن من مخ مع بالولة . وصحن من
المقنق مع الكرنب ، ودجاجة مشوية ، وبعض الخبز
المصح ، والكفكة التى تكون دائماً فى معلات كهذه
تحت الطلب - اقول ، بينما كانت هذه الاشياء تسخن
أو يجلب بعضها يارداً ، جر السيد القادم الى التحدث
عن نقب من الاخيار بشأن المالك الأخير للنزل .
وشخصية صاحبه الحالى ، وكمية الدخل الذى يدره
النزل . ورد القادم على السؤال عن صاحب الفندق
بجواب بارد به دائماً فى حالات كهذه ، وهو «ان معلمى
انسان نصاب جداً يا سيدى» . ومن الغريب ان هناك
كثيراً جداً من الناس من الطبقة المستنيرة فى روسيا
كما فى اوربا المستنيرة لا يستطيعون أن يتناولوا
طعاماً فى فندق دون ان يثرتوا مع القادم فى الحديث
بل ويسرحوا معه أحياناً . ومهما يكن من امر ، فلم تكن
جميع اسئلته بلا هدف . فقد سألته بدقة عن حاكم
الولاية وعن رئيس المجلس المحلى وعن المدعى العام .
وباستنصار لم ينس موطناً ذا مكانة . وراح يسأله
أيضاً بمزيد من التدقيق ان لم يكن من التعاطف عن

الشؤون الخاصة جداً للملاكين في تلك الناحية .
فسأله أيهم يملك اقتنا ، وكم نمسا يملك ؟ وعلى أية
مسافة من المدينة يقطنون ؟ وما هي شخصية كل مالك ؟
وهل له عادة التردد على المدينة ؟ واستفهم السيد مدققاً
عن الأوضاع العامة في المنطقة ، وتساءل ان كانت
هناك امراض كحمايات متفشية ، او برداً ، مبيته او جنوى
او ما الى ذلك . وكل ذلك بتفصيل ودقة تخرج عن حدود
حب الاستطلاع السخى . الا انه ظل محتفظاً بهيبته .
فكان بين الحين والآخر يتحط بصوت غايبة في
الارتفاع . وكان يقوم بيده العملية بطريقة مدبشة
جداً . فمع ان صوت انفه كان يشبه البوق في حدته .
الا ان هذا الصوت ، باقترانه مع الكبرياء الاعيلة .
كان يستثير احترام الخادم الشديد . وقد بلغ هذا
مبلغاً كبيراً جداً حتى ان الصوت لم يكد يصل سمع
الاجير حتى يهز هذا خصل شعره الى الوراء ويحتدل بكل
احترام ، ويسال من جديد - مع انحاء الرأس ثانية -
ما اذا كان عند السيد رغبة في شئ آخر . وبعد الغذاء
استنى الصيف منجان قهوة ، ثم جلس على الارىكة
وخلفه احدى الوسائد المكسوة بالصوف ، والوجود
عادة في امانات الروسية ، والتي تشبه الطوب او
الصفوان . ثم اخذ بتتأهب وطلب ان يوصل الى غرفته ،
حيث استلقى بطوله على الفراش ، وبام مدة ساعتين
نوما عميقاً . واتفق عندما دخل عليه الخادم طالباً اليه
ان يكتب اسمه ولقبه ومركزه على قصاصة من الورق
لارسائها الى الشرطة بحسب القانون ، ففعل . وانحنى

الخادم في السر على قصاصة الورق ، وقرا فيها ما
يل ، مقطعا مقطعا . بافيل ايفانوفيتش تشبتيشيكوف -
مستشار ، ملاك ، مسافر على مهمة خاصة . ولم يكند
الخادم ينهى قراءتها حتى انطلق بافيل ايفانوفيتش
تشبتيشيكوف الى المدينة ليستطلع امرها . ويبدو انها
حالت على رضاء . وفي الحقيقة ، كانت على الاقل قس
المستوى المادى لعواصم الاقاليم ، وحيث لم تسر
مياني الحجر الاصغر عينيه ، كان يعيد المياني الغشمية
ذات اللون الرمادى اكثر ازرقاً . وكانت البيوت من
طابق او طابقين بمليات دانيا . وهذا ما يفرم به
منهسو الاقاليم ، فكانت تظهر وكأنها ضائعة قس
الفسحة وفيما اختلط بينهما من جدران لا نهاية لها .
وفي اماكن اخرى كانت تبدو دلالات اكثر من ذلك على
الحياة والحركة . وكانت البيوت هنا تتجمع عرق بعضها
البعض ، وعليها لوحات اعلان متهرقة ابلتها الامطار ،
محتوش عليها صور احدى او قطع حلوى او سراويل
زرق ، وقد كتب عليها «اوشاسكى - خياط» او ما
ماثل ذلك . وعلى محل صغير فيه مختلف القبعات كتب
«فاسلى مدرف - اجنئى» ، بينما علفت على ناحية اخرى
لوحه رسمت عليها طاولة بلياردو ولاعبان - وهذان
الاخيران يلسان معطين اسودين من النوع السدى
يرتديه - عادة - الضيوف الذين يدخلون المسرح في
نهاية الفصل الاخير . ومع ذلك فقد كان لاعبا البلياردو
السابقان يصوبان الى الهدف في اهتمام شديد ، بانزع
شديدة الالتواء ، وسيهان مائلة ادت لتوهها حركات

قرع اعلانا ملصقا على عامود كي يتمكن من قراءته على
 راحته بعد رجوعه الى الفندق . وحدث ان كانت سيدة
 ذات منظر بهيج تسير في مسر خشبي جانبي بمحبة
 خاتم يحمل لها متاعا ، فجاد عليها بنظرة طويلة ايضا .
 واخيرا التي نظرة شاملة حوله (كما لو كان يريد ان
 يثبت صورة المكان في دماغه) وعاد الى مقفه . وهناك ،
 بمساعدة الخادم اللطيفة ، صعد السلم الى غرفته ،
 وشرب قححا من الشاي . وبعد ان جلس الى المائدة طلب
 شمعة . وما ان احضرت اليه حتى اخرج الاعلان من جيبه
 وقرّبه الى لهب الشمعة واخذ يدرس فحواه . مضطحا
 عينه اليمنى بعض الانحماض . غير ان الاعلان لم يكن فيه
 شئ يستحق الاهتمام . فكل ما يتحدث عنه هو ان احدى
 روايات كوتزيبو * ستقتل قريبا وان شخصا مميّنا
 اسمه بوليفين سيأخذ دورا في الرواية . وهنا دور
 آخر مستأخذه الممولزيل زيا بلوفا ، اما الادوار الأخرى
 لسيانغما آخرون امل شيئا . ومع هذا فقد تبسّع
 السيد الاعلان بكل عناية واهتمام . بل ولم يهمل أسعار
 التذاكر . ولاحظ ايضا ان الاعلان مطبوع في مطبعة
 حكومة الولاية . ومن ثم قلب الورقة على ظهرها ليرى
 اذا ما كان هناك شئ آخر للدراسة على الصلدة الأخرى .
 ولما لم ير شيئا ترك عينيه ووضع الورقة ثانية في
 محفظته التي يضع فيها كل ما تقع عليه يده . وانهى يومه

* كوتزيبو - مؤلف دراما الماني (١٧٦١-١٨١٩) .
 التناهي .

راقصة في الهواء . وكان قد كتب في اسفل كل لوحة
 من هذا القبيل «هذا محل مال العالي» . وفي بعض الاماكن
 في الشوارع موائد عليها اكوام من الجوز والصابون
 وكعك الزنجبيل (والأخير يصعب تمييزه عن الصابون) .
 وعلى حدوان احد المطاعم بدت سمكة مسينة انفرزت
 فيها شوكه . ولكن اكثر ما كان يشاهد على الحدوان هو
 السر ذو الراسين ، شعار الدولة آنذاك (بهذه
 المناسبة ، قد تغير الآن هذا الشعار الى صورة مختصرة
 لعانة) . ما بشأن ارضلة المدينة فقد كانت كلها على
 نمق واحد من السوء . واطل نيتشيكوف على حدائق
 البلدية التي لا تحوى سوى بضع شجيرات بالنسبة
 سيئة النمو تسندها دعائم ثلاثية مفعونة بالدهان الزيتي
 الأخضر الجميل ، وليس لها ما تزهر به من الطول
 اكثر من براع عادي . الا ان الجرائد المحلية نشرت في
 المدة الأخيرة على سبيل الاحتفاء بها تقول «الشكر
 لحاكم الادارى الذي اصيبت المدينة بجهوده غنية
 بالاشجار الظليلة المستدة الانحسان . فهي تفرئنا
 بالظلال الوافرة حتى في اشد الايام حرا . وكما هو جميل
 حقا ان نرى قلوب المواطنين تقبض بمرقان الجميل ،
 منلما يشترق النعم في عيونهم اعتراقات بما قدمه
 حاكمهم في سبيلهم» . وبالكاد ، بعد ان ممال
 نيتشيكوف شرطيا عن احسن السبل والوصال
 للاعتداء الى الكاتدرائية والدوائر الحكومية والمحاكم
 المحلية وحاكم الولاية ، فيما لو احتاج اليها ، ذهب لكي
 ينقى نظرة على النهر الذي يخترق المدينة . وفي الطريق

بقطعة من لحم العجل البارد وصحن شوربة من الكرفس
المكبوس ونوم عميق .

وكرسي اليوم التالي للزيارات . فزار جميع وجهاء
المدينة ، وزار حاكم الولاية زيارة بالغة الاحترام . وقد
تبين ان حاكم الولاية يشبه تشيتشيكوف نفسه من
حيث انه لم يكن بالسمين ولا بالحيل . وكان يلبس
حول عنقه شريطا مع وسام آتا ، وقيل انه كان مرشحا
للمصول على وسام النجمة . وفيما عدا هذا كان طيبا
كبير القلب . ولكن له عادة تضايق احيانا وهي التسلي
بتطريز الدتلا . ثم زار تشيتشيكوف نائب حاكم
الولاية ، فبيت المدعي العام ، ورئيس المجلس المحلي ،
فرئيس الشرطة ، ورئيس الجبابة ، والمدير المحلي
لمصانع الدوبة . ان تذكر كل صغيرة وكبيرة في عالمتنا
هذا ليس بالامر البسيط . ولكن زائرنا على الأقل اظهر
منتهى النشاط في عمله هذا بالقيام بالزيارات ، حتى
انه ذهب الى مفتش دائرة البلدية الصمعي والى مهندس
المدينة المصاري لتقديم واجبات الاحترام . وبعد
ذلك جلس في العربة لوقت طويل مفكرا غارفا في
التذكير فيمن تستحسن زيارته من غير هؤلاء . ومهما
يكن من امر فهو لم يعمل وجيها واحدا ، وكان يجيبه
الخلق في حديثه مع مصيفيه ، كل على حدة . وقد لمح
لحاكم الولاية مثلا بان الغريب اذا وصل الى ولايته
يدرك انه وصل الى الفردوس بطرقه المتعلمية . وقد
قال تشيتشيكوف «ان الحكومات التي توظف محافظين
قديرين تستحق اجزل فروض المديح» وكذلك ، ابدى

بطلنا في حديثه مع رئيس الشرطة ملاحظة بشأن الشرطة
المحلية كانت موضع عرفان الجليل . بينما اخلا مرتين
في حديثه مع نائب حاكم الولاية ورئيس المجلس المحلي
(وكلاهما موظف في الدوبة الخامسة من الوظيفة) بان
ناداهما «يا صاحب السعادة» . فراق لهما هذا الخطأ .
وكانت نتيجة هذا كله ان دعاه حاكم الولاية لزيارته
ذلك المساء ، وتلاه بعض الموظفين فدعوه واحدا بعد
الأخر ، أحدهم للفداء ، والأخر لعفلة شاي ومسا الى
ذلك .

على أية حال ، فان المسافر لم يتكلم عن نفسه الا
القليل . واذا حدث ذلك ، فقد كان بصرة عامسة
وباعتدال شديد . وقد كان في الواقع ، اذا ما تطرق
الى هذا النوع من الحديث ، يتناوله بقلب أدبي .
فكان يروي انه غير جدير بأى تقدير من أترابه ،
نظرا لكونه دودة لا يسب لها حساب في هذا العالم ،
وانه من «تجارب غريبة عديدة في زمانه» ، وأنه يتساءل
على ذلك قد عانى كثيرا في سبيل الحقيقة . وان هناك
اعدا ، كثيرين يطلبون حياته ، وأنه - طلبا للراحة -
يغرم الآن بالشميتش على بقعة يستقر فيها . وحيث انه
عثر على هذه المدينة والتي نفسه فيها ، فقد رأى من
واجبه الحمسى ان يقدم احترامه الى السلطات المسؤولة
فيها . كان هذا ولا شيء غيره هو ما عرفت المدينة عن
القادم الجديد في تلك الآونة . ولم يضع - بالطبع -
فرصة تقديم نفسه في حفلة حاكم الولاية تلك الليلة .
وقبل كل شيء ، على أية حال ، استغرق استعداده

حريته في اسراب جوية يحملها النسيم ، وبفتنم فرصة
ضعف بصر العجوز وتوهج اشعه الشمس في عينيها ،
يستنصر على قطع السكر زرافات ووحدا ، ومع ان وفرة
الشهيات التي يجدها في كل خطوة من خطواته تدعوه
للدول ، الا انه كان يدخل للتمريف بنفسه اكثر مما
يدخل للأكل ، فيجري امتصاضا على القالب وهو صاعد
نزل عليه ، ويفرك أرجله الخلفية وأرجله الامامية
بعضها ببعض ، وينظف جسده عما تحت الجاح ، او
يفرك أرجله الامامية فوق الراس ومن ثم يطير من
الباقعة ليمود بأسراب نهاية اخرى . وقد كان
تشيتشيكوف في الحقيقة يبدأ بالنظر حوله حتى اخذه
حاكم الولاية بالفراق ليقدمه الى زوجته ، الا ان ضيقنا
العديد الوصول احتفظ في راسه بما يكفي لكي يقتلق
ويستمتع بعض المحاملات ، وهو ما ينظر تماما من وجل
متوسط العمر ، من طبقة ليست بالرفيعة جدا ولا
بالوضيعة جدا . وبالتالي ، حين تشيكلت الأزواج للرقص
وتراجع بقية الجمع الى العائط ، طوى تشيتشيكوف
لذائعه وراءه وأخذ لذيقين يتلصص الرافعين باهتمام
متزايد . كان بعض السيدات يلصص لباسا جيدا من
طراز حديث ، اما بقيتهن فكان يلصص احلاقا هي ما يهب
الله عادة لعاصمة الولاية . وكان الرجال هنا ايضا -
كما هم في أي مكان آخر ينتهون الى صلبين مختلفين
متبايزين : صنف يتألف من الرجال المشوقين الذين لا
تكاد تميزهم ، عند تعويهم حول السيدات ، عن سكان
العاصمة . فقد شذبت اغواهم في منتهى العناية ومنتهى

لهذه المهمة مدة تزيد على الساعتين ، واستلزم ان
يعتني بهندامه اعتناء فل ان يشاهد له مثيل . وتلصص
ذلك ، انه بعد اغفافة قصيرة عقب العشاء ، طلب السا،
والصابون وأعطى وقتا طويلا في دعك خديه اللذين
كان يقية ذلك يدعهما من الداخل بلسانه ، ثم فسي
تجفيف وجهه الستلي المستدير بقطعة ثنأولها عمن
كفف الغادم . وقد نخر في وجه العادم مرتين وهو يعين
ذلك . ثم استقر اما المرأة ، وليس قيصا حقيقى
القدمة كاذب الجوانب والمؤخرة ، وتنف من انفه
شمرتين مازرتين ، وخرج لابساً مطلقا رسميا ذا لون
احمر . ومن ثم ركب خلال الشوارع الواسعة الضئيلة
الامارة ووصل بيت حاكم الولاية فوجده يتلألا نورا كما
تعد السيوت للمخللات الراقصة . وعلى الباب كانت برقة
مستبلمة المصابيح ، وشرطيان متهيئان ، ولطف السائقين
وصياحهم . وكل ما يبعث الهبة موجود كما يجب ان
يكون . وما وصل الزائر المصالة حتى وجد نفسه مضطرا
لاغلاق عينيها برهة وجيزة . فقد كان شديدا جدا ذلك
البريق الغليظ من المصابيح والثسبوع وملاس
السيدات . كان كل شيء يبدو مخضبا بالنسور
والمعاطف السوداء في كل مكان ترقق وتترق - كما
يجوم الذباب في يوم من ايام الصيف القانظ حول قالب
من السكر ، حين تعلق ربة البيت العجوز امام الباقعة
المتروحة لتقطع القالب الى مكبات صغيرة فيتجمع
حولها اطفال البيت ليراقبوا حركات يديها الخشنتين
وهما تهويان بالمدقة ، والذباب يدخل بشجاعة ويسل

النق ، وفي غاية القبول بدت وجوههم البيضاء
الحليقة ، وكانت غاية السلاسة طريقتهم في رعاية من
يراقصونهن من السيدات ، وفي غاية الانطلاق حديثهم
بالفرنسية حين يصرحون الاحاجي لصديقاتهم من النساء
كما في بطرسبورج . اما الصنف الآخر فيتألف من
الشعاعين السنان او الذين هم في بنية تشيتشيكوف
(اي ليسوا بالكثيري السمعة ولا بالكثيري التحول) .
وهؤلاء تراجموا او حادوا عن طريق السيدات وأخذوا
يعدقون هنا وهناك ليروا فيما اذا كان خدم حاكم
الولاية قد اعدوا البوائد المضراء للعبة الوست . كانت
علامتهم ملبسة سمينة ، وكان لبعضهم ثايل ولم يكن
اي واحد منهم يشعر بأجد او عموح او على الطراز الذي
يسيه الفرنسيون «لياخذني الشيطان» ، بل على
العكس ، فقد كانت رؤوسهم اما طويلة او مشددة الشعر
عليها ففدت ملبسا جدا . اما وجوههم فكانت مستديرة
رصينة . وهذا الصنف يمثل اكثر الموظفين احتراما
في المدينة . ويمكنني ان اذكر ، للأسف ، ان الرجال
السمان في هذه الدنيا يثبتون دائما توقعهم على اخوانهم
التحاف في شؤون الاعمال . التحاف تعهد اليهم مهات
خاصة في الاكثر اذ يتقاضون رواتب على ذلك لا غير
ويعملون ويتسكعون هنا وهناك ، وجودهم هوائي تده
هو غيبة الأمل المحضة . وزيادة على ذلك ، فالسمان لا
يجلسون في مقعد خلفي ، ولهم المقعد الامامي دائما .
ويجلسون بثبات وثقة اينما كانوا ، ويباؤون التحرك
حتى لو تفسخ المقعد وهوى تمت ثقل اجسامهم . وهم

لجمال مظهرهم لا يكثر تون ابدا ، ولهذا لا يستريح
المطف على اكتافهم كما يستريح على اكتاف التحاف .
الا ان السمان دائما يجمعون الثروة الكبرى . اما
التحيف فعلى ثلاث سنوات لم تجد عنده خلافا لسم
برهنه . وادا نظرت الى السمين فستجد عنده قصرا
في الضاحية مسجلا باسم زوجته ، ثم قصرا اكبر في
ضاحية اخرى ، ثم صيغة قرب المدينة ، ثم قرية
واسعة فيها اخير كله . اي ان السمين ، بأرضاء الله
وأرضاء الدولة يعوز على احترام الجميع . وتكون نهايته
ان يعزول الفصل ويعيد تنظيم حياته من جديد ، ويصبح
سيدا لطيفا يوزع الكرم ويعيا حياة بدخ ورخاء . ويكون
عصيره ان يخلّف وريثة ناعافا بعد موته ، يستولون على
املاكه ويعزقونها بسرعة على المادة الروسية . انا لا
انكر ان ما سبق وصله يمثل الى حد كبير خلاصة ما
كان يدور في مخيلة تشيتشيكوف عندما وقف يراقب
الجمع . وكانت نتيجة هذه التاملات ان صمم على
الانضمام الى القسم الاسمن من الضيوف ، لا سيما وقد
عرف بينها وجوها عديدة اليفة لديه ، منها وجه المدعي
العام (وهو رجل بحواجب بارزة سرداء وعزلة ضعيفة
فمرحبه اليسرى وكانها تفرغ وتقول «تعال الى الفرقة
الساورة يا صديقي نعتدي ما افولسه لك» . الا ان
صاحبها غالبا ما يكون رجلا مهيبا صوتا) . ومدير
البريد (وهو شخص قصير الا انه ذكي وفيلسوف) ،
ورئيس المجلس المحلي (وهو انسان على كثير من
الوداعة) . حيا هؤلاء الرجال الثلاثة تشيتشيكوف وكأنه

أحد المعارف القديمة ، ورد على ثعبانهم بأعنانة جانبية فيها الكثير من التأهيل . وقد تصرف على ملاك شديد الألفة والتهديب اسمه مانيلوف ، وعلى ملاك آخر أكثر خشونة اسمه سوياكيفيتش . وقد بدأ الأخير بالتعارف بعد أن دأبى بشدة على قدم تشيتشنيكوف ثم رجاء العدو . ودعى تشيتشنيكوف بعد ذلك إلى لعبة الوست فقبل الدعوة بأعنانة الرأس اللطيفة المهدودة . وحسب جلسوا إلى المائدة الخضراء لم ينهضوا حتى موعد العشاء . وفي هذه الفترة خبم القمص على اللاعبين كما هي عادة الرجال عندما يكرسون أعصابهم لعمل حطير حقا . حتى أن مدير البريد الترنار بطبيعته ، ما كاد يمسك الورق بيديه حتى بدأ على وجهه التفكير العميق ، وزم شفتيه . وظل محافظا على هذه الصورة طيلة فترة اللعب . ولم يكن يتكلم إلا إذا لعب لعبة رابطة . عندئذ كان يضرب المائدة بقبضة يده ، وإذا كانت الورقة الرابعة هي ملكة الورق يقول - «ويده» . ابتها الكاهنة المحرّج ، أما إذا كانت الورقة الرابعة هي ملك الورق ، فيقول - «ويده» ، يا فلاح تامبوف . وكان رئيس المجلس المحلي يرد دائما على هذه الصيحات ويقول - «آه» ، أمسكته من شاربيه . أمسكتها من شاربيها . ومن حوائى المائدة كانت تتعالى صيحات تتناسب مع اللعب ، تتخللها كنية أو أخرى يطلنهما المتسركون في اللعب على الأوراق المختلفة . ولا أعلن من حاجة إلى القول بأن اللاعبين تشابروا في نهاية اللعبة ، وإن صاحبنا اشترك في الشجار . وقد نزل

ذلك بكل حق ودراية بحيث جعل كل من رآه ، على الرغم من دوره الفعال في الشجار ، يعتقد أنه قام بدوره هذا في الطف أسلوب مستطاع . فلم يكن يقول للاعبين قط «لقد لعبت الورقة اللالنية» . لا ، بل إنسه كان يستعمل جملا كالآتية - «لقد سمعت لنفسك يلعب الورقة اللالنية» ، ولقد ظل في الحقيقة محافظا على الوداد بينه وبين منافسيه . يقدم لهم لعبة السحوط الطفلية بالفضة (وقد وضع في قمرها رهزتي بنشيج كرائعتهما الجميلة) . وقد وجه القادم الجديد اهتمامه إلى الملايين مانيلوف وسوياكيفيتش المذكورين سالفا واستعصر عهبا في الحال حين تمنى برئيس المجلس ومدير البريد . ودلت الأسئلة التي وجهها إلى هذين الملايين لا على حب الاستطلاع وحسب ، بل على قسوة من الدكا. العميق . فقد بدأ بالتساؤل عن عدد الأضس التي يملكها كل منهما ، وكيف تدير أمورها حاليا ، وأخذ يستطلع عن اسميهما وعن عائلتيهما . وفي الحقيقة ، لم يستمرق وقتا طويلا حتى حذب عقول اصداقائه العدد خلبا جيلا . أما مانيلوف بالذات - وهو رجل لا يزال في عصفوانه وله عينان فسى حلاوة السكر تفضضان كلما ضحك - فقد وجد نفسه غير قادر على إبداء الكناية من إعجابه ، فتوصل إليه - وهو يحضن تشيتشنيكوف احتضانا طويلا - أن يشرفه بزيارة في بيته الريفي الذي قال أنه يقع على بعد لا يزيد عن خمسة عشر فرمسا * من حدود المدينة . وأكد

* قياس طول روسي يساوي ١٠٦ كيلومتر . لفتاه

له تشيتشيكوف رداً على ذلك (بانحناءة هي في منتهمى اللطافة ومصادمة توحى بغاية الاخلاص) انه ليس مستعداً لتنفيذ مشيئته وحسب ، بل انه يرى فسي تنفيذ هذه المشيئة واجباً مقدساً . وقال لـه سوباكيفيتش على طريقته العاصية وبايجار «اتزورنى» وراح يعرك حذائيه الكبيرين اللذين بلغت ضخامتهما دوحه يصعب ان نجد زوجا يجمعهما - خاصة في هذه الايام التى اخذ فيها الابطال القصصيون الخرافيون في روسيا بالانقراض .

ومى اليوم التالى ذهب تشيتشيكوف ملبياً دعسوة عشاء وقضى المساء في بيت مدير الشرطة . حيث جلس كل فرد فيه بعد العشاء مند الساعة الثالثة للعبة الوست وظل في جلسته اياماً حتى الساعة الثانية صباحاً . ومى هذه الفرصة كان من بين من تعرف عليهم تشيتشيكوف ملاك يسمى نورديف ، وهو انسان مرح في الثلاثين من عمره . ولم يكده يتبادل معه ثلاث كلمات او اوبها حتى راح يقاطبه بالضمير المفرد الثانى . ومع انه فصل الشىء نفسه مع مدير الشرطة والمدعى العام ، الا ان الجمع لم يكده يستقر في المقاعد على عائدة اللعب حتى بدا هذان الوطلمان يراقبان لعب نورديف باهتمام ويدققان في كل ورقة يلعبها . واضى تشيتشيكوف المساء التالى عند رئيسى المجلس المحل الذى استعمل ضيقه يرداء بيتى متسخ مع ان بين الضيفين سيدتين . ونبح ذلك مساء في بيت نائب حاكم الولاية ، وحفلة عشاء كبيرة في بيت رئيس الجبابة . وحفلة اصغر

في بيت المدعى العام وهي حفلة كبيرة في العتيقة ، وحفلة استعجال عند رئيس البلدية . وباختصار ، لم يجد تشيتشيكوف ساعة واحدة في اليوم يصطر الى قصائدها في منزله . ولم يعد رجوعه الى المنزل ضروريا الا في ساعات النوم . وكيفما كان الامر فقد استقر به النوى . وظهر في كل مكان على انه رجل محتكة الحياة . فقد كان دائماً يحافظ على ان يكون له حبيب فسي الحديث ، لا يعيقه عن ذلك مهما كان موضوع الحديث . فلو دار الحديث عن تربية القيول ، فمن تربية القيول خاصة فهو اهل للكلام . ولو دار عن الكلاب المدربة ، فله في الحال رأى جنى في هذا الموضوع . ولو تطرق الكلام الى محاكمة قضت فيها حديثاً محكمة التمييز ، ففي التري يظهر انه غير جاهل في شؤون القانون . ولو ابدى رأى بشأن البلاط ، فقد كان باستطاعته في هذا الموضوع ان يتحانى أى خطأ . ولو اثير حديث عن العصابة ، فمن العصابة يفيض بحديث يستنزف الدمع من كل عصب . ولو كان موضوع الجدال عن تقطير الحمور ، اهل ، فهذا امر عنده فيه العلم الصحيح . ولو ذكر احد موظفى الجمارك او احد المفتشين ، ففي اللحظة يسهب في الحديث كما لو كان موظفاً في الجمارك او مفتشاً . الا انه كان عنده امر ملحوظ . وهو قدرته على ان يجعل كل شىء جدياً وكان يستطيع كبح حياج نفسه في اناء الحديث . وهو في سبيل ذلك يتكلم لا عالياً جداً ولا منخفضاً جداً . ولا يزيده عما يكون مناسباً . بكلمة واحدة ، كان سيداً ذا طبائع متميزة .

وكان كل موظف يفرح بوصول الوجه الجديد . وكان
 رأى حاكم الولاية في تشيتشيكوف أنه رجل ذو أهداف
 سامية ، ورأى المدعى العام أنه رجل أعمال بارع ،
 ورأى عقيد المدرك أنه رجل متقف ، ورأى رئيس المجلس
 النحل أنه دمث الاخلاق مهذب ، ورأى رئيس الشرطة
 انه انسان محترم ومتادب ، ورات زوجة رئيس الشرطة
 ان ادب سلوكه لا يعادله الا حسن تربيته . بل ان
 سوبياكفينتش الذي كان من مبدئه ان لا يذكر الناس
 بالحسنى الا نادراً ، قال لزوجته الهزيلة عند عودته
 متأخراً من المدينة ، وبعد ان خلع ملابسه ليتمسك
 بجانبها على الفراش «تناولت العشاء هذا المساء عشاء
 حاكم الولاية . وذهبت الى بيت رئيس الشرطة . وهناك
 قابلت من بين المدعوين شخصاً اسمه بافيسيل
 ايفانوفيتش تشيتشيكوف ، وهو من متوسطى الاعيان .
 وله شخصية محببة جداً . واجابت زوجته على ذلك
 قائلة «همهم» ولكرته بقصتها .

هكذا كانت آراء المديح التي جناها القادم الجديد في
 المدينة . وقد ظلت هذه الآراء على ما هي عليه حتى
 حدثت حادثة غريبة (سيهرها القاري) فيما يلي) أغرقت
 سكان المدينة في بحر من الحيرة .

الفصل الثاني

عاش الزائر في المدينة ما يزيد عن اسبوع وسط
 الولايم والعلات . حيث امضى - على حد التعبير -

الضائع - وقتاً ممتعاً . وصمم أخيراً على أن يمد نطاق
 زيارته الى خارج حدود المدينة بالنهال الى الملاكيتين
 مابلوف وسوبياكفينتش نظراً الى انه وعدهما بشره
 ان يفعل ذلك . الا ان ما دعاه في الحقيقة الى هذا الامر
 قد يكون سبباً أكثر ضرورة وهذا اتسد حظيرة وغرضاً
 اقرب الى قلبه من السبب الذي ذكرت وسيحيط
 القاري علماً بهذا الغرض اذا كان لديه من الصبر ما
 يقرأ به هذا الاستهلال القصص الذي مهما بدا طويلاً
 الا انه قد يتسع ويزداد طولاً كلما غاربنا العفدة التي
 قدّر ان يتّوَجَّح بها هذا الكتاب . وعلى ذلك فقد
 تلقى الحوذي سيلفيان ذات مساء امراً باعداد الخيول
 في وقت مبكر من صباح اليوم التالي ؛ بينما تلقى
 بتروشكا امراً بالتحلف للمعانة بالحقيبة والغرفة . وقد
 يرغب القاري هنا في التعرف على الخادمين المذكورين .
 طبعاً لم يكونا من الشخصيات التي تستحق الذكر بل
 مجرد من يسميهم الناس شخصيات ثانوية ، او حتى
 أقل من ذلك شأنًا . وبالرغم من ان جوهر القصة
 وموضوعها لا يعتمد عليهما بل سيمسهما مساً رقيقاً فقط
 او قد يشملهما احياناً - الا ان للزوّف رغم روبيته
 غراماً في التفصيل ورغبة في الدقة كما عند الالاباني .
 فمن الضروري ان نزيد قليلاً على ما عرفه القاري
 عن ان بتروشكا كان يرتدى عادة سترة بنية منبوذة
 اصلاً بحجم كبير عليه جداً ، وكان له أيضاً - كما هي
 عادة من هم في صنفه - زوج غليظ من الشفاه .
 وأشد بارز جداً . وكان يطبعه صوتاً أكثر منه ترثاراً ،

وبه ميل الى تنقيف نفسه . اعني انه كان مغرمًا بقراءة الكتب وان لم يكن لديه فرق بين محتوياتها ، سواء منها كتب المفامرات البطولية او الحب او كتب الصرور والنحو او الكتب السماوية المقدسة . وكما اقول ، بعد كان يقتبع كل كتاب وقع بين يديه بالدرجة نفسها من الاحتمام ؛ ولو قدم اليه كتاب في الكيمياء لقبليه ايضاً ، كان مجرد السيلوى التى يستجدها من تفصيل القراءة - لا الكلمات التى يقرؤها - هو ما يحتاج اليه عقله . عل انه فى أية لحظة قد تبرز له فى الصفحة الواحدة كلمات شيطانية لا يفرق فيها بين الرأس والذنب . وكان من الغالب يقوم بهيمته هذه وهو مضطجع فى مدمعه ؛ وهذا ما ادى بقرائه الى ان يصح كالطيرة الرقيقة . وبلاضافة الى حبه الانكياب على الكتب ، كان يزعمو بصادقين هما ميزتان اخريان اساسيتان من تكوين شخصيته : اولاهما عاداته من ان ياتى الى مضجعه بلا يسه (اى بالستره البنية السائلة الذكر) ، والاخرى من ان يعمل حيث ذهب جوه الخاص ورائحته العاصه - رائحة بلغت من الاختصاص به صلفاً كبيراً حتى انه ما يكاد يتجنب قرائته ويجلب معطيه الى مكان ما - حتى لو كان مسكناً جديداً له يقطعه احد سد - حتى تثبت رائحة تدل على انه كان عامراً طوال الستينين العشر الدوالى . ومع ان تشميشيكوف رجل متائق - او بالاحرى صريح الانفعال - غير انه اذا التفتت حياثيه هذه الرائحة مع اريج الصباح يقطب اساريره فقط ويهز راسه ويقول

«الشيطان وحده يعلم ما بك . انك بلا شك تترك كثيراً . اليس كذلك ؟ وافضل ما يمكن ان تحصله هو ان تلعب قسطنطين» . ولم يكن بتروشكا يجب على هذا الكلام بشئ . ويحاول ان يشغل نفسه بصل ما ، كان يقرب والفرشاة من يده الى حبت يكون معطف سيده معقاً ، او ياتخذ بترتيب شئ من الاشياء . بمادا واح يذكر فى صحته هذا ؟ ربما كان يقول لنفسه «وانت ما انريك . الا تمل من اعادة هذا الكلام اربعين مرة» . لا يعلم ولا يرى كل شئ . غير الله . ولهذا فحسن المستحيل اطلاقاً ان يعلم كائن بشرى كل ما كان يدور فى عقل الخادم عندهما صفته سيده . ومهما يكن من امر ، فلا حاجة بنا بعدئذ الى زيادة فى القول عن بتروشكا . اما من الناحية الاخرى ، فكان الحوذى سيليفان شخصاً آخر . . .

ولكنى اود ان اذكر هنا اقصى لا احب ان اشغل بال القارئ بشؤون اشخاص هم من طبقة احل من طبقتهم . فقد علمتني التجارب ان لا رغبة لهم فى التعرف على الطبقات الدنيا ، وان من طبع الروسى العادى ان يشرف على اشخاص فى درجات السلم الاجتماعى العليا . ومنى الواقع فان تعرفه على امير او كونت ، حتى ولو باحتوائه لهما ، يثير فى نظره اهم كثيراً من العلاقات الشينة بينه وبين الناس العاديين . ولهذا السبب نفسه فان مؤلف القصة يشعر بالخوف على بطله لا سيما وقد جعل هذا البطل من متوسطى الاعيان فقط - اى مجرد شخص قد ينافس اليه كبار الاعيان . ولكن من كانوا

على الطريق المستوية بعد أن انقبط رأسه يستدق
العربة عدداً غير قليل من البرات . وما كادت المدينة
تتباع في الأفق حتى اخفت جيات الطريق تعرض
مناظرها المختلفة من الاكمام المألوفة وأشجار الشربين
وخنايل الصنوبر الصغيرة والاشجار الهرمة ذات الجذوع
الجرحة وايات العرعر البري ، وما مائل ذلك .
وسرعان ما لاحت للابصار البيوت الريفية المتسلسلة
التي كانت قريبة الشبه ماكرام العطب نظراً لدعاماتها
المائلة وسقوفها الرمادية التي كانت تدل من الحواش
كما تدل الملاة على اطراف المائدة . وبالمثل فقد كان
الفلحون يحاطهم المألوفة المصنوعة من جلد المعري
يجلسون كالعادة متائبين على مقاعد نصبت أمام
اكواخهم . بينما اطلت نساؤهم ذوات التقاطيع المستلثة
والنهود الملثثة من التسبايك العليا ، أما التسبايك
السلي فقد بدا من احداهن عجل متطلع ، ومن الآخر بدا
فكا خنزير قبيحان . وماختصار . كان المنظر من المناظر
المادية المألوفة . وبعد أن مر تشينشيكوف بالعجر
الذي تقست عليه علامة الغمسة عشر فرسماً تذكر
فجأة أن المسافة بين بيت هابلوف الريفي وبين المدينة
هي خمسة عشر فرسماً تماماً كما قال له ماييلوف
بنفسه . لكن علامة الفرس السادس عشر مرت ايضاً
دون أن يظهر أي أثر للقرية . وفي الحقيقة لو لم يقابل
المسافر فلاحين في الطريق لذعت مهمته من الرحلة
عبثاً . ورداً على ما اذا كانت قرية رامابيلوفكا تقع في
للك الضواحي ، خلع الفلاحان قبعتهما ، ومن ثم انبرى

برغبة جنرال سينظرون اليه نظرتهم الى كل من لا
يتذلل تحت اقدامهم الجليلة . واسوأ من ذلك ، حال
اشخاصاً كهؤلاء ممن يعملون رتبة جنرال ، من المحتسب
أن يعاصروا تشينشيكوف بأعمال محسود . والاهمال
المقصود ينفث الموت لمؤلفه . مهما يكن من أمر ،
وعلى الرغم من القنوط الذي توجبه الاحتمالات السابقة .
فقد حان الوقت لأن اعود الى بطل . فبعد أن امل على
الخدم اوامره الليلية الضرورية ، نهض مبكراً والمتسلل ،
ودعك نفسه من الرأس الى القدم بأسفحة مبتلثة (وهو
أمر كان يقوم به كل يوم أحد فقط ، وقد حدث أن كان
ذلك اليوم بالصدفة يوم أحد) وحلق وجهه بناية حتى
أخذ خداه يشرقان اشراقاً الحرير اللامع ، وأصبحا
ناعمين نعيمته . وارتدى أولاً معطفه الرسمي بثون
الثوت ، ومن ثم وضع معطفه المصنوع من جلد النمر
وراح نالاً على السلم والعامد طوال هذه الآونة واقف
على خدمته ودخل العربة . وبقرفة عالية انطلقت العربة
من المنطق الى الشارع . ورفع كاهن قبعته اذ مرت
العربة عليه ، واخذ بضعة من الصبية ببلايس كنييسة
يصيحون طلباً لنس . من الاحصان اللثامي . ولكن
الساخن لمح بذلك منهم يوشك أن يتعلق برقرق العربة .
ففرق بسوطه ففترت العربة بسرعة متزايدة على الارض
المبلطة . واخيراً نفس المسافر الصعداء عندما لمح
عن بعد بداية الطريق الضياء التي تبشره بنهاية
الطريق المبلط ونهاية مناعب أخرى شتى . ولم يكن
تشينشيكوف يصدق أن يرى نفسه والعربة تدوج به

أحدهما ويبدو أنه معتز بذكائه أكثر من زميله وله
لمحة تشبه الأسطين ، وقال :

ربما كنت تعني مانيلوفكا - لا زامانيلوفكا ؟
- أجل ، أجل ، مانيلوفكا .

- مانيلوفكا ، أية ؟ عليك أن تتابع السفر فرستيا
آخر ، وعندئذ ستراها أمامك مباشرة إلى اليمين .
مردود السائق الصدى يقول «إلى اليمين ؟»

فاكد الفلاح قائلا «نعم إلى اليمين . أنك في الطريق
الصحيح إلى مانيلوفكا . لكن زامانيلوفكا - لا وجود
لمكان بهذا الاسم . فالقرية التي تصنيها تدعى مانيلوفكا
لان اسمها مانيلوفكا ، لكن لا وجود لقرية باسم
زامانيلوفكا . والبيت الذي تعنيه يقع هناك على تلك
الرابية . وهو بيت مبني من حجر ذو طابقين يمشي فيه
سيد ، اسمه مانيلوف . ولكن زامانيلوفكا غير موجودة
في هذه النواحي ، ولم تكن موجودة في يوم من الأيام .»
وهكذا شرع المسافرون في التفتيش عن مانيلوفكا .

وبعد أن ساروا فرستين آخرين وصلا إلى بقعة تتشعب
منها طريق فرعية ، غير أنهم ساروا في الطريق الفرعية
فرستين وثلاثة ثم أربعة قبل أن تلوح لهم أولى علامات
البيت البحري ذي الطابقين . عندئذ تذكر تسيشيبكوف
مجاهة أن الصديق إذا دعا صديقه إلى زيارته في بيته
الريفي وقال له بأن المسافة إليه خمسة عشر فرسنا
وجب أن ينهم من ذلك أن الساعة لا تقل عن الثلاثين .
أن موقع قرية مانيلوف لا يحلو لكثير من الناس ، وكان
بيت السيد على مرتفع منعزل مكتشف ، تصرب فيه

الرياح من أي ناحية هبت . وعلى سفح المرتفع 'زروع'
خشيش أخضر جاز المنص عليه في التطلع ، بينما
انتشر هنا وهناك حوضان أو ثلاثة أحواض من الزهور
على الطراد الاجليري فيها أضغاث من البنفسج والطلح
الأسفر . وكانت هناك أيضا خمس أو ست من أشجار
اليتولا ذات فروع هزيلة الاوراق . وتحت اثنتين من
هذه الاشجار عريش بقية مسطحة خضراء ودعائم خشبية
معمورة باللون الأزرق ، ولوحة كتب عليها «هذا صيد
التفكير الوحيد» . وعند أسفل السفح كانت بركة
مطربة باللون الأحمر - فالبرك ذات الطلاء الأحمر هي
السطر المألوف المتكرر في حدائق الملايين الروس
وعند سفح المرتفع وفي بعض المواضع من منحدره
تمتد سلسلة من الاكواخ الخشبية من جذوع الاشجار ،
والتي ابتداء بطلنبا - لسبب لا يعلمه أحد -
باحصائها . وقد أحصى حنتين أو أكثر ولكنه لم يشاهد
بينها عيرقا واحداً أخضر . كل ما كانت تقع عليه العين
هو جذوع الاشجار التي بنيت منها تلك الاكواخ . لقد
كان المنظر كئيبياً حقاً لولا امرأتان فلاحتان وضعتا ذيلي
ملابسهما بشكل يسترعي الانتباه ، واخذتا تموضان في
ما البركة حتى ركبتيهما ، وهما تجران شبكة صيد
منقورة ذات مقابض خشبية وقد 'علقي' بين ثناياها
سرطانان واسماك صميرة نهوية بقشورها البراقة .
ويبدو أن الرأتين كانتا على خصام شديد لسبب ما لأن
البيد العاد كان قائماً بينهما ، ومع الاتفاق على إحدى
ناحيتي البيت كان يبدو شبح غابة الصنوبر الاروق

الانتمى . وحتى الطقس كان منسجماً مع تلك الظروف
 فلم يكن اليوم ملبساً ولا بالثياب . ولكن الساتر
 مكسو باللون الرمادى الذى تمده فى ملابس العسود
 الحرس الذين قضوا فى الخدمة عهداً طويلاً . وتمردوا
 السكر ايام الاحاد . واكسلا للوحة التى وصفناها . كان
 الديك يدير التقلبات الحرة . موحداً . ومع ان عذبه
 كان عارياً . نظراً الى ان الديوك الاخرى قد نقلته لآخر
 تتعلق بالشماعة . الا انه دمرف بجناحين اجردى
 كيرفع قديم . وزعق بالصوت عالياً . وما ان اعترب
 تشبثيكوف من البيت حتى وقع بعرضه على مضربه
 مرئياً مطلقاً رسماً احمر ووافاً على الترفه . واصفاً
 احدى يديه على عينيه لكي يقيهما اشماع الشمس
 ويصبح فى امكانه ان يستوضح المربة العادة
 وبالقدر الذى كانت فيه العربة تقترب من الترفه كان
 يبدو الابتهاج فى عينى المضيف وتزداد ابتسامته
 عرضاً .

وما كاد يقع نظره على تشبثيكوف وهو يهبط من
 العربة حتى صاح قائلاً « ياغبيل ايغانوميتشى . لم يكس
 يدور بخلفى انا منخطر لك على باله » .
 وتماق الصدقان عناقاً حاراً . ثم قاد مانيلوف صبيته
 الى قاعة الاستقبال . وسوف اغتمم الفترة القصيرة التى
 سيفضيها فى اجتياز القاعة والغرفة الامامية وغرفة
 الطعام . لاحاول ان اتحدث شيئاً عن رب البيت . ولكن
 امراً كهذا مل . بالصعاب . وهو اكثر سهولة من تصوير
 شخصية من الشخصيات البارزة التى لا تحتاج عساه

وسمها الا الى اخلاء شتى الألوان عليها . كان تقول .
 المينان سوداوان ملتفتان والعاجيان لميلتان بانتسان
 والجهة تملوها التجاعيد والصباء سوداء او حمراء قانية
 مربة على الكف . وما الى ذلك . اجل ان ملاكى الاقنان
 الروس كثير المند جداً . ومتشابهون . ومع ان
 دراستهم العميقة المتلصقة مستبعدة لا خصائص غريبة
 عديدة للأفراد منهم . الا ان وصفهم من الصعوبة بكان
 عظيم . وعلى من اراد ذلك ان يستترف جهده العقلى
 حتى آخر قطرة قبل ان يصبح فى استطاعته معرفة
 ملاصق الوجه الدقيقة التى لا تكاد ترى والتى تتميز
 بها هذه الطبقة . وباختصار . يتعتم على العز . قبل
 ان يقوم بهذا العمل . ان يسير نحو هذا الموضوع اهدأ
 طويلاً ببطانة حادة ونظر بعيد عميق .

الله وحده يعلم حقيقة شخصية مانيلوف . ان هناك
 فئة من الناس يطبق عليها المثل القائل « لا هو من العبر
 ولا من النفر » . لهذه الفئة يجب ان ننسب مانيلوف .
 كان مظهره الخارجى على قدر كبير من الوسامة لا يتنصه
 شئ . من اللطف . ولكن هذا اللطف مضاف اليه قسم
 كبير من عنصر السكر . بحيث اصبحت كل لحة من
 لسانه وكل وضع من اوضاعه تدل على رغبة من
 التمازج وشوق لربط اواصر الوداد .

كان ذا ابتسامة مغرية وشعر اشقر وعينين زرقاوين
 واذا ما بدأ المرء بالحدث معه . فان ابتسامته المحيية
 وشعره الكتانى وعينيه الزرقاوين تجعل المرء يقول عنه
 فى اللحظة الاولى « ياله من رجل لطيف محبوب » . لكنه

في اللحظة التالية سوف يشعر بأنه غير راضٍ في أن يقول شيئاً ، أما في اللحظة التي تلي ذلك فلن يجد أمامه ما يقول إلا « الشيطان وحده يعلم ما هو هذا الإنسان » . وإذا لم يسرع المرء بتركه لمسيب من الأسباب فما لا شك فيه أنه سوف يحس بذلك السأم القاتل الذي يشعر به كل إنسان إذا ما عرف أن ليس هناك من جديد أو طريف في وضع من الأوضاع وأن عليه أن لا ينتظر أية كلمة حية أو متحركة يتدفق من شفهي إنسان آخر اكتشفت هويته . ولكل إنسان هوية . وهوية البعض تربية الكلاب ، وهوية آخر الاعتقاد بأنه محب للموسيقى وأن باستطاعته أن يسر هذا الفن إلى غوره ، وآخر أن يظهر بظهور الغبير بأصوات الماكولات الطيبة ، وهوية آخر الطلوح في أن يلعب في هذه الحياة دوراً أكبر من ذلك الذي خصصته له الطبيعة . وهوية آخر (وهذا أقل طموحاً) قد تكون في النوم ليحلم - أنه ينتزه في السواوح مع ضابط كبير أمام إحصار أصدقائه وغير أصدقائه . وقد تكون هوية آخر أن تصبح يده قادرة على خدش طرف الأسفسي أرواق اللهب ، وقد تكون هوية إنسان آخر أن يصبح الأدمى في تصايفها ، ويتخرب من شخصية مدير محطة تبديل الغيول أو الحوذية . ويحتصار لكل إنسان هوية وميل - إلا ما تيلوف ، فلم يكن له شيء من هذا القليل . فقد كان في البيت قليل الكلام وكان يمسح القسم الأكبر من أوقاته في التفكير - أما مضمون هذا التفكير فلا يصله إلا الله . ولا أستطيع أن أقول بأن

كان يهتم بأمور مزروعاته لا في الكثير ولا في القليل ، لأنه لم يذهب لتفقد ما قط ، وكانت المزرعة عليلية هي التي تدبر نفسها . وإذا قال له مأمور أملاكه يوماً « قد يكون من المستحسن أن نصلب النسيء الفلاس » أجابه قائلاً ، « أتم أنها فكرة لا بأس بها » ثم يأخذ في تمخين لحبونه - وهي عادة اكتسبها أثناء خدمته في الجيش حين كان أترابه ينظرون إليه على أنه ضابط محترم مرفق رقيق الحاشية . ومن ثم يكرر قائلاً « نعم أنها فكرة لا بأس بها » . وإذا ما جاء يوماً فلاح واقترب منه وهو يحك مؤخرة عنقه وقال « سيدي ، أسمح لي بأجارة لكي أذهب واشتغل لنفسي حتى أجمع ضريبتى » كان يجيبه حالاً بقوله . « أجل ، اذهب » ولن يتعصب نفسه في التفكير عما إذا كان هدف العلاج الحقيقي الذهاب للمسكر في العانة . وقد كان في الوامع يقف ، في بعض الأحيان في الشرفة وينقل بصره من الساحة إلى البركة ويقول لنفسه ، كم يكون رائعاً في الحقيقة لو أن ممرأ شق تحت البركة . وأن يصب جسر حجري فوق البركة حياة أيضاً . وأن تقوم في لمسح البصر حوائث ، فيها جميع مستلزمات الفلاحين الضرورية . وفي لحظات كهذه تبدو في عينيه علامات النصر وعلى ملاعبه أمارات الرضى العميق . غير أن هذه المشاير لم تدم مرحلة التأمل إطلاقاً . وبالمثل ، ففي مكتبته كتاب مفلوب أبداً على الصفحة الرابعة عشر . أنه الكتاب الذي كان ولا يزال يقرأ فيه في السنتين الأخيرتين ، أما قصره الجميل فكان يبدو أن هناك شيئاً

ينقصه على وجه التعميم . فمع أن غرفة الاستقبال مثلا . كانت مليئة بالآثاث الحريري الجميل الذي كلف مبالغ غير قليلة . فقد كان فيها كرسيان لا مغطيا . لتقدمهما بل حصيرة من ليف . إلا أن رب البيت كان قد اعتاد في السنوات القليلة الماضية أن يغير ضيوفه من الحلوس عليها قائلا «لا تجلسوا على هذين الكرسيين . لم يتم إيجارها بعد» . وهناك غرفة أخرى خالية من الآثاث . مع أنه في الأيام الأولى التي تلت عرسه قال لزوجته «نغدا يا عزيزتي سوف نجلب بعض الآثاث لهذه الغرفة . ولو كان آثانا مؤقتا» . وفي كسر أمية يضع القدم على مائدة غرفة الاستقبال شمعداثا يروزيما لطيفا مزينا بالصدف عليه تالوث الجسد وشمعدانا عاديا عتيقا من نحاس تملوه طلبة كنيشة من الأوساخ . إلا أن أحدا لم يفكر في هذا الموضوع . لا رب البيت ولا ربه ولا أحد من الخدم . وفي الوقت نفسه كان مايكلوف وزوجته راغبين عن بعضهم البعض كل الرضى . فقد مر على زواجهما أكثر من تسع سنوات . إلا أن كل واحد منهما كان دائما وأبدا يقدم للأخر قطعة من التماح أو الحلوى أو الجوز . وهو - أو هي - يتسم كلمات عاطفية صادرة من أعماق القلب . كانت الجسلة التي يردانها هي الجسلة المحفوظة الثانية «افتحي (أو امتح) فك يا عزيزتي (أو يا عزيزي) ودعي اضح فيه هذه القطعة وعلى القاري أن يتأكد أن الفم المرير كان يفتح بكل دلال . وإذا جاء عيد ميلاد الواحد منهما كان الآخر يقدم له هدية المفاجأة ككبس

مزين بالفرز لحفظ تسليك الاسنان أو ما مائل ذلك . وإذا ما كانا يجلسان معا على الدبوان فانه . مجبأة ونسب غير معروف . يصح لغيره جانبا وهي بدورها تلقى ما في يديها من شغل الصوف (إذا حدث أن كان أحدك بين يديها) ويتعاقب الزوجان ليطلع كل واحد منهما على شغلي الآخر قبلة عاترة طويلة يستطيع المرء انبائها أن يدخن سيجارا صغيرا . وباعتصار . كانا من النوع الذي يطلق عليه «زوجين سعيدين» . إلا أنه يجب أن نذكر هنا أن الزواج السعيد يتطلب أموراً أخرى يهتم بها الزوجان غير السانقة واعداد الهدايا السانقة . أجل . هناك أعمال يجب أن تحظى باهتمام الزوجين . فلماذا ينظن مثلا . بأن اشراق ربة البيت على شؤون المطبخ أمر معيب أو عاسي بالكرامة ؟ ولماذا لا يصرح الاهتمام الكافي إلى الحمارن ومستودعات البيت لكي لا ينقص من مستلزماته شيء ؟ ولماذا تعطى الفرصة للغيرماتة في البيت لكي تسرق ما فيه ؟ ولماذا ييخر في البيت خدমে المهملون السكراري ؟ ولماذا يسمح لهم بالنوم والرغبة طول الوقت ؟ لكن لا شيء من هذه الأمور جدير بالاعتناء في عيني مدام مايكلوف لأنها كانت قد تربت تربية رافية . والثريفة الراقية - كما نعلم - موجودة في المداوس الداخلية . والمداوس الداخلية - كما هو معروف لدى الجميع - ترى أن أسس الطبيلة تقوم على ثلاثة ميادى رئيسية هامة . اللغة الفرنسية (وهي أمر لا غنى عنه للحياة الزوجية) . والعرف على البياو (وهو أمر ضروري لتسليمية الروح في

أوقات الفراغ ، وذلك الفرع من التدبير المنزلى الذى يختص بحياكة المحطات واعداد المفاجآت . على أية حال ، فقد بدأت الاصلاحات والتغييرات تحتل مكانها فى هذه المؤسسات فى الوقت الراهن لأن الامور فيها أصبحت تدير وفق رغبات القائلين عليها وحسب آهوائهم الشخصية . وفى بعض هذه المعاهد مثلا ، أصبح المزف على البيانو يحتل المرتبة الاولى والفرنسية تحتل المرتبة الثانية أما التدبير المنزلى المذكور اعلاه فيأتى فى المرتبة الأخيرة . بينما نجد فى معاهد أخرى ان حياكة هدايا المفاجآت تحتل الدرجة الاولى تليها اللغة الفرنسية ثم المزف على البيانو - الى هذه الدرجة بلغ الاختلاف فى الانظمة السائدة ! ومع ذلك فيمكن ان أقول ان مدام مانيلوف . . . لكننى يجب ان اعترف باننى أخشى دائما ان اتحدث الكثير عن السيدات وبالإضافة الى ذلك فقد حان الوقت لكى نعود الى بطليا اللذين كانا واقفين فى الدقائق القليلة الماضية امام باب غرفة الاستقبال يتباريان فى تقديم بعضهما البعض فى السبيل الى الدخول .

قال تشيتشيكوف «أرجو أن تتكرم بالدخول وان لا تزعج نفسك يسميى ، فسوف آتبعك» .
فاشار مانيلوف الى الباب وقال «لا يا باقىس ايلانوفيتش ، لا ! انك ضيفى» .
فقال تشيتشيكوف «لا تجعل من هذه المسألة أمراً كبيراً ، أرجو لا تجعل منها أمراً كبيراً وان تفصل بالدخول فى» .

«انى ان اقبل ، فارجو عفوك . اتنى لن اسمح لنفسي بان اتقدم على ضيف عزيز مذهب ، مثلك ، اطلاقاً» .
«ولماذا تصفنى بالمذهب يا سيدى العزيز ؟ أرجو ان تغفل» .
«كلا ، لن يكون ذلك ، تغفل» .

«ولماذا ؟»
«نستم مانيلوف ابتسامته الحلوة ، وقال «للمسبب الذى ذكرت» .
وأخيراً دخل الصديقان سوياً بجانبيهما يزحم أحدهما الآخر بمس الشىء» .

وامتأنت مانيلوف حديثه قائلاً «اسمح لى ان اقدم لك زوجتى» . وقال لزوجته «هذا بافيل ايلانوفيتش يا عزيزتى» وفى تلك اللحظة وقعت عيننا تشيتشيكوف على سيدة كان قد سها عن رؤيتها حين كان يتبادل الانحناءات مع مانيلوف فى مدخل الباب . لم تكن قبيحة المنظر قط ، وكانت ترتدى ثوباً من الحرير الملون ، وعندما دخل الزائر الفرفة رمت من يديها الصغيرتين شيئاً على المائدة وامسكت بمنديل من الشيت قبل ان تنهض من على الديوان الذى كانت تجلس عليه . وأخذ تشيتشيكوف يدها بشير قليل من الارتياح ، وراح يستمع اليها وهى تحدثه بلشفة بسيطة فى اللفظ ، وتخبره أنها هى وزوجها يشعران بالامتنان العظيم لضيافته ، وان زوجها فى المدة الأخيرة كان يذكره كل يوم .

وأكد مانيلوف هذا الحديث بقوله «وفى كل يوم

فأكد تشيتشيكوف هذا بقوله «تماماً . انه في غاية
الأنس والوداعة . ويا له من فتان ! لم أكن أتصور انه
يستطيع ان يعمل هذه الاشغال اليدوية المنزلية التي
عملها ! ان بعض اشغال الابرار التي اطلعني عليها لا
تستطيع سيدة في البلاد ان تجاريه فيها ؟»

وتسأل مانيلوف محمضاً عينيه مرة أخرى «ونائب
حاكم الولاية ، انه شخص لطيف . اليس كذلك ؟»
فأجاب تشيتشيكوف «جداً جداً ! انه شخص عظيم
حقاً» .

«وما رأيك في رئيس الشرطة ؟ اليس هو في الواقع
إنساناً طيباً خلوفاً جداً ؟»

«طيب ، خلوق بكل تأكيد . ويا له من انسان بارع
واسع الاطلاع ، لقد لعبت معه ومع المدعي العام ورئيس
المجلس المحلي الوست الى ان صباح ديك الصباح
صباحه الأخيرة . انه لشخص رائع .»

وتسألت مدام مانيلوفا «وما رأيك في زوجته ؟
اليس شخصيتها من اللغظة على قدر كبير ؟» فوافق
تشيتشيكوف قائلاً «انها من احسن من عرفت» .

ولم ينس الجمع في حديثهم رئيس المجلس المحلي
ومدير البريد ، حتى مروا بذكر موظفي المدينة كلهم .
وقد تبين في كل حالة من هذه الحالات ان هؤلاء
الموظفين في اسمى درجات الكفاءة .

ثم تسأل تشيتشيكوف قائلاً «وهل تقضى وقتك
كله في الريف ؟»

فأجاب مانيلوف «معظم الوقت ، مع اننا أيضاً نقوم

كانت تسألني - ولماذا لم يطل علينا صديقك حتى
الآن - وكنت دائماً احييها قائلاً - انتظري قليلاً يا
عزيزتي ، فلن يمر وقت طويل حتى يأتي - وما انت قد
جئت ، ما انت قد شرفتنا بهذه الزيارة ، وما انت قد
اغدقت علينا البهجة الكبرى ، بهجة تجعل هذا اليوم
عيداً ، اجل انه عيد ميلاد القلوب» .

وما ان سمع تشيتشيكوف ان المسألة قد تطورت
بحيث أصبحت عيد ميلاد القلوب حتى اعتراه بعض
الارتباك . فأجاب اجابة متواضعة بأنه لا يعتز باصل
ممتاز ولا برتبة ممتازة ، ولكن مانيلوف قاطعاً
بأبسامته الأسرة قائلاً ، «انك لكذلك ، بل اكثر من
ذلك» .

وتسألت مدام مانيلوفا ، «وكيف رأيت مدينتنا ؟
هل قضيت فيها وقتاً طيباً ؟»

فأجاب تشيتشيكوف «اجل ، انها للطيفة جداً ، وقد
اعجبتني فيها كرم أهلها» .

«وما رأيك في حاكمنا ؟»

واضاف مانيلوف «الا تراه شخصية عظيمة ساحرة ؟»
فقال تشيتشيكوف «انه لكذلك ، وهو في الحقيقة
وجل يستحق كل احترام . ويا للدقة التي يقوم بها
بانجاز مهامه حسب ما يرشده اليه عقله الثير ! ليت
في البلاد الكثير من امثاله ؟»

فابتسم مانيلوف وأغض عينيه نصف اغماضاً
كأنه انتى يداعبها صاحبها من خلف اذنيها ، وقال ،
«يا لمروعة التي يقابل بها كل انسان» .

بزيارات للمدينة بغية الاختلاط مع الطبقة ذات النسبة
الحسنة . ان المرء ليعلم الصدا اذا ما سيجيا حيا:
المرلة» .

فوافق تشيتشيكوف قائلا «ان هذا صحيح» .
فتابع مانيلوف يقول «اجل هذا صحيح» وفي الوقت
نفسه سيكون الامر مختلفا فيما لو كان هناك جسر
واحد - أى ان يكون هناك صديق مثقف يستطيع
الانسان ان يبحث معه فى الاخلاق والآداب او ان
يتجادل معه فى فرع من فروع العلم ، لكي يحرك المرء
عقله . لان هذه الامور تبث الحيوية فى الانسان
ان ، ان . . .» ووجد نفسه ضائعا فى التفكير عن
كلمات يعبر بها عن مشاعره واشار اشارة تدل على
انه قد ذهب بعيدا فى الموضوع ، واستمر يقول ان
ما اعنيه انه لو كان ذلك الشيء موجودا ، فأننى سوف
أجد متعة كبيرة فى العيش فى الريف . ولكن شيئا
كهذا فى الواقع غير موجود ، وكل ما استطيع عمله هو
اننى فى بعض الاوقات أقرأ مجلة «ابن الوطن» .
وقد وافق تشيتشيكوف على هذه الشاعر موافقة
كاملة ، واضاف الى ذلك يقول بان من المبهج حقاً
للانسان ان يحيا حياة العزلة اذا ما استطاع ان يقص
اوقانه بين التأمل فى الطبيعة وقراءة الكتب .
ولكن مانيلوف استترك قائلا «ولكن هذا كله لن
يساوى شيئا اذا لم يجد المرء صديقا يشاطره الحياة» .
فوافق تشيتشيكوف على ذلك ايضا بقوله «حنا
حقا ، بما فيية كنوز العالم كلها بدون صديق . وفيه

قال أحد الحكماء - الكثر الشمين لا يفنيك عن الصديق
الأمين» .

هنا بدت على وجه مانيلوف اشرافه ليست حلوة
وصب ، وانما لها صفة المزيج الذى يخلطه الطبيب
الحاقد بالنداء المر فيجعله حلوا عندما يريد ان يسقيه
للمريض الوجع . وقال «اجل يا بافيل ايفانوفيتش ، لا
اطنك تستطيع ان تتصور أى سعادة او على الاصح اى
سعادة كاملة شاملة اغديتها علينا هذه العرصة العالية .
هى قد اتاحت لى ان احظى بسماع حديثك العذب وان
استمتع بهذا الحديث» .

فاجاب تشيتشيكوف «تلك تباليغ يا سيدى . اى
حديث عذب ! ما اما الا انسان ضئيل ، انى فى
الواقع لا شيء» .

نصاح الآخر «كفى يا يافيل ايفانوفيتش . اذا شئت
ان اكون صريحا معك فاننى اقول لك باننى سأكون
سعيدا لو اعطيت نصف ما املك مقابل ان احور على
قسم من هوايك» .
«على العكس من ذلك ، فاننا اعتبر ان اسمى شرف فى
العالم . . .» .

ولا يعلم الا الله طول المدى الذى كان سيمتد اليه
هذا الحديث الروحاني المتدفق المتبادل لو لم يدخل
أحد القسم ليعلم لهما ان الغداء جاهز .

وقال مانيلوف «بكل احترام ادعوك لامطحابنا على
المائدة . وانى لانتسى منك المغفرة لعدم استطاعتنا ان
نحضر لك احتفالا مناسبيا كما يفعلون فى المدينة او فى

وقال الأب «تيمستوكليوس ، هل لي ما هي أجمل مدينة في فرنسا؟»

وعندما سمع المعلم هذا السؤال ركز اهتمامه على تيمستوكليوس ، وكان يريد أن تقع عيناه على عينيه . ولم يجد على المعلم الهدوء إلا عندما لفظ تيمستوكليوس كلمة «باريس» فخفض رأسه وعاد مايلوف السؤال «وما هي أجمل مدينة في روسيا؟»

وعاد المعلم إلى وضعه السابق من الاهتمام والتركيز الشديدتين .

وأجاب تيمستوكليوس «بطرسبورج» .

«وما هي المدينة الأخرى؟»

فأجاب الصبي «موسكو» .

فالتفت تشيتشنيكوف إلى الأب وعلاّم الدهشة على وجهه «يا للصغير البارح ! ويا لسعة همرته في سن هذه السن ! عليّ أن أقول بأن مواهب عظيمة تكمن في هذا الطفل الصغير» .

فأبتهج مايلوف وقال «أنت لا تعرفه معرفة صحيحة بعد ، فإن حدة ذكائه تفوق التصور . إن أخاه الأصغر الكبد ليس في هذه الحدة من الذكاء . إنما الأكبر فإن عينيه تكادان تخرجان من رأسه كلما رأى شيئاً ، مهما كان ذلك الشيء - سواء كان عرساراً أو جندياً أو أي شيء آخر ، ويركض ليمسك بذلك الشيء . ويتفحصه إلى أعدته لتصب ديلوماسي» والتفت الأب إلى ابنه مرة أخرى وسأله «هل تحب أن تكون صغيراً؟»

العاصمة . فليس لدينا غير حساء الكرفس الروسى ، ولكننا تقدمه اليك من طيب محلص . تفصل بكلل احترام ، ارجوك» .

وبعد جدل طويل في تقديم الواحد على الآخر ففى الدخول إلى غرفة الطعام ، اجناز تشيتشنيكوف الباب وهو يسير وجته إلى الامام . ووجد طفلين ففى انتظارهما . كانا ولدي مايلوف ، وهما في سن يسمح لهما بالجلوس على الموائد ، إذا ما وضعت لهما الكراسى المالية الخاصة لهذا الغرض . وكان يقف إلى جانب الصبيين معذتهما الذي ابتسم وانحنى للضيف بكر ادب ، ومن ثم جلست ربة البيت أمام طبق حسائهما ، فأجلس صيف الشرف بينهما وبين رب البيت ، بينما أحد أحد القدم يربط القوط البيضاء على عتقى الطفلين . وحقق تشيتشنيكوف في الصبيين وقال «يا سحر هذين الطفلين ! كم عمرهما؟»

فأجاب مايلوف «الكبير في الثامنة أما الصغير معه اكمل السادسة أمس» .

والتفت الأب إلى الابن الأكبر ، وكان يجاهد في تحليل ذقته من العوطة التي لفته بها الخادم ، وقال «تيمستوكليوس» . وما إن سمع تشيتشنيكوف هذا الاسم الاغريقى الصرف (الذي كان الأب لسبب غير معروف يصح في آخره دائماً «يوس») حتى رفع حاجبه قليلا ، ولكنه سارع في اللحظة التي قلتها إلى استرجاع المظهر الملائم للملحة .

دائماً بقوله «شكراً» ، لقد اكلت فوق الكفاية . ان الحديث الطريف احسن من كل اطباق الطعام في العالم» . ونهض الجميع اخيراً عن المائدة . وكانت معنويات مانييلوف عالية جداً ، وقد وضع يده على كتف تشيتشيكوف لكي يسير به الى غرفة الاستقبال عندما أعلن الأخير فجأة انه يريد ان يجادته في موضوع هام جداً .

قال مانييلوف «اذا كان الامر كذلك فاسمح لي ان ادعوك الى مكتبي» وسار به الى غرفة صغيرة تطل على القاعة الزرقاء ، وأضاف قائلاً «هذا مكتبي» . قال تشيتشيكوف «يا له من مكتب رائع!» وراح يتفحص الغرفة بعناية .

والواقع انه لم يكن ينقصها أي جمال . كانت الجدران مطلية بلون بين الازرق والرمادي . وكان فيها من الأثاث أربعة كراسي ومقعد ومنصدة - وكان على الأخيرة بضعة أوراق بيضاء والكتاب الذي سنحت له فرصة سابقة ان اتحدث للقاري عنه . ولكن اهم ميزة للفرقة باووة فيها بشكل ملحوظ هي التبغ . فقد كان يبدو فيها بظواهر مختلفة - محفوظة في علب من الورق ، وفي اوان خزفية ، وعلى شكل اكوام مثورة على المنصدة . اما على حافة الشبايك فقد صفت اكوام صغيرة من الزماد مرتبة بشكل لا يخلو من فن وقى صنوف فيها شيء من الانتظام . من الجلي ان التدخين كان متعة يقتضى فيها وب البيت اوقاتاً طويلة .

فقال ثيممستوكليوس وهو يمشغ قطعة من الخبز ويحرك رأسه من جهة الى أخرى «نعم ، احب» وفى هذه اللحظة انبرى الخادم الواقف خلف مسير المستقبل ومسح فمه بالفرطة . وقد احسن صنماً بعمله هذا ، بلولاه راد طبق الحساء الموجود أمامه نقطة غير طريفة الشكل ولا التكوين . وتحول الحديث بعد ذلك الى مباحث الحياة الهادئة ، أولاً ان ربة البيت كانت تقاطعه بالحديث عن التمثيل والممثلين في المدينة . وكان المعلم اثناء ذلك يركّز بصره على وجوه المتكلمين ، واذا ما لاحظ ان الجمع على وشك الصك فتح قمه واخذ يصحك بحماس . وقد يكون صاحب غرفة الجميل اراد ان يكافئ مستخدمه على المداولة الحسنة التي يلقاها في منزله . مهما يكن من امر ، معى فترة من الفترات علت وجهه امارات السيوس والتقلب ، وسدد نظره على الولدين الجالسين أمامه وقرع المائدة قرعة رميئة . حدث ذلك عندما رأى ان ثيممستوكليوس عض الكبد من أدنه . فقلب الكبد المذكور عينيه وفتح فمه استعداداً للبكاء بصوت يستدعى الشفقة . وما أن أدرك أن اجراء كهذا قد يترتب عليه حرمانه من طبق اكله حتى سارع الى اعادة فمه الى الوضع الطبيعي وراح ، والدموع تتساقط من عييه ، ينهش قطعة من عظم سمرعان ما غطى دهنها خديه . بينما كانت ربة البيت بين الأوتنة والأخرى تلتفت الى تشيتشيكوف قائلة «ابك لا تاكل شيئاً ، ان ما اكلته لقليل جداً» . ولكن الضيف كان يجيبها

وقال مانييلوف «اسمح لي أن أقدم لك هذا المقعد لتجلس عليه . وسنتهم بالهدوء هنا أكثر» .
«ولكنني أفضل الجلوس على هذا الكرسي» .

فاعترض مانييلوف قائلاً «أنني لن أسمح بذلك . فاني احتفظ بهذا المقعد خصيصاً للضيوف . وسواء حلاك أم لم يحل» ، فيجب أن تجلس عليه» .

وبناء على ذلك انصاع تشيتشيكوف .

«ودعني أقدم لك غليوناً» .

فاجابه تشيتشيكوف بكل أدب وبظهر الأسف «اني لا أدخن إطلاقاً» .

فتسأل مانييلوف بأدب وبأسف أصيل «ولماذا؟»
«أنني أخشى أن اكتسب هذه العادة . ويقال إنها تورث الرئتين الجفاف» .

«أذن فاسمح لي بأن أقول لك بأن هذا غير صحيح . بل أستطيع أن أقول بأن تخيّن الغليون هو أحسن للصحة من استنشاق الصعوط . لقد عرفت في كتيبتنا ملازمًا مهذبًا ممتازًا كان لا يستطيع أن يرفع الغليون من فمه ، سواء كان على مائدة الطعام أو كان ، لا مؤاحدة ، في محلات أخرى . إنه الآن في الأربعين ويتمتع بصحة الله بصحة لا يتمتع بها شخص آخر» .

فاجابه تشيتشيكوف بأن هذا الشيء مقبول ، لأن الطبيعة فيها الغار لا يستطيع أكبر عقل بشري أن يفهم لها تفسيراً .

ثم قال «اسمح لي أن أطرح عليك سؤالاً» وبدأ في صوته نغم غريب أو في الواقع كان غريباً . وليسيسب

غير معروف نظر من فوق كتفه . وليسيسب غير معروف نظر مانييلوف من فوق كتفه أيضاً .

والتي الضيف سؤاله يقول «منذ متى قمت للحكومة الإحصاء الأخير ؟»

«منذ مدة طويلة ، طويلة جداً . انني لا أذكر في الحقيقة متى كان ذلك» .

«ومنذ تلك الفترة ، هل مات الكثير من أقتانك ؟»
«لا أعرف . إذا شئت أن أتأكد لك من ذلك يجب أن أسأل مأمور الأملاك . أيها الغادم ، اذهب وتاد مأمور الأملاك . كان لا بد أن يكون اليوم موجوداً هنا» .

وجاء مأمور الأملاك آخر الأمر . كان يقارب الأربعين من العمر ، حليق الذقن ، يرتدي معطفاً رسمياً ، ويبدو على سيماه أنه اليق الراحة . نظراً إلى أن وجهه كان من ذلك النوع الممتلئ الناعم ، كان لون الجلد السطيف

بشميه الصغيرتين الشبيهتين بشمقين شاحباً مما يدل على أن صاحب هذه اللامع اليق فرائش من ويش النعام . وهي لمحة البصر يترك الإنسان أنه لعب في

الحياة النور الذي يلعبه أضرايه المأمورون الآخرون .

أي أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

أى أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

أى أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

أى أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

أى أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

أى أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

أى أنه كان في البداية قساً حاز على قسط من التعليم

وتزوج وصيفة أو خازنة أثيرة عند ربة البيت ، ومن ثم أصبح نفسه خازنا وارتقى تبعا لذلك الى رتبة مامور . وصار بعد ذلك على الطريقة التي يسير عليها أبناء عشيرته - أى أنه وقف مع الاقنان الاقوياء في المزرعة وجاراهم وأضاف أسماء الفقراء المستضعفين منهم الى قائمة دافعي الضرائب الاضائية بينما كان هو نفسه يقادر العراش في التاسعة صباحا ، ينتظر السناور وشرب الشاي في هدوء هال .

وسأله مانيلوف «اسمح ليها الرجل الطيب ، كم مات لدينا من الايمان منذ الاحياء الأخير ؟»
«كم مات منذ الاحياء الأخير ؟ عدد غير قليل» . وناق ووضع يده على فمه .

فايند مانيلوف هذا الغير بقوله «أجل ، هذا ما كنت اتصور : فقد مات عدد غير قليل منهم في الواقع»
والتفت الى تشيتشيكوف وكرر القول مرة أخرى .

فتسأل تشيتشيكوف «كم يبلغ الرقم مثلا ؟»
فرد مانيلوف صدى قائلا «نعم - كم يبلغ الرقم ؟»
فرد المامور الصدى للمرة الثالثة «كم يبلغ الرقم ؟ لا احد يعرف الرقم الصحيح ، لأننا لا نحفظ بسجلات لهذا الغرض» .

فقال مانيلوف «تماما كذلك . انى اعرف بمدى الوقيات عالية ولكنى اجهل الرقم الصحيح» .

فقال تشيتشيكوف «فهو لك ان تدى لي سرودا فتعنى لي لائحة تفصيلية باسماء الموتى منهم ؟»
فوافق مانيلوف «أجل ، سأفعل - لائحة تفصيلية» .

فقال المامور «سمعا وطاعة» واحنى رأسه وخرج . وبعد خروجه تسأل مانيلوف «ولاي غرض تريدنا ؟»

ويبدو أن السؤال قد أخرج الصيف ، اذ ان ملامحه تغيرت واحمر وجهه كما لو كان يجاهد بضية التمييز عن امر ليس من السهل وضعه في كلمات . وقد شاء التقدر لأدنى مانيلوف ان تسمعا امرا غريبا عجيبا لم يطرق مسبح انسان من قبل .

وراح تشيتشيكوف يقول «تسألنى لاي سبب أريد اللانحة ؟ ان غرضي منها هو هذا - هو اننى أريد ان أشتري بضعة اقنان» . قال ذلك وهو يقلع حديثه تقطعا .

عندئذ تسأل مانيلوف «ولكن هل لي ان اسالك كيف تريد ان تشتري الاقنان ؟ بالأرض التي هم عليها أم تريد ان تنقلهم الى أرض أخرى - أى ان تشتري البنفس فقط ؟»

فاجاب تشيتشيكوف «لا أريد الاقنان الاحياء بل أريد الموتى منهم» .

«ماذا ؟ أربو علك ، ان سمعى تقبل بعض الشيء . ان كلماك في الواقع تيمولى غريبة حقا» .

فقال تشيتشيكوف «أنا الذى أريد هو ان أشتري الاقنان الموتى الذين ورد اسمهم في لوائح الاحياء الأخيرة على أنهم احياء» .

فأسقط مانيلوف غليونته على الأرض وفتح فاه فترة من الزمن . ان الصديقين اللذين كانا قبل لحظة

يتطارحان عواطف الصداقة ومشاعر الوداد ، جلسا الآن
ساكنين يصدق أحدهما في الآخر كصورتين متشابهتين
من تلك التي كان توضع منذ قديم الزمن على جاسي
المرأة في صالات الاستقبال . وأخيراً ، انحنى مانيلوف
لكي يلتقط غليونه عن الأرض ، ونظر من طرف حلي
إثناء ذلك إلى تشيتشيكوف ليرى فيما إذا كان هناك
أثر لابتسامة على شفاهه ، أي فيما إذا كان الرجل
يقصد الزواج . ولكنه لم يلمح أثراً لشيء من هذا
التعبيل . بل على العكس من ذلك ، رأى وجهه
تشيتشيكوف صارماً حازماً أكثر منه في أي وقت مضى .
وبالتالي ، أخذ مانيلوف يفكر فيما إذا كان ضيقه لسبب
من الأسباب قد فقد عقله ، وراح بناء على ذلك يصدق
فيه فترة من الزمن بقلق شديد . ولكن عيني الصعب
كانتا صافيتين مادتيتين خاليتين من تلك الرطوبة الدرية
القريبة التي تحوم في أعين المجانين . كان كل شيء
طبيعياً كما يجب أن يكون . وبناء على ذلك ، وعلى
الرغم من الاتجاه الذي سبعت فيه أفكاره ، لم يوجد
أفضل من أن يجلس نائماً من فيه دخان التبغ على شكل
عمود نحيف يخترق الهواء .

واكمل تشيتشيكوف يقول «وعلى هذا الأساس أريد
أن أعرف فيما إذا كنت تنوى أن تسلمنى هؤلاء الأفاع
- الذين هم في الواقع موتى ولكنهم يحكم القانون
أحياء» .

كان مانيلوف في حالة عيضة جداً من الاضطراب

النفساني والبلبلية الفكرية بحيث لم يجد ما يفعل إلا أن
يصدق في معادته .

ولكن تشيتشيكوف لاحظ يقول «أظن أنك سادو في
اضطراب لا لزوم له» .

فتتم مانيلوف قائلاً «أنا ؟ أوه ، لا ! أبداً ! انصبا
أرجو عفوك . فاني لم أفهمك تماماً . فانا لم أبخج حداً
من الثقافة اكتسب بها هذه الالامية التي - كما
يقولون - تتجلى في كل حركة من حركاتك . حتى أنني
لم أكن في يوم من الأيام قادراً على التعبير عما يمر
في نفسي بوضوح . وبناء على ذلك فقد يكون هناك
احتمال بأن وراء الكلمات التي لفظتها معنى آخر لا
استطيع ادراكه ، أو من المحتمل أيضاً أن تكون قد
جرت هذا الحديث بقية جمال الغالب الأدبي الذي
استطعت أن تضمه فيه» . فردو تشيتشيكوف مسرعاً
«كلا ، كلا ، أنني أفهم الوضع كما هو عليه ، بمعنى
تلك النفوس التي ماتت بالضبط» .

كان مانيلوف لا يزال يحس بأنه ضائع ، ولكنه
كان يشعر بأن عليه أن يفعل شيئاً ما - يجب أن يلقي
سؤالاً ما . أما ما هو هذا السؤال ؟ فالشيطان وحده
يعلم ! وانتهى آخر الأمر إلى الاكتفاء بنفث دخان التبغ ،
لا من فيه وحسب كما كان يفعل من قبل ، بل من أنفه
أيضاً .

واستأنف تشيتشيكوف الحديث قائلاً «وعلى ذلك إذا
لم تكن هناك عقبة تقف في الطريق فني امكاننا أن
ننقد صفقة البيع» .

«ماذا ؟ بيع النفوس الميتة ؟»

«النفوس الميتة ؟ طبعاً لا يا عزيزي ! أننا سنكتبهم في العقد أحياء لأن هذه هي حقيقتهم كما هي مدونة في سجلات الاحياء . انني لا اسمح لنفسى اطلاقاً ان اتجاوز حدود القانون . على الرغم من الاضرار التي لحقت بي في الخدمة من جراء ذلك . ان ارتباط المرء بتنفيذ القوانين في نظري هو شيء مقدس . انني امام القانون لا ابدى حراكاً» .

كان معمول الكلمات الأخيرة في نفس مانيلوف غير قليل ، ومع ذلك فأن معنى القضية كلها لم يزل في عينيه غير مفهوم . وانكب استجابة لذلك يسحب من غليونه بنصف شديد حتى يدا الأخير يصدر صوتاً كالزمار . وكأنه يريد أن يستلهم منه الروح ليدله على التصرف الصحيح في هذه المشكلة التي لم يسع بمنهلاً بشر حتى الآن . ولكن الغليون كان يزمر فقط ، ولم يكن ينزل من الروح شيئاً .

وقال تشيتشيكوف «ربما لديك شك في هذا المرض ؟»

فاجاب مانيلوف «لا ، ابداً ! ولكن ، اجل ، اظن انك ستسمح لي اذا قلت وارجو ان لا تحبل قولي على انه انتقاد لشخصك او تحامل عليك بأن . . . وارجو ان تسمح لي . . . بأن ال . . . أي أقصد هذا المشروع . . . هذه الصفقة . . . قد . . . قد تفشل بالمرّة اذا ما وجد انها تخالف الانظمة والقوانين وتطور ووسيسا بالذات» .

وراح مانيلوف بهزة بسيطة من رأسه ينظر في وجه تشيتشيكوف نظرة ذات معنى . وكان يبدو على ملاحه - بما في ذلك شفتاه المطبقتان على بعضهما اطباقاً محكمين - مظاهر التفكير العميق الذي لا ثراء على حياء انسان - اللهم الا اذا كان وزيراً في الدولة ويناقش في مسألة غاية في الخطورة .

ومع هذا فقد احابه تشيتشيكوف ببساطة بأن مشروع بيع الانفس الذي يبتشيه لا يتعارض بأي حال من الاحوال مع الانظمة والقوانين الروسية ، واصاف الى ذلك بأن الدولة نفسها سوف تنتفع من هذه الصفقة لالها سوف تتقاضى النسبة المئوية القانونية المعتادة .

فقال مانيلوف «وما الذي تراه الآن ؟»

«اني اعتقد بأن ذلك سيكون جيداً» .

وظهرت الآن على وجه مانيلوف امارات الاطمئنان الكامل ، وقال «اذا كان الامر كذلك فهذه قضية أخرى ليس لي عليها أي اعتراض» .

«اذن فلم يبق الا أن نتفق على الفئ» .

«الثنى ؟» - وقطع مانيلوف كلامه فجأة ، ثم استأنفه يقول «وهل أستطيع ان اتقاضي ثمناً عن نفوس في العلم ، على الأقل من وجهة نظر مينة . ونظراً لوجود هذه النزوة الغربية - اذا سمعت لي بأن استعمل هذا التعبير - المستحكمة فيك الى هذه الدرجة فالتني من ناحيتي على استعداد لتقديم هذه النفوس اليك دون قيد او شرط ، وسوف ادفع من جيبى كل التفتات اللازمة لاجراء المعاملة» .

وسوف يلومنى القارى "أشد اللوم فيما لو اغفلت ان اذكر له ان تشيتشيكوف لم يكسب يسمح هذه الكلمات من فم مضيفه حتى تلالا وجهه بامارات المبطة والارتياح ، وعلى الرغم مما هو عليه من الاتزان والطمأنينة فقد بذل مجهودا كبيرا جدا فى كبح جماح نفسه عمن القفز من موضعه كما تفعل الشاة التى يعرف الجميع قفزتها العالية جدا فى الحالات التى تكون فيها تشوتنها قد بلغت الذروة . على أية حال ، فان تشيتشيكوف ، بالرغم من ذلك كله ، تحرك حركة سريعة فى أشبه بالقفز ، مزق بها غطاء المقعد الذى كان يجلس عليه مما جعل مانيلوف يحدق فيه باندهاش . أما عرفان تشيتشيكوف بالجميل فقد قاده آخر الأمر الى الانجراف فى تيار من الحمد والشكران . تيار عنيف جدا مما اعاد اليليلة الى مضيله وجعل خديه يتصرجان بعمرة النجل ودعاه ان يحرك رأسه استعاضة من ان يكون قد عمل غير الواجب ، وان ينتهى الى التصريح بان هذا الاتفاق كله هو لا شيء ، وان رغبته الوحيدة هى فى ان يمثل لما يمليه عليه قلبه ثجاء المضاطيسمية النفسانية التى يحس بها نحو صديقه . أى باختصار ، كان يرى ان النفوس الميته شئ تافه لا يستحق الذكر .

فاجاب تشيتشيكوف «لا أبدا» . وهز يده ضاعطسا عليها . وتغلس بصق وقد شعر آنذاك بأنه فى وضع يستطيع فيه ان يثبت مكونات قلبه . استمر يقول بصوت يفيض بالعاطفة «آه لو عرفت أى ممرق اسديت بهذا الشئ الذى «لا يستحق الذكر» لشخص

تافه ، شخص وحيد حرمه الزمان من الامل والاقرارب اى مصيبة لم تصبىنى فى هذه الحياة ؟ لقد كنت المركب الثالث فى خضم نواكب الحياة وويلاتها . واى ثبور واى خطب لم يمر بى ؟ واى حسرة لم اذق مراراتها ؟ ولماذا ؟ لأننى كنت دائما وابدا أضغ الحق تصعب عينى . لأننى كنت دائما وابدا ذا مية صافية وضهير طاهر . لأننى كنت دائما امد يد العون للارملة الضعيفة واليتيم المحروم . وبمسد هذا السيل الجارف من العواطف لفياضة سحب تشيتشيكوف متديله ومسح دمة تترقق فى عيشه .

ولقد تحركت عواطف مانيلوف حتى اعماق الفؤاد ، فاختل الصديقان يصطفان على ايدى بعضهما البعض مرة تلو الأخرى ، وصفا فى صمت عميق جدا فان فى عيون بعضهما التى كانت تترقق بالدمع . وفى الحقيقة ، لم يكن مانيلوف بقادر على ترك يد بطلنا وإنما كان يتشبث بها بحرارة حتى ان البطل المذكور وجد نفسه فى حيرة وهو يفتش عن أحسن الوسائل لتخليص يده . ولكنه آخر الأمر تمكن من سحبها بطنف وقال ان اكمال الصقة بسرعة امر لا بأس به ، فيستطيع بناء على ذلك ان يعود الى المدينة لتسوية الأمر . فتناول قبعته ونهض ليلقى تحية الوداع .

فعاد مانيلوف الى تسه بجاة ، وأحس بشئ من الرهبة ، وقال «ماذا ؟ آانت ذاهب بهذه السرعة ؟» واذا بروجته فى تلك اللحظة نضطر داخل الغرفة . «يا فيل ايغانوفيتش يريد ان يتركنا يا عزيزتى

ليزبانكا» - قال مانيلوف بشيء من التوسل .
فأجابت - «يبدو أننا أورتناه الملل» .

فقال تشيتشيكوف واضحا يده على قلبه . «أبداً يا
لدام ، ففي هذا القلب سأحتفظ بذكرى جميلة للوقت
الآنيس الذي قضيته معكم . تبقى بانى لا أجد ثمرة
أكبر من أن أعيش معكم تحت سقف واحد وعلى الأرض
فى الجوار القريب» .

ويدو أن هذه الفكرة راقت لمانيلوف جداً ، فقال
«حقاً ؟ كم يكون رائعاً لو جئت تعيش معنا فى بيتنا
هذا . أننا سنتفيا ظل شجرة دردار ونجلس هنا نحدث
فى الفلسفة ونبحث الأشياء من أصولها» .

فتشهد تشيتشيكوف وقال «أجل أن هذا يكون حناث
التعجب !» ومع ذلك صانع لدام ، «وداعاً أيتها السيدة
الكرينة» ، وصاح المصيف «وداعاً أيها الصديق
العزیز . لا تنسى ملهى اليك» .

فاجاب مانيلوف «تأكد أنني لن أنسى . وسوف
نتقابل فى المدينة بعد يومين» .
وبهذا تحرك الجمع الى غرفة الاستقبال .

فوقعت عينا تشيتشيكوف على الصبيين وكانا يلعبان
بجندى خشبي مجدوع الأنت مكسور اليد ، وقال لهما
«وداعاً أيها الطفلان العزیزان ، وداعاً أيها الصغیران
اغفرا لى هذه المرة أنى لم أحضر لكما هدايا ، فما كنت
أعلم بوجودكما قبل زيارتى هذه . ولكنى عندما أحضر
المرة القادمة فلن أنسى أب أحضر لكما الهدايا التى
تليق بكما . سوف أحضر ك سيفاً يا تيمستوكليوس

أنت تحب السيف ، اليس كذلك ؟»
«نعم» .

«وانت يا الكيد ، سوف أحضر لك طيلاً ، أحسب
الطبل ؟» قال هذا وادار رأسه واستاء نحو الكيد .
فأرجع الصبي رأسه ولفظ قائلا «نعم» ، قل» .

«أذن طليكن طيلاً ، وای طبل جميل سيكون . إذا ما
فرغت عليه ميخول ترا ترا قرم قرم قرم . . . وداعاً
يا صغیرى» . وقبّل رأس الصغیر ، ثم التفت الى
مانيلوف وزوجته بابتسامة تدلها على مدى إعجابيه
بصغيريهما .

ثم خلا الثلاثة الى الشرفة وقال الأب «أظن من
الأفضل أن تبقى يا ياغيل ايغوفيتشى ، انظر الى السماء
أنها متلبدة بالغيوم» .

فقال تشيتشيكوف «أنها غيوم صغيرة لا شير منها»
«فوهل تعرف الطريق الى بيت سوبياكيفيتشى ؟»
«لا ، لا أعرفها ويسرنى لو دلتنى عليها» .

«أذن دعنى أخبر المسائق عن تفاصيل الطريق» . وهنا
حضر سيليفان ، وكان مانيلوف رقيقاً جداً معه بحيث
أحد يغاطيه بضمير المحاطب الثانى .

وما سمع سيليفان أن عليه أن يتعدى منعظين ثم
يسير فى الثالث ، حتى قال «حسن يا سيدى ، سنصل
الى هناك بسلام» . وانطلق تشيتشيكوف وسط عاصفة
من التبعيات والتهافتات وتلويح المناديل - كان يقوم
بها وب البست ودينه ، وكانا يغلان ذلك وهما يرصان
نفسيهما على رؤوس الاصابع من فرط الحواس .

الفصل الثالث

كانت العرب تدرج على الطريق وتشيتشيكوف جالس فيها يشعر بأنه راض عن نفسه تمام الرضى . ولا بد أن يكون القارئ قد أدرك من الفصل السابق ما انطوت عليه نفسه وما هو الرضى الرئيسى الذى يهدف اليه . فلا عجب إذن ، أن رايتاء ينغمس فى الموضوع بالروح والجسد انغماساً كلياً ، كانت افكاره وحساباته ومشاريعه تنعكس على وجهه فقتشارك فى اسباع البشر والمرح عليه ، اذ تترك كل واحدة منها - ساعة تخطر - ابتسامه وضى خاطفة تتبع الابتسامه التى تركتها سابقتها . وقد كان فى الحقيقة مستغرقا فى هذا الشأن بحيث لم يلاحظ ان سائقه - الذى كان مزهواً بكرم حلم مانيلوف - كان يتكلم مع الحصان الارقط ، أحد الخيول الجانبية فى الترويكاف . كان هذا الارقط حيواناً عليماً ، فكان يتظاهر بالسعجب . بينما كان رفيقه ، الحصان الأوسط (وهو حصان احمر اللون) والحصان القريب (وهو بنى اللون) ويعرف بالمستشار لأن الرجل الذى ائتمرى منه كان يجعل هذه الرقبسة يصلان بشهامه وتظهر فى عيوبها القبطه التى يستندانها من اجهاد نفسيهما فى سبيل قيامهما بالواجب . كان صيليفان يرتفع عن مقعده لضرب الحصان الكسول بالسوط وهو يقول «أيه أيها السافل ، أيه أيها

ووقب مانيلوف فترة طويلة من الوقت وهو يتبع العربيه بنظراته . وقد استمر فى الواقع يتبعها بانظره وهو يدشن غليونه حتى بعد أن اختفت وراء الأفق بعدة غير قليلة . ومن ثم عاد الى غرفة الاستقبال مرة أخرى وجلس على أحد الكراسى مستنداً للتفكير وكانت القضية التى ابتدأ بالتفكير فيها فى الحقيقة ، هى فيما اذا كان قد قام نحو الضيف بما هو واجب عليه كضيف . ثم سرح تفكيره الى امور أخرى لا يعلم الا الله النيام التى وصلت اليها . فكر فى مباحج الحياة ومسراتها ، وفى الصداقة ، وكم هو جميل أن يعيش الانسان مع صديق ، على شاطئ نهر مثلاً ، وأن يقم جسراً خاصاً له على النهر ، وأن يبني عمارة ضخمة جداً عالية جداً ، يبرج بحيث يرى الانسان من شرفتها العليا مدينة موسكو ، وسيجلس على تلك الشرفة هو وصديقه يتناولون شاي الأصيل فى الهواء الطليق ويتناقشون فى المواضيع الطريفة الشتى . ومن ثم ينطلقون بعد ذلك فى عربيه أليفة الى منتدى يسمعون فيه الجميع يلطف تعاملهما حتى اذا عرف الامبراطور بمصادقتهما خلع عليهما وثية جنرال ، وما الى ذلك ما لا يعمره الا الله . ولكنه أحس فجأة أن طلبه تشيتشيكوف الغريب قد قطع عليه حبل الاحلام . ووجد أن عقله أعجز من أن يهضم هذه القضية . فآخذ يقلبها على وجوه مختلفة شتى ، ولكنه لم يستطع أن يجد لها تفسيراً . واستمر جالساً فى موضعه يدشن غليونه ، حتى حان موعد العشاء .

* الترويكاف - عربيه تجرها ثلاثة خيول . غناش .

التذل ، سوف اربيك . انك تعرف جيداً ماذا تعمر ،
ايها الصعلوك الالمانى ! ان الحصان الأحمر طيب القلب
قائم بالواجب ، وسوف ازيده علماً ، انه حصان جدير
بالاحترام ، والمستشار طيب ايضا ، اما انت . فلماذا
تحرك ادنيك ؟ انك غيبي . عليك منذ الآن أن تأخذ
حركك عندما تتلقى أمراً . هذه نصيحة منى اليك ايها
الجاهل ، وانها لنصيحة خالصة . ايه ، انك تستطيع
السير لو اردت . « وأهوى على الحيوان بضربة من سوطه
وهو يقول « اذا كنت لمتنا فانا انسى منك » . وقال
مخاطباً الخيول الثلاثة « هيا يا اعزائي » ومر بأسرط
مروا وبقيا على ظهري الحصانين الآخرين دلالة على
الرضى لا العقاب . ثم عاد الى مخاطبة الارقط مرة أخرى
« انتظى اننى لا ادرى ماذا تفعل ؟ انك تستطيع أن تسلك
سلوكا أكثر احتراماً فتجعل المرء يحترمك » وعندئذ
راح يستعيد بعض الذكريات . وانشأ يقول « لقد كانوا
قوماً كراماً ، أولئك الناس في بيت السيد الذي هناك .
اننى اتوق الى مؤانسة الرجال الكرام اذا كانوا حقا
كراماً ، ومع امثالهم اترك النفس على سجيئتها . انى
احب ان اشملهم شرب الشاي وتناول الحلوى . ان
المرء لا يستطيع الا أن يحترم الانسان المحترم .
وسيدى مثل طيب على ذلك ، والكل يحترمه ، فقد كان
في خدمة الحكومة وهو الآن من الأعيان » .
وسرح وهو يعادى نفسه على هذه الوتيرة الى اعلام
أكثر بعداً ، ولو أنصت اليه تشييتشيكوف لسمع
تفاصيل غريبة بهذا الشأن تخصه نفسه . الا انه قد

الأخر كان مشغولاً عن كل شيء بموضوعه الخاص .
ولكن انفجارت مدوية من الرعد ايقظته من أحلامه .
فتمت حوله . كانت السماء مقطاة كلها بالفيوم ،
واخذت قطرات المطر فتناثر فوق الأرض المثيرة .
ثم انفجر صوت آخر ، أقرب وأعلى من
سابقه ، واهمر المطر صيياً مدبراً كما لو كان من
فوهات القرب . كانت قطراته تضرب سقف العربة
باصراف ثم في جانب ، وبعد ذلك تغير شكل هجومها
وتصير مستقيمة وتنفذ على العوض فتناثر هبللة
وجهه . بحيث اضططر الى سحب الستائر الجليدية
(وكان في الستائر فتحات مستديرة تمكنه أن يلعب
منها جانبي الطريق) ، واضطر أيضاً الى الصياح على
سيليجان حاثاً اياه أن يسرع الخطى . وارى اسائق
الذى قوطع في منتصف خطابه ان لا يضع الوقت
سدى . فسحب من تحت صندوق المقعد قطعة عباءة
قديمة قنوه لها على كفيه وأمسك بالعمان وصاح
بفرقة الثلاثية (التي كانت تحت تأثير خطابه قد
استرخت استرخاء كاملاً حتى أصبحت لا تكاد تقلم
وجلا على أخرى) . ولم يستطع سيليجان لسوء الحظ أن
يتذكر فيما اذا كان قد تصدى منطلقاً او منطلقين . وما
إن استجمع ذاكرته مراجعاً سالم الطريق حتى أدرك أن
عدداً كبيراً جداً من المنعطفات قد مر عليه حتى الآن .
وبما أن الروسى سريع في اكتشاف أحسن الطرق
الواجب اتباعها في المنعطفات التي تستوجب سرعة البيت
في الأورد ، فقد طرح سائقنا التساؤل جانباً ودار في

المتطوع التالى الى اليمين وصاح «ايه يا جيانى
الحسان». فاطلقت خيها ولم يدُرْ فى خلدِه لحظة ان
يفكر الى اين تقوده تلك الطريق .
الا ان المطر ظل يسقط طويلا وبلا انقطاع حتى
اختلط بتراب الطريق فصار اوحالا عُلِقَتْ بالمجلات ،
فاصبح معها جرء العربة على الخيول امرأ ثقيلًا وبدأ
تشيشيكوف يحس بغية اُصل في رؤية ييمى
سوباكيويتش الريفي . اد كان يجب ان يصل اليه بناء
على حساباته منذ امد طويل . واحد يجبل البهر من كل
ناحية ، الا ان الظلمة كانت اكثف من ان يخرقها
بصر .

واطل من العربة وصاح «سيلفان !»

فاجاب السائق «ماذا تريد يا سيدى ؟»

«هل ترى البيت الريفي فى ناحية ما ؟»

«لا يا سيدى» . ولوح بسوطه فى الهواء واخذ يفتى
اغنية من ذلك النوع الذى لا نهاية له . كان فى تلك
الاغنية موضع لكل شيء ، واعنى «بكل شيء» تلك
الصيحات المشجعة التى يستحث بها عامة الروس
خيولهم وتلك الصفات المخشاة التى يلتفونها بخت
عشواء . ثم انتهى الامر به الى ان اخذ يسميها يسا
حضرات !

وبدا تشيشيكوف يلاحظ ان العربة اخذت تتأرجح
بشدة مما راح يسبب له بعض الصدمات ، واحس بها
على ذلك بانها قد حادت عن الطريق الى حقل محروث .
وخيم على عقل سيلفان احساس من هذا القليل فامسك

عن الفناء . وساله تشيشيكوف «اى طريق سلكت
ايها النذل ؟»

فاجاب السائق «لا ادري ، فماذا يستطيع المرء ان
يفعل فى وقت بلغت فيه حلقة الليل درجة لا يكاد يرى
فيها سوطه ؟» وبينما كان سيلفان يتكلم مالت
العربة الى جانب بحيث لم يعد خيار امام تشيشيكوف
الا ان يتصلق بيديه واسنانه . عندئذ عرف يقينا ان
سيلفان كان سكران .

صرخ عليه «لق ، تقف والا اتقلبنا !»

فاجاب سيلفان ، «لا ، لا يا سيدى ، كيف يمكن ان
اقلبك ؟ ان قلب الناس خطأ ، انتى اعرف هذا جيداً ،
ويستحيل على ان اسلك سلوكا كهذا» . وهما بدأ يدبر
العربة قليلا واستمر يفعل ذلك حتى اقلبت على جانبها
انقلابا كاملا ، فهبط تشيشيكوف فى الوحل على يديه
ورجليه . وقد نهج سيلفان ، لحسن الحظ فى ايقاف
الخيول مع انها كانت ستقف بنفسها بطبيعة الحال نظرا
الى انها كانت قد اجهت غاية الاجهاد . اما السائق -
على ما يظهر - فقد ادعته هذه العادة غير المنتظرة .
فأزلق من مقصده على الارض ووقف امام العربة بينما
كان تشيشيكوف يتخبط ويتسرع فى الوحل ، باذلا
جهدا عبتا للحلاص منها . وقال سيلفان مفكرا ومخاطبا
العربة «يا لك من عربة ، لم اكن اظن انك ستقلبينا
على هذا الشكل» .

فقال تشيشيكوف متعجبا «انت سكران طينة !»
«لا ، لا يا سيدى . احقيقة انى سكران ؟ انا اعرف

ان السكر مرذول . انها مؤانسة مع صديق . هذا كل ما حدث لي . ان كل امرئ يشعر بالانس اذا ما جلس مع رجل محترم . ليس في ذلك اى خطأ . وقد تناولوا جرعة ايضا . وليس في تناول الجرعة اى خطأ - لا سيما اذا كانت مع رجل محترم .

فقال تشيتشيكيوف «ماذا قلت لك عندما لقيتكم سكان آخر مرة ؟ هل نسيت ما قلت لك ؟»

«لا ، لا يا سيدى . كيف يمكن ان أنسا ؟ اشئ اعرف مواضع الاشياء . واعرف ان السكر غير صواب . وكل ما حدث لي هو مجرد مؤانسة مع انسان محترم . وذلك لان . . .»

«حسنًا ، فلو لففت السوط الآن حول عنقك لمررت كيف تؤاسي الانسان المحترم» .

فاجاب سيليفان موافقا «كما تشاء يا سيدى اذا شئت ان تضربنى بالسوط فلك ذلك ، ولن اشكر منه . ولم لا تضربنى اذا كنت استحق الضرب ؟ لك ان تفعل ما تشاء . وضرب السياط ضرورى احياسا ، فكثيرا ما يتبادى الملاح في هواء ، ويجب على المرء ان يحفظ النظام . فاذا استحققت فاضربنى ، ولم لا تفعل ؟»

وقد ظهر ان هذا التعليل في تلك اللحظة سليم لا يدحض ، فسكت تشيتشيكيوف ولم يتبس ببنت شفة . وقد شاء القدر ان يكون به رحيمًا . فطرق سمعها من بعيد بياح بعض الكلاب واستبشر تشيتشيكيوف واصبر اوامره بتعديل الرمة والسير بالخيل قدما .

وحيث ان للسائق الروسى ميزة واحدة على الأقل ، وهو انه يستطيع عند الضرورة ان يستعاض عن عينيه بحاسة طريق حادة ، وبارشادها يقود عربته اعتباطا ولكنه مع ذلك يصل الى مكان ما ، فقد اطلع سيليفان وهو عاجز عن تمييز اى شئ ، في ان يوجه خيوله الى بيت ريلى قريب . وقد كان احساسه قويا جدا حتى انه لم يوقف العربى الا لما اصطدم عامودها بجدار الحديقة وتبين ان التقدم خطوة اخرى عاد مستحيلا . وكل ما استطاع تشيتشيكيوف ان يتبينه من خلال الفناج الكثيف من المطر الممهر هو شئ يشبه السقف . ولهذا ارسل سيليفان يفتش عن مدخل السكان . وكانت هذه العملية مستخدم مدة غير محدودة لو لم يقصرها شئ واحد وهو ان كلاب الحراسة في روسيا كثيرا ما تحمل محل العاوس . فبدا عدد كبير من هذه الحيوانات يصلح قدوم المسافر بصوت عال جدا حتى ان تشيتشيكيوف اضطر الى اقبال اذنيه . وبالتالى سطح ضوء من احد الشبابيك وتسرب على شكل جدول وفتح الى جدار الحديقة . وهكذا ظهر موضع باب الدخول . ومن ثم انهال سيليفان على الرجاج قرعا حتى صجسب مزلاج الباب الداخلى وظهر منه شبح ملتف برداء متهدل .

وسمعا صوت امرأة عجوز ابعث يقول «من ذا الذى يقرع الباب ؟ وما هذه الضوضاء الساعة ؟» فقال تشيتشيكيوف «اننا مسافرون اينها الام الطيبة . فترجو ان تسمحن لنا بقضاء الليلة هنا» .

فتتمت العجوز مستعجلاً وقت لطيف من الليل هذا الذي وصلتم فيه ! ليس لدينا هتق ، نحيطكم علماً أن هذا بيت سيده . « لكن ماذا فعل يا أمه ، فقد أضلنا الطريق ولا نستطيع أن نلقى ليلتنا في الرأ في طقس كهذا ؟ »
وأضاف سيليفان « لا ، لا نستطيع فالليل مظلم يارب » .

فنهزه تشيشتشيكوف قائلاً « أخرس يا أحمق » .

وتساءلت العجوز « من أنت إذن ؟ »

« ليل أيتها الأم الطيبة » .

وقد ظهر أن كلمة ليل - بشكل ما - كانت عدا لتفكير العجوز ، فكانت « أنتظر لحظة حتى أحر سيديتي » .

وعادت بعد دقيقتين وفي يدها مصباح .

وتحدث الرتاج ، بينما تألق ضوء آخر من نافذة البيت . ودخلت العربية السابعة ووقفت أمام بيت متوسط الحجم . ولم يكن الظلام يسمح بالملاحظة الدقيقة ، إنما كان يلوح بأن البيت قد أضيئت نصف نوافذه فقط ، فكانت الأضواء تنعكس منها على بركة أمام الباب . هذا بينما استمر المطر في انهماره ، وكان ينح بصوت طنان فوق سطح خشبي ومن ثم يسمع صوته وهو ينصب من شؤبوب في أنا ، كبير أما الكلاب فلم تنفص لحظة عن النباح بكل ما في رثتها من قوة واحد أحدها ينبع وهو رابع رأسه إلى أعلى بكل ما لديه من طاقة وباطون ما يستطيع من الوقت حتى

ليخيل إلى ناظره أنه يطبع في كسب رهان معين . والثاني ينبع بسرعة وكأنه قدلفت ، بينما أحد آخر له صوت جرو صغير ينبع بلا ملل بحيث يملأ صوته مقاطع صوت الكلب السابق ، وكأنه جرس ماعسى الريد . وأخيراً ، أبرى كلب كبير ذو مزاج عنيف غاص واحد يقوم بالرد عليهم وكأنه قائد جوقة يرد مع جوقته على المقنى الأصيل . وكانت نبجاته تشبه هدير ذلك القائد حينما تكون الجوقة في أوج ترددها وحينما يرتفع المتشدون مع قائدهم على رؤوس الأصابع وهم يبذلون جهدهم في رفع حدة النغم ، ويعد المرتلون رؤوسهم قبل بلوغهم الشأو ، ويلصق قائد الجوقة ذلنه الملتهبة إلى يافته ويجمع نفسه في حنكه حتى تحسبه جالساً على الأرض القرصاء ليخرج نفساً قوياً ينف الشبايبك ويرج الزجاج . وجوقة من ذوات الانياب كهذه الجوقة تدل بطبيعة الحال على أن القرية ليست صغيرة .

هما يكن من أمر ، فإن بطلم الميثل العرشج بردا لم يضر ذلك اهتماماً ، فقد كان يشغل عقله شيء واحد وهو الأراضي . وفي الواقع لم تكن القرية تقف حتى قلز الاعتبة البيت ولم يكن يسه وبين الوقوع شيء كثير . وقد تصدعت لمقابلته سيده أصغر سنناً من الأولى ولكنها تشبهها شيئاً كبيراً . ولما دخل غرفة الاستقبال كانت لعتان كافيتين لرتباه أن انفرقة مكسوة يستأنر قديمة مقلثة وجدواها مريسة بصور الطيور وبعض الرابا الأثرية الصفدة والأحيرة موضوعة في اطارات

غامقة اللون عليها نقوش تشبه ورق الشجر . وقد
المتى خلف كل مرآة خطاب أو مجموعة قديمة من
أوراق اللص أو بعض الجوارب ، بينما عُلقت على
الحائط ساعة بميناء مرصعة بالأزهار . ولم يستطع
تشييتشيكوف ، على أية حال ، أن يتبين أكثر من ذلك
لأن جفونه كانت ثقيلة كما لو ثلثت بالعمى ، وحضرت
ربة البيت بنفسها حالا - وهي امرأة كبيرة السن تصم
على رأسها غطاء (يظهر أنها أسرعت في ارتدائه) وتلصق
حول عنقها لفاعا صوفيا .

كانت من طبقة الملاكات اللواتي يسكن
دائما وأبدا من انضاق الموسم ومما يترتب
عليه من خسائر لمن ، من طبقة اللواتي يطاطن
وؤوسهن يأسا وقتولا وهن كبل الوقت يحسنين
التقود في اكياس مقلدة ويكتنزنها في ادراج الخرائط .
فيحسبن قطع الروبل في كيس ونصف الروبل في كيس
آخر وقطع ربع الروبل في كيس ثالث . ولا يبدو من
منظر الخزانة أن فيها شيئا سوى قطع القماش الكتانية
وقياب داخلية وشلل من الصوف وقطعة القماش الرثة
التي يقدر لها عادة أن تنقلب الى ثوب جديد فيما لو
استقرت اطراف الثوب العالي أيام الآحاد عند خبث
الكلك والحلويات والطيبات الأخرى ، او فيما اذا نهرا
الثوب من نفسه . ولكن الثوب لا يحترق ولا يتهرب
أبدا ، وذلك لأن السيدة محتاطة كل الاحتياط حذرة كل
الحذر . وعلى ذلك تظل قطعة القماش الرثة عيسر
مشغولة الى ان ياتى الوقت لتوديع الشركة فيومى

باعطانها - مع كمية أخرى من سقط المتاع - لابنة
انتها .

واعتذر تشييتشيكوف على ازعاجه البيت بقدمه غير
المنظرة .

فاجابت السيدة : « لا ، أبدا ، لا أبدا » ولكن في أى
طقس تظن نعت الله بكم الى هنا ! أى ربح وأى خطر
هذا ! كان من المحتمم ان تضل الطريق . نرجو الملعونة
اذ لا نستطيع في هذا الوقت من الليل ان نهيب لكم
الطعام » .

وقطع كلام المضيفة فجاء صوت دو فحيح
غريب ، صوت عال جدا أجفل الضيف منه خوفا ، وزاد
خوفه بإردباد الصوت الذي جعل الغرفة تهتد وكأنها
تلاى بالأفاعى . ومهما يكن من أمر ، فقد استصااد
سكينته حينما رفع بصره الى أعلى وأدرك ان الصوت
صادر عن الساعة التي كانت على وشك ان تنفج . وقبلا
الفحيح شخير دل على ان الساعة تبدل منتهى جهدها حتى
ضربت ضربتين كأن لهما من القرقة ما للهرارة حين
تهوى على قدر من حديد مكسور . وما ان تفت فمعتها
هذه حتى عاد الرقاص الى تذبذبه من اليمين الى
الشمال ومن الشمال الى اليمين .

وشكر تشييتشيكوف المضيفة بلطف وقال لها انه
لا يحتاج الى شيء ، وان لا دواعى لأزعاج نفسها ، فهو
لا يريد غير الراحة وان كان يود ان يعلم أيضا أين
وصل وفيما اذا كانت هناك مسافة كبيرة بينه وبين
البيت الريفي للملاك سوباكيفيتش . واجابت السيدة على

ذلك بأنها لم تسمح بهذا الاسم قط وليس صاحب هذا الاسم في تلك النواحي .

واستمر تشيتشيكوف قائلا «ولكن تمرقن على الأقل الملاك مانيلوف ؟»

«لا ، من هو ؟»

«ملاك آخر يا مدام .»

«لم اسمع بهذا أيضا . ليس في هذه النواحي ملاك كهذا .»

«فمن هم الملاكون المحليون إذن ؟»

«بوبروف ، سلفينين ، كانابانيسف ، خريباكين - تريباكين ، بليساكوف .»

«هل هم أغنياء ؟» - سأل تشيتشيكوف .

«لا ، لا أحد منهم . قد يملك أحدهم عشرين رسا ويملك الآخر ثلاثين ، أما من السادة الذين يملكون المنة فلا يوجد أحد .»

فلن تشيتشيكوف الى انه في منطقة ريفية نائية

وتسأل «على أية حال ، هل المدينة بعيدة ؟»

«حوالي ستين فرستا . كم انا أسفة اذ ليس لدى ما أطعمك ! اتحب ان تشرب الشاي ؟»

«شكرا ابتها الأم الطيبة . ولكني لا أريد شيئا عدا الفراش .»

«أجل ، بعد رحلة كهذا لا شك في أنك بحاجة الى الراحة . ستنام على هذا الديوان . فيتبنا ، يا فيتبنا ،

احضري حشية ريش ومعدات وعلاوات . أي طقس أرسل لنا الله . راي وعد مخيف ! ما رلت منه مفيد الشمس

أحرق الشمع أمام الأيقونة في مخدعي . يا الهي ! ظهرك وجوانيك ملطنة بالوحل كالخزير البري . ماذا عملت حتى وصلت الى هذه الحال ؟»

«من حسن حظي أن لا يكون بي أكثر من التلطيخ بالوحل ، فلو لا المناياة الربانية لكنت مكسر الاضلاع .»

«يا الهي ! ان القلب ليحف أن خطرت به الاحوال التي مرت بك . اليس من الافضل أن اسمح لسك ظهرك ؟»

«شكرا ، شكرا ، لا داعي لأعاج نفسك . يكفيك من أن تتلطفي فتقول للخادم أن تنظف وتجفف ملابسي .»

كانت فيتبنا آنذاك قد لحقت تدخل الفرقة وهي تجبر حشية الريش يتطاير الريش منها ليملأ جو المكان . فقامت لها ربة البيت . «اتسمعين يا فيتبنا ؟ خذني هذا المعطف وهذا الصدا . وبعد أن تجلبقيها أمام النار - كما كنا نفعل بلباس المرحوم سينك افركيهما فركا جيدا واطويهما بعناية .»

فقامت فيتبنا وهي تضع المعادات على حشية الريش وتقرّب الوسائد «سمما وطاعة يا مولاتي .»

فقامت ربة البيت لتشيتشيكوف «فراشك جاهز الآن . استمت مساء يا صيدى ، انسي أن تصبح على خير الا تريد شيئا آخر قبل أن اتركك ؟ وبما تعودت أن يمدغ أحد قديمك قبل النوم . أن زوجي المرحوم لم يكن يستطيع النوم بغير ذلك .»

توموزوف* وصورة زيتية لرجل عجوز بجلايس وسمية
زينها شرائط حمراء من النوع الذي كان يرتدى أيام
الإمبراطور باييل* . وفي تلك اللحظة فحمت الساعة
فيحيا المعتاد ودقت عشر دقائق ، بينما اطل* وحه
امراء من شق الباب وانسحب حالا . لان تشيشيكوف ،
رغبة في ان يستمتع بالنوم ما استطاع ، كان قد نضى
كل ما عليه من ثياب ، غير ان الوحه كان يبدو اليأس
لديه ، فاخذ يسترجع في ذاكرته وجه من يكون .
وتذكر أخيرا أنه وجه ضيفته . ووجد ثيابه بالقرب
منه جافة ونظيفة فارتداها واقترب من المرأة وعطس
مرة أخرى عطسة عشيفة جدا ، حتى ان ديتكا حنديا
كان قريبا من الباذلة (التي لم تكن بدورها تعلقو عن
الأرض كثيرا) قوقا جملة قصيرة ، قد تعنى بلفظه
الغريبة انه يحيى تشيشيكوف تحية الصباح . ولكن
تشيشيكوف نمته بالغياء ثم تقدم الى الباذلة ليستجلى
النظر الذي تطل عليه . وتبين ان المنظر الرئيسي
كان خما بالمساج . كانت الساحة ما بين القم والباذلة
على اية حال - مليئة بأنواع الدجاج المختلفة بينها
ديك يخطر ويشتخر بغضى متزنة وينابر على هن عزله
والانثفات يرأسه كما لو كان يتسمع الى شيء . والى
احدى جوانب الحظيرة جلست خنزيرة وعائلتها ممسا

ولكن الضيف وقف دغلة الاقدام هذه ، وما كادت
تتركه السيدة حتى سارع الى انتضاء ملايسه كلها .
العلوية والسفلية منها على السواء ، وتسليمها الى
فيثينيا . وبعد ان حيته هذه تحية المساء اخذت
الملايس المبتلة واصرت ، ووجد نفسه وحيدا . ونظر
الى الفراش الذي يكاد يصل السقف علوا نظرة كلها
رضى . من الجلي ان فيثينيا كانت فتاة عريضة و
تجديد فراش كهذا الفراش . وترتب على ذلك انه ما
كان يصعد على احد الكراسي ليرمي بنفسه عليه ، حتى
يهبط به الفراش فكاد يداني ارض الغرفة وانصقت
من فتحات صفيره جانبية في حوافه اسراب* كثيفة من
الريش اخذت تعلق في سماء الغرفة وتلا كل رابعة
فيها . ولكنه على الرغم من هذا كله ، اطلقا الصباح ،
وسحب على نفسه غطاء من التشيت توقع تحته ،
واستغرق حالا في نوم عميق . واستيقظ في ساعة
متأخرة من صباح اليوم التالي . كانت اشعة الشمس من
الباذلة تصب في عينيه ، والذباب الذي كان يحتم في
الليل هادنا على السقف والجدران تنبه الآن لوجود
الزائر . فاستقرت احداها على شفته واستقرت أخرى
على اذنه وثالثة اخذت تعلق فوق عييه كأنها تريد
الهبوط فيهما ، اما الرابعة فقد جازفت بالرسو* على
منخره . فاستنشقتها وهو في حالة الوسم فطلس عطسة
شديدة عادت به الى كامل وعيه . فخطر الى ما حوله من
الغرفة فوجد ان الصور ليست كلها صور طيور كما عهد
في الليلة السابقة ، بل كان بينها صورة للقائمه

* توموزوف - القائد الروسي الذي قاوم نابليون بشدة
في معركة بورودينو . القناشر .
أي في اواخر القرن الثامن عشر . القناشر

يضفى على المنظر رونقا وبهاء . كانت تعبر اول الامر فى كوخه من القش ومن ثم اكلت فى طريقها قرصة صغيرة وبالتالى احدث تقضم قطعاً من قشور الطيخ فى راحة وهدوء بال . وحول هذه الساحة الصغيرة اقيم سياج خشبي . رقما وراء ذلك كانت حدائق البيت الكبيرة التى زرع فيها الكرنب والبصل والبطاطس والشندر والخضروات البتية الأخرى . وكان فسي الحديقة أيضاً بضعة اشجار تفاح وفواكه مختلفة وضعت عليها شباك لكي تحفظ ثمارها من المصغور والعقرب . وكان من هذه الطيور اسراب تنطلق وتحوط حول الشباك من نقطة الى أخرى . ولسبب نفسه نصبت بضعة مياكل من مغزعات الطيور . وعلى رأس واحد منها وضعت قبة كانت فى زحاتها الغابر لربة البيت . ومما وراء الحدائق قام عدد من الاكواح الفلاحين . كانت الاكواح ميمشة بدلا من أن تكون منتظمة فى صفوف بدت فى عيني تمشيتشيكوف انها تقسم سكانا فى سعة من العيش . لمتاخر الصناية ابادة عليها والسقوف الخشبية المتعلنة عادة كانت هنا جديدة . ولم يكن يظهر فيها بان منحرف او متلوع . ومظلات المرباط المائلة امام عينيها كانت تدل . على الأقل . على وجود عربة او عربتين احتياطية زائدة جديدة تقريبا تقع تحتها .

قال تمشيتشيكوف فى نفسه «ان هذه السيدة تمتلك قرية غير فقيرة أبداً» . ولهدا قرر آتئذ أن يتحدث مع الموضوع مع مصيفته وأن يوتق معها اواصر العربة .

ونظر بناء على ذلك من شق الباب الذى اطل منه رأسها قبل قليل . فراحا جائسة الى متسعدة التماي . فدخل عليها وحياتها يابسةامة ملوها البشر والرح . فنهضت السيدة احتراماً وقالت :

«صباح الخير يا سيدى . كيف كان نومك ؟» كانت ترتدى ملابس احسن من ملابسها فى الليلة السابقة . كانت ترتدى رداء غامق اللون . وعلى رأسها قبة أخرى غير قبة الليلة الماضية . وكان عنقها ملفوفا بشيء ما . يغفيه لفاف .

فقال تمشيتشيكوف وهو يجلس على كرسي «لقد نمت نوماً هنيئاً جداً . وكيف حالك ايتها السيدة الطيبة ؟» «على غير ما يرام يا سيدى المميز» . «ولماذا ؟»

«لأننى لا أستطيع النوم . ان الما يشد وسطى ويمتد الى ساقى مما فوق الكاحلين حتى اخال عظامى تنكسر» .

«لك الشفاء . لك الشفاء العاجل ياذن الله . يجب ان لا تصبره كثير الاهتمام» .

«سبح الله دعائك . على أية حال فقد كنت امركة بالدهن والقرنينين . ماذا تريد ان تشرب مع الشاي ؟» «لنى فى هذه العلبة بعض الروم» .

«عظيم جداً ايتها الام الطيبة . اذن سأحتسى منه . ومن المحتمل ان يكون القارى قد لاحظ ان تمشيتشيكوف . على الرغم من رقة قلبه الظاهرية . اخذ يناطبه مضيفته الجديدة بنفمة مختلفة كل الاختلاف عن

تقمته التي يبدع فيها ؛ تقمة فيها الكثير من البشر وفيها
أيضاً من الحرية ورفع الكلفة أكثر من تلك التي
استعملها مع مايلورف ولّى هنا أن اؤكد بأن الاساتذ
مهما كانوا يفوقوا - نحن الروس - في وجود عديدة ،
فإننا على الأقل نفوقهم في مواضع الكلم ولقاء الحديث
فإننا نستطيع في الواقع أن نقضي على مخاطباتنا
وأحاديتنا في المجتمع مختلف الظلال وأن نصممها
بمساحات متعددة تتحدى كل حصر فالفرنسي أو الألماني
يعجز عن تصور أو فهم كل خصائص هذه الظلال أو
المساحات لأن مقمته في مخاطبة صاحب الملايين لا
تختلف إلا قليلاً جداً عن تلك التي يخاطب بها رابع
التبغ الفقير ، هذا على الرغم من محاولته التسيده من
التذلل البشري أمام الأسبق . لكن الأمور عندما تختلف
على أية حال . ففي المجتمع الروسي قوم ماهرون
يستطيعون أن يتكلموا بنعمة معينة للملاك الذي يمتلك
مئتي نس وبضعة أخرى لذلك الذي يمتلك ثلاثين
وبأخرى لصاحب الخمسمائة ، وهكذا . أي أن الروسي
لديه من نغمات الخطاب المختلفة ما يستطيع أن يخصص
منها لكل ملاك حسب درجته حتى ذلك الذي يمتلك
مليون نفس . لنفرض أن هناك دائرة حكومية في مكان
ما ، وفي هذه الدائرة رئيس . أرى أن تتصوره ، أيها
القارئ جالساً بين موظفيه الطمحين . إن غطرسته
سوف تمنعك من أن تثبت بين شفة ، قدلال الصلة
والكبرياء الظاهرة على وجهه أكثر من أن توصف . وإذا
شئت يوماً أن ترسم له صورة في محبتك فلي تجده

شبيهاً بفير بروميتيوس * لأن نظرتيه نظرة النسر
ومشيته مشية الهيبة والاعتداد بالنفس . ولكن ما
يكاد النسر يترك الغرفة ذاهباً إلى مكتب رئيسه الأعلى
حتى يهرول وهو يلصق الأوراق بأفنه كأي حجل يدرج
في الغلاة . ولكنه في المجتمع وفي حفلات المساء (عندما
يكون الموحودون أقل رتبة منه) يعود بروميتيوس ،
بروميتيوس مرة أخرى . أما إذا كان من هو أعلى منه ،
فانه سوف يسلك معه سلوكاً لم يعلم به أويدي *
ويتحول إلى ذبابة وحتى إلى أحقر من ذبابة ، إلى حبة
رمل . وإذا نظرت إلى رجل كهذا فإني سأقول «ييس هذا
زيداً بكل تأكيد ، إن ريداً طويل وهذا قمى ضئيل ، إن
ريداً ذو صوت جهورى عميق لا يبتسم أبداً ، وهذا
الرجل (أي رجل كان) يرتفع كالمصعود ويبتسم طوال
الوقت» . لكن اقترب من الرجل وانظر إليه ملياً تجد
زيداً بعينه ، ولا تستطيع إلا أن تقول «والأسفاه
والأسفاه» ولتعد الآن إلى شخصياتنا من الحياة
الواقعية . فقد عرفنا أن تشيتشيكوف آنذاك عقد العزم
على وضع حد للمجاملات ، فأمسك بإناء الشاي رصب
عليه الروم وبدأ الحديث كما يلي :

«إن قرينتك الصغيرة جميلة يا سيدتى ، كم تفسا
فيها ؟»

* بطل خيالي يوناني تتحدى كبير الآلهة زيوس وأحضر
القارلس الإنسان على الأرض . القاص .
* شاعر روسي . القاص .

تقمته التي يبدع فيها ؛ تقمة فيها الكثير من البشر وفيها
أيضاً من الحرية ورفع الكلفة أكثر من تلك التي
استعملها مع مايلورف ولّى هنا أن اؤكد بأن الاساتذ
مهما كانوا يفوقوا - نحن الروس - في وجود عديدة ،
فإننا على الأقل نفوقهم في مواضع الكلم ولقاء الحديث
فإننا نستطيع في الواقع أن نقضي على مخاطباتنا
وأحاديتنا في المجتمع مختلف الظلال وأن نصممها
بمساحات متعددة تتحدى كل حصر فالفرنسي أو الألماني
يعجز عن تصور أو فهم كل خصائص هذه الظلال أو
المساحات لأن مقمته في مخاطبة صاحب الملايين لا
تختلف إلا قليلاً جداً عن تلك التي يخاطب بها رابع
التبغ الفقير ، هذا على الرغم من محاولته التسيده من
التذلل البشري أمام الأسبق . لكن الأمور عندما تختلف
على أية حال . ففي المجتمع الروسي قوم ماهرون
يستطيعون أن يتكلموا بنعمة معينة للملاك الذي يمتلك
مئتي نس وبضعة أخرى لذلك الذي يمتلك ثلاثين
وبأخرى لصاحب الخمسمائة ، وهكذا . أي أن الروسي
لديه من نغمات الخطاب المختلفة ما يستطيع أن يخصص
منها لكل ملاك حسب درجته حتى ذلك الذي يمتلك
مليون نفس . لنفرض أن هناك دائرة حكومية في مكان
ما ، وفي هذه الدائرة رئيس . أرى أن تتصوره ، أيها
القارئ جالساً بين موظفيه الطمحين . إن غطرسته
سوف تمنعك من أن تثبت بين شفة ، قدلال الصلة
والكبرياء الظاهرة على وجهه أكثر من أن توصف . وإذا
شئت يوماً أن ترسم له صورة في محبتك فلي تجده

«أقل من تمانين بقميل ، يا سيدي العزيز . ولكن الزمان صعب قاس . وقد فقدت الكثير في قحط السنة الماضية» .

«ولكن فلاحيك رجال اقوياء اصحاء . هل لي أن اسألك عن اسمك ؟ ان وصولي المتأخر في الليلة الماضية جعلني افقد الصواب» .

«كوروبوتسكا ، أرملة موظف في الدرجة التاسعة» .

«شكراً جريلاً» ، واسمك الاول ؟

«ناستاسيا بتروفنا» .

«ناستاسيا بتروفنا ! يا لها من أسماء جميلة ! لي خالة بالاسم نفسها» .

«وما اسمك انت ؟ هل انت مختار» كما يبدو ؟
فاجابها تشيتشيكوف بإبتسامة «لا يا سيدي ، ست مختار» ، إنما أنا مسافر في مهمة خاصة» .

«اذن يجب أن تكون ممن يشترون المستوجبات ؟ يا للأسف لأنني بعت كل ما لدي من المسل لتجار آخرين ضمن زهيد . ولو لا ذلك لبعته لك أيها السيد العزيز» .

«لا ، لا اشترى المسل ابدا» .

«اذن ما الذي تشتريه يا الهي ؟ قنب ؟ عندي شيء قليل عنه ، نصف بود * او أكثر بقليل» .

* مختار - شخص يختار للاقتراع في أعمال المؤسسة
ما في روسيا قبل الثورة - إقتاضى .
** البود - ١٦٣٨ كيلوغراما . إقتاضى .

«لا يا سيدي ، فاني اتعامل بأشياء أخرى . قولي لي . هل سات في السنين السابقة عدد كبير من فلاحيك ؟
فتنهلت اسجوز وقالت «أجل ، لا أقل من ثمانية عشر ، وكلهم من الاقوياء العاملين . لقد نما غيرهم في الواقع ولكنني لا أرجو خيراً من الاحداث . انهم طافسون . وعندما جاءني الصختار في المرة الأخيرة رحب ابكي أمامه . كان علي أن ادفع صريضة عس رجال الاموات كما لو كانوا أحياء . ومنذ اسبوع فقط توفي عمدي الحداد حرقا . لقد كان في مهنته بارعاً ضليعاً» .

«ماذا تقولين ؟ هل شب حريق في القرية ؟
«لا ، لا . وقاما الله شر ذلك ! ان الامر لم يكن بهذه الدرجة من سوء» . نما الحداد قد احرق نفسه بنفسه . فقد اشتعلت النار في اسفله من كثرة الشرابي . قسم ، فقد بدا فجأة منه لوب اوزق واعتد لونه يتحول الى السواد شيئاً فشيئاً حتى أصبح وكأنه قطعة من دهم . لكن أي فلاح يارح كان . ليس لدى الآن خيول تقود العربات ، فلا أحد في القرية يستطيع حذرك» .

فتنهت تشيتشيكوف وقال «إنها مشيئة الله في كل شيء» . يا مدام . وليس لنا ان نرفض مشيئته . اعطني ايهاهم يا ناستاسيا بتروفنا» .

«اعطيك ماذا ؟»

«الفلاحين الموتى» .

«ولكن كيف يتسنى ذلك ؟»

«الامر بسيط . يبيعهم لي ، وسوف اعطيك بدلا منهم تقوداً» .

«لكن كيف ابيعهم لك ؟ انى لا اكاد افهم ما تعنى !
هل تريدنى ان اُنشئ قبورهم واخرجهم لك» ؟
فراى تشيتشيوكوف ان العجز فى بحر من الضياع ،
وان عليه ان يوضح لها الامر . وعلى ذلك اُفهمها
بعضة كلمات ان بيع الانفس الميتة هذه او نقلها
سوف يتم على الورق فقط ، وانها ستسجل كما لو كانت
حية .

فعدت ربة البيت بعينين شاخصتين وقالت «وما
الفائدة التى سوف تجنيها منها ؟»
«ان هذا من شأني» .
«ولكنها نفوس ميتة !»

«ومى قال انها غير ذلك ؟ انها مجرد نفوس ميتة
تتألمين حرّاً عليها وتضطرين ان تدفع الضريبة عنها .
وكل ما اريد ان اُعمله هو ان اخلصك من هذه الاحزان
وارفع عنك عبء دفع الضرائب . هل فهمت الآن ؟ ولئ
احصل ذلك وحسب ونأ سوف اعطيك خمسة عشر روبلا
عنها . هل اصبح واضحاً ما اقول ؟»

فقالت المضيفة مترددة «نعم - لكن . . لا اعرف .
فانا لم ابيع ايّداً نفوساً ميتة من قبل» .

«تماماً ، وسيكون مستغرباً لو فعلت . وهل تومنين
فى قرارة نفسك بان الانفس الميتة ذات فائدة ؟»
«اوه ، طبعاً لا . وما جدوى الانفس الميتة ؟ اسى
وانفة من عدم بيعها . انما الشئ الذى يحيرنى هو اى
ميتة !»

فقال تشيتشيوكوف فى نفسه «انها لعجوز عنيدة حقاً»

واضاف بصوت عال «انظرى يا سيدتى ، فكرى جيداً .
ولكنك . بصريح القول ، ستجربين الخراب والدمار على
نفسك بالاستمرار فى دفع ضريبة عن نفوس ميتة كما لو
كانت حية» .

فألت السيدة «يا للهول يا سيدى ! لا تتكلم عتياً !
فمنذ اسابيع ثلاثة فقط دفعت مئة وخمسين روبلا
للجايى ورشوته . . .»

«ها أنت ترين بأم عينك ما يحدث لك . اليس
كذلك ؟ تذكرى انك اذا اُصغيت اليّ لن تضطرى فى
المرّة القادمة الى رشوة الجايى ، لأننى انا الذى سادفع
الضريبة عندئذ - لا أنت - بل انا سوف اصبح مسؤولاً
عنها كلياً . بعد ان اصبح المالك لهذه النفوس
بنفوسى ، ومسؤولاً عن كل ما يترتب عليها . بل وادفع
تقوداً لحق الامتلاك . هل فهمت أخيراً ؟»

فهما يكن من امر ، فان نفس السيدة العجوز ظنّت
تساورها . كانت ترى ان بيع النفوس فى مصلحتها ،
ولكن القضية ذات طبيعة غريبة جداً حتى انها بدأت
تتخسب من ان هذا المشتري يريد ان يخدعها . لقد
جاء من حيث لا يعلم الا الله . وهبط على البيت قس
ظلمة الليل ايضاً .

وقال تشيتشيوكوف ناصحاً «هلا اتفقنا ؟»

«ولكن لم ابع فى حياتى قوماً موتى ! لقد بعت الاحياء
نقط . فمذ سنوات ثلاث خلت بعت فتاتين للكهان ،
كز فتاة بنت روبل ، وقد شكر لى ذلك شكراً جزيلاً .
فقد تبين له انهما عاملتان ماهرتان تصنعان الفوط» .

«نعم ، ولكن حديثنا لا يتناول الأحياء منهم - اطل الله اعمارهم - انى اطلب اليك الموتى فقط»
 «نعم ، نعم ، بالطبع . ولكنى خشيت يادى الامر ان تكون لى فى الصعقة خسارة - وان يكون قصدك ان تطلبنى يا سيدى العزيز . . . وبما تمنى النفوس الميتة اعل ما عرضت» .

«اسمعينى ايها السيدة (كم صعبة انت!) كيف يمكن ان يكون ثمننا اعل من ذلك ؟ فكرى بنفسك . ايها رفات - رفات ، هل تعلمين ؟ خذى اى شيء تافه مهمل - كقطعة بالية متهرئة من القماش مثلا ، ان لها ثمنها ما ، فهى تباع على الأذل لصنع الورق . ولكن الانفس اليمته هذه - انها لا تصلح لشيء اطلاقا ، هل تستطيعين ان تذكرى لى شيئا واحدا لها ثمن فيه ؟»

«لا ، لا ، انها لا تنفع لشيء . ولكن الذى يزعجنى هو انها ميتة» .

فابتدأ تشيتشيكوف يفقد الصبر وقال فى نفسه «يا لها من مخلوقة غبية حقاً ، صعبة المراس لا مجال للاندفاع معها لقد جعلتني اتصعب عرقاً هذه السجور اللعينة» .
 وهنا سحب من جيبه حديدلاً ومسح العرق عن جبهته . بيد أنه ما كان عليه ان ينفلج الى هذا الحد . فان كثيراً من رجال السياسة اذا ما جوهوا بقضية هامة يتكسبهم السرمدام كوروبوتشكا اخرى . فاداً حمل فى راسه فكرة معينة فليس من سبيل الى نزعها او تغييرها . فله تدلى له بالحبة تلو الحبة وبالبيضة تلو البيضة ، وكل

منها واضح وضوح الشمس الا ان حججك وميناتك ترتد راجعة عن دماغه كما ترتد كرة من مطاط بعد ان تضرب فى قطعة من صخر . على أية حال ، بعد ان مسح تشيتشيكوف عرقه قرر ان يكرر محاولته فى الوصول بالسيدة الى ما يريد عن طريق آخر . فقال «اسمى يا سيدتى ، اما انك لا تعلمين ما اطلب اليك او انك ستعدين لسجود العديد فقط . انا اعطيك نقوداً - خمسة عشر روبلاً وربعاً . . . هل تعلمين ؟ انها نقود ، وليت شيئا يمكن ان تجديه فى قارعة الطريق .
 قولى لى ، بكم بعت عسلك مثلاً ؟»

«پاتنى عشر روبلاً لكل بود» .

«ايه انك بهذه الكلمات يا سيدتى تكذمين على نفسك . لانك لم تبيعي العسل پاتنى عشر روبلاً» .
 «بلى والله لقد بعت بهذا الثمن» .

«لا بأس ، لا بأس ، ان العسل هو العسل . ولكنك قد سمته فى مدة طويلة من الزمن قد تكون متعة كاملة بذلت فيها من العناية والجهد ما لا نهاية له . كنت تهتمين بأمره وتروحين وقائين اليه ، وحفظت النحل وأطعته فى خلايا طيلة ايام الشتاء والبرد . ولكن النفوس الميتة التى احدثت عنا لم تقبلى فيها اى مجهود . مشيئة الله هى التى وضعت حداً لحياتها على الارض وانقصت عدد الأتاس فى قرينك . فى الحالة الاولى ، استلمت اثني عشر روبلاً لكل بود (كما تقولين) عن ثعبك ومجبودك فى العسل . ولكن فى الحالة الثانية ستأخذين - لا اثني عشر روبلاً - بل خمسة عشر .

وسوف لا اعطيها لك وويلات فضية ، بل وويلات من العملة الورقية » .

لم يكن هناك شك لدى تشيتشيكيوف في ان هذه الحجج الدامنة سوف تغري السجور بالاستسلام بكل تأكيد .

فأجاب السجور تقول «يا لفرابة الاعمال التي تعرضني وأنا أرملة عديمة الحيلة ا قد يكون مسن الافضل لو انتظرت بعض الوقت فقد مسر بعض المسترين الآخرين وأرى فيما اذا كانوا سيدفون لنا آخر ، وأقارن عندئذ بين الاثنين » .

«يا للعار يا سيدتى ! يا للعار ! هل تفكرين فيما تقولين ؟ لمن هو الذى سيشتري هذه النفوس ؟ رأى فائدة يمكن ان يجنيها انسان منها ؟»

فأخذت السجور تفكر بصوت عال وتقول «اذا كان الامر كذلك فقد تبين ان لها فائدة لى» . ومن ثم جاست تعهق في تشيتشيكيوف بغم مفتوح ووجه متور تنتظر ماذا سيكون رد الفعل عند مصادفها .

فقال تشيتشيكيوف متعجباً «فائدة ترجى من الموتى في عقر بيت . ماذا ؟ ما الذى يمكن ان تفعله بهم ؟ تصيبهم على أعمدة الخشبي الصائير من البديقة ؟» فقالت وهي تصلب على نفسها «أخطأنا يا رب ! لكن ما هذا الذى تقول ؟»

• كانت قيمة العملة الورالية اكثر من قيمة مثيلها الفضية .

«أجل ، ماذا مستغلين بهم ؟ انهم أصبحوا الآن عظاما وقبوراً لا شىء آخر . وانتقالهم سيكون على صفحات الورق فقط . كفى ! كفى ! هيا أعطنى الجواب الأخير» . وراحت السجور مرة أخرى تستشير نفسها .

فقال تشيتشيكيوف «ما الذى تفكرين به يا ناستاسيا بتروفا ؟»

«انى لا اكاد اعرف ماذا سأفعل . قد يكون من الافضل ان أبيعك تيل قنب ؟»

«وما الذى أريده من تيل القنب ؟ اسمح لى . . . عندما اقترح عليك الاقتراح ، أرى انك تظنطين لى بقصة تيل القنب . تيل القنب هو تيل القنب . وقد احتاج منه شيئاً فى ريارتى القادمة ، أما الآن فأريد ان أعرف ما هو رأيك فى الاقتراح الذى هو موضوع البحث» .

«أظن أنها مساومة غريبة جداً ، فلم اسمح بشىء كهذا إطلاقاً !»

عندئذ فقد تشيتشيكيوف ما تبقى لديه من الصبر ، فقلب الكرسي على الارض وقال لها ان تنصرف الى الشيطان . ولكن ذكر الأخير جعلها ترتجف ملها . فشجب لونها وحبها وقالت «أتوسل اليك ، لا تذكر» ! عفا الله عنه ! كانت الليلة الماضية ثالث ليلة يظهر لى فيها فى المنام . فبعد أن أنهيت صلاة السماء خطر لى ان أعرف حظى فى ورق اللعب . يجب ان يكون قد أرسله الله لى عقاباً على ذلك . كان منظره مرعباً جداً وقرناه أطول من قرس الثور !»

«لا أدري لماذا لا قرين عشرات من الشياطين نسي
أحلامك . قد يكون جاء عطفا عليك وراقصة بك يخرق
بانك عجور فقيرة سائرة في طريق الدمار وستنتهي في
القريب العاجل الى العوز والعاقة . هيا - الى جهنم بك
وبقريتك !»

ونظرت العجوز الى ضيفها برعب وعلع وراحت تقول
«يا للاحانات !» فأكمل تشيتشيكوف قوله «لا أجد في
الحقيقة الكلمات المناسبة لأصفك بها . امك كالكلب
المربوط الى البذؤر . لا يأكل الملف ولا يدع غيره
يأكل منه . كل ما كنت أريده منك هو أن اشترى بعض
المنتجات من قريتك ، لأنني متعهد للحكومة بمثل هذه
ال حاجات» .

ذكر هذه لفكرة الأخيرة ، عابراً ، لأنها مرت نسي
خاطره . لفكرة حلوة دون أن يكون له من ورائها هدف
بعيد . ولكن ذكر تعهدات الحكومة كان له تأثير قوي
على ناستاسيا بطرفنا ، فسارعت تقول بنفحة متصرعة
كانها في صلاة «ولماذا اشتد بك الغضب علي ؟ لـ
كنت أعلم أن الغضب سيسأورك من هذا الحديث لـ
ناقشتك فيه» .

«لا عجب أن غلا غضبي . أن الامر لثافه جداً ، ولكنه
قد يصل بالانسان أحياناً الى درجة الفيلان» .
«سوف أعطيك القوسى ، بخمسة عشر روبلاً ورتباً ،
على أن تعدني عند التعهدات أن تذكرني في أى وقت
تحتاج فيه الى العنطة والجويدلو أو الجريش واللحم
المجففة» .

«لا ، لن أنصاك أبداً يا سيديتي» . وأخذ يمسح عن
جبهته ثلاثة جداول من العرق تصب على وجهه . ثم
سألها إذا ما كان لها في المدينة أى قريب أو وكيل
تستطيع أن توكل اليه التوقيع على الصفقة . وأن يغوب
عنها في كل ما تتطلبه العملية من إجراءات في دوائر
الحكومة» .

فأجابت السيدة كوروبوتشكا «طبعاً ، ابن قسمينا
الأب كيريل . هو نفسه محام» .

عندئذ رجعا تشيتشيكوف أن تكتب للرجل المذكور
صفحة التوكيل ، وذهب بنفسه تيسيراً للأمر في التسو
والساعة لكتابة التوكيل المطلوب .

بينما راحت السيدة تفكر في نفسها قائلة «من
المستحسن أن أغريه بشراء طعني وحيوانا تسمى
لتعهدات الحكومة . وعلى أن أجد طريقة أشجعها فيها
على ذلك . لدينا عيين من الليلة الماضية . سأذهب الى
فيتسيا وأجعلها تعلقى له بعضاً . ولا بأس أن أقدم له
منها فطيرة بالبيض . أنا حسن صنع هذه الاكلة هنا ،
وهي لا تأخذ وقتاً طويلاً» . وهكذا انطلقت تخرج
أفكارها هذه الى حيز التنفيذ ، ولكن تزيد على الطير
أشياء أخرى من محتويات المطبخ . أما تشيتشيكوف
فقد عاد الى صالة الاستقبال - حيث قصي ليلته
السابقة - ليحضر من صندوق رسائله أوراق الكتابة
اللازمة . كانت الفرمة قد أعيد ترتيبها ورفع منها
قراش الريش الضخم ووضعت مضطدة أمام الديوان .
فوضع صندوق رسائله على المنضدة . ثم تنهد تنهداً

لطيفة عندما احس انه مبلل بالفرق كما لو غطس في نهر . كانت كل ملايسته من القبيص الى الجيوب تمتص عرقاً . وبعد ان استراح لحظة قال «اه» ، كم اتعبتني ، هذه السمطاء اللينة !» ثم فتح صندوق الرسائل وقد يكون عند بعض قرائي ، على الاقل . رغبة في معرفة محتويات هذا الصندوق والشكل الذي وثبتت عليه . ولماذا لا انبئ هذه الرغبة ؟ كان اولاً في وسط الصندوق صحن لقعدة الصابون يغطي بها ستة اوسمة جويوب صغيرة لامواس الحلاقة ، وتلي ذلك قواطع مرسة التشكل لمنبة الرمل * وللمحبرة وما بينهما قاطع مستطيل لريشة الكتابة ثم قاطع آخر لتسح الاختام وما احتاج الى مجال كبير واخيراً كانت قواطع اصغر اللاتب ، الصغرى كبطاقات الزيارة وشهادوات الدفن ، وتذاكر المسارح وما احتفظ به تشيتشيكوف على سبيل الذكرى . وهذا القسم كله من الصندوق يمكن ان يرفع ان الخارج حيث يظهر تحته مكان للأوراق وصندوق سري صغير للثغود . والاخير يمكن ان يسحب من الجانب . وكان يفتح وسدده بسرعة لكي لا يرى احد كم لديه من النقود . وشرع تشيتشيكوف يظف ريشة ليكتب بها واذا بالصفحة تدخل عليه مديدة اعجابها بالصندوق ، وقالت وهي تجلس على مقعد مجاور «ما

* كان الرمل يستعمل لتجفيف الحبر قبل وجود ورق النشاف . الناشر .

هذا الصندوق الجميل يا سيدى ؟ هل اشتريته من موسكو ؟»

فاجاب تشيتشيكوف دون ان يقطع حبل الكتابة «نعم ، من موسكو» .

«لقد عرفت ذلك . فالمرء يستطيع ان يشتري اشياء جيدة من هناك . من ثلاثة اعوام اشترت احدى بعض الاخذية الجيدة لابنائها . وقد كانت بضاعة جيدة جداً ، الى هذا اليوم يلبسها الاولاد . اه ، كم لديك من الاوراق شعاع الحكومة ! (قالت هذا واخذت عيناها تبصصان داخل الصندوق فوجدت كمية غير قليلة من الورق المذكور) اتسمح لي بأخذ ورقة منها ؟ ليس عندى منها شيء ، وعلى* ان اقدم طلباً الى المحكمة وليس من شئ اكتب عليه» .

عندئذ اوضح لها تشيتشيكوف بأن هذا الورق ليس من النوع الذي تبص . فهو مطبوع خاصة لبيع الاقنان ولا يصلح لتقديم طلبات اخرى . ومع ذلك فقد اعطاها بنية لوزائها ورقة عليها طابع برون واحد تم سلبها الرسالة لتوقعها ، وطلب اليها لقاء ذلك نسخة عن لائحة الاسماء الطلاب . ولكن لائحة من هذا القبيل ، لسره السط ، لم تكتب في يوم من الايام ، والطريقة الوحيدة هي انما كانت تحفظ اسماءهم على ظهر القلب . مهما يكن من امر ، فقد طلب اليها ان تمل الاسماء عليه . وقد اندمشت بطلنا من اسمائهم كما اندمشت من بعض الالقاب ايضاً . وقد وقف لحظة عندما سمع اسم - «يتسر سافيليتش غير المحترم للطست» وقال لا ارادياً «اي

سلسلة من الاسماء هذه . وكان لقب تين " آحر
 «سحر البقرة» و لقب ثالث «عجلة ايفان» . على أية حال ،
 فقد اكمل الثلاثة أخيراً وتغنى الصمداء . ونرى عملته
 الأخيرة هذه التقط انه رائحة شبيهة لشئ مغسلي
 بالدم من مرقع رأسه وألقى نظرة على السائدة ، ماذا
 بها من لا بالنظر والقطير واللحم المختلفة .

«ارسك أن تتناول ثمة . جرب هذه النظيرة المتأخرة
 المحلية بالبيض» فامتثل تيميتشيوكوف للأمر . وبعد أن
 أكل أكثر من نصف ما قُدم له أخذ يمدح الطير
 مطبياً . كان في الواقع لديه الطعم ، وقد يزيد من لذة
 طعمه انه جاء بعد اليهود المتعب والصباغ الهائبة
 التي مر بها مع مصيفته .

وقالت السيدة «وبضعة من القطائر الصغيرة
 أيضاً ؟»

وردّ على ذلك طوى تيميتشيوكوف ثلاثاً مع بعضها
 البعض وغمسها في صحن الزبدة ووضعها في فمه دسة
 واحدة ثم مسح يديه وده بالوطلة . وأعاد هذه العملية
 ثلاث مرات أيضاً ، ثم طلب من مصيفته أن ترسل
 لأعداد العربية . ولما طلبت السيدة من فيتييا أن تذهب
 لتتخذ الأمر قالت لها أن تحضر معها عند عودتها طبعاً
 جديداً من القطائر الساحنة . فأخذ تيميتشيوكوف يقوم
 بهيمته في الطبق الجديد عند وصوله وهو يقول «انها
 عظيمة حقاً» .

فقدت السيدة «أجل . اننا نتقن في صحنها هنا ولو
 لم يكن موسم الحصاد سيئاً هذا العام والطحين غير

جيد ، مما معنى أن . . .» ورائه يمد يده الى قبضه
 وقالت : «ولكن عَلامَ تستحت الخطي يا سيدي ؟ ان
 العربية غير جاهزة بعد» .

«لكن هذا لا يستغرق وقتاً طويلاً» ، واني بحاجة الى
 دقيقين كي أحرم حقاعي» .

«كما تضاه يا سيدي ، لكن لا تمنني من ذلك
 التمهيدات الحكومية» .

فهرع تيميتشيوكوف موهولاً الى القاعة وهو يقول «لا ،
 لقد قلت لك انني لن اسألك» .

فتبعته مصيفته وهي تقول «الا تريد أن تشتري
 شيئاً من شحم الخنزير ؟»

«شحم الخنزير ؟ اوه ، طبعاً ، ولم ؟ لا ؟ انما . . . انما
 ساترك ذلك للمرة القادمة» .

«سيكون لدى قسم منه جاهزاً بعد عيد الميلاد» .
 «أجل ، أجل يا سيدي . سوف اشترى آخذ كل شئ» .

بما في ذلك الشحم» .
 «توربا كنت بحاجة الى الريش أيضاً ؟ سيكون جاهزاً

عندى المسح في عيد القديس فيليب» .
 «حسنًا جدًا ، حسنًا جدًا يا سيدي»

وخرجا الى الشرفة . فقالت «ها أنت ترى ان العربية
 ليست جاهزة بعد» .

«ولكنها سرعان ما تجهز . الا اني أرجو أن تدليني
 على الطريق الرئيسي»

«وكيف لي أن أفضل ذلك يا سيدي ؟ ففي هذه الناحية
 عدد كبير جداً من المنحطات . على أية حال . سوف

ارسل فتاة نذلك عليها . تستطيع أن تجد لها موصفا
قرب مقعد السائق ، اليس كذلك ؟

« بلى ، بلى » .

« الآن سأرسلها معك ، انها تعرف الطريق جيداً . انها
لا تذهب بها بعيداً ، فقد فقدت احدى فتياتي اذ اخذها
منى بعض التجار المتجولين » .

فلما تم تشييتشيكوف روعيا بهذا الشأن . فاطمأنت
واخذت بناء على ذلك تنقص الساحة . فوقع بصرها
على احدى حادياتها وهي خارجة من منزل الوؤن تحمل
في يديها اثناء خشمياً مليئاً بالعسل ، وراحت فلاحاً آخر
يتلصقاً قرب الرقاج ، وهكذا انفجست بنفسها شيئاً
فخميناً في شؤونها المنزلية واصبحت منهكة يهها .
ولكن لماذا هجر كوروبوتشكا احماساً ؟ تبا للارملة
كوروبوتشكا ومدام مانيلوفا والحياة المليئة والحياة
الفارغة ! فم ذا الذي يهتم بهذه الامور ؟ لكن بي الدنيا
من الضراية شيئاً كبيراً . وان المرء اذا ما فكر في امر
وايتسم له ، ما يكاد ينهي ايتسماته هذه ، حتى يكون
فكره قد انتقل الى امر آخر قد يكون محرناً . الله وحده
يعلم الاقار العديدة التي تبرز في ذهن الانسان فسي
اللحظة الواحدة . وقد تفكر ايها القاري في لحظة
كاللحظة التي نحن فيها فنقول - هل صحيح ان مدام
كوروبوتشكا تقف في سلم الكمال الانساني على درجة
منحلة جداً ؟ وهل هناك في الحقيقة هوة كبيرة تفصل
بينها وبين اختها التي تقبع محسودة بين جدران اربعة
في بيت فخم ارستقراطي ، على بالطور ، ذي سلام من

حديد مزين بالشعب النحاسية مؤتت بالعشب النفيس ،
ملروشي بالسجاد ، تقضي معظم اوقاتها تتنصب خلف
كتب لم تكمل قراءتها ، تنتظر زيارة شخص متميز
اجتماعياً لكي تطلعه على قلمتها وتشرح له افكارها
المنحوتة المعادة التي سبقت معرفتها والتي شغلت
المدينة منذ اسبوع محبي والتي لا علامة لها اطلاقاً
بشؤونها المنزلية او شؤون مزرعتها اللتين دب فيهما
المرض والخراب نتيجة جهلها بما هو هام في الحياة .
انها تناقض الانقلاب السياسي الذي تنهيا قرسا للقيام
به . والاتجاه الحديث الذي اخذت تسير فيسه
الكانوليكية الجديدة . تبا لهذه الامور ! ولماذا نتكلم
عنها ؟ ولكن لماذا يكون الانسان في لحظة من اللحظات
سعيداً حينئذ خالي البال والتفكير ويحس فجأة بموجة
من الهم ؟ ثم عليه لا يعلم لها مصدراً ؟ ولا تكون
الابتسامة قد فارقت ملامحه وشعر نوراً ان هناك قرناً
بينه وبين زميله الذي يجلس معه ، ويشع وجهه
بإشعاع مختلف جداً .

ولما رأى تشييتشيكوف العربية تتقدم ببطء صاح « ما
هي العربية » . ثم لسيليفان « يا للغبى ، لماذا تتلصق
هكذا ؟ أرى ان خيرة الامس لم تتغير من راسك بعد » .
ولم ينبس سيليفان ببنت شفة .

وخاطب تشييتشيكوف السيدة قائلاً « وداعاً يا مدام ،
ولكن أين البنت ؟ »

فصاحت « هاهي ، ييلانجيا » . وأشارت الى فتاة فسي
العادية عشرة من عمرها ترتدى ملابس مفزولة ومصبوغة

في البيت ولها قلمان عاريتان يكسوهما الوحل الكبير ،
إذا نظر اليهما الإنسان من بعيد يحسب قنصل خُصًا .
«هيا يا بيلغيا ، اذهبي ودلي السيد على الطريق» .
وساعد سيليفان الفتاة قس الصمود إلى مقعده .
فوضعت قدمًا على الرُفوف الذي يصعد عليه السيد
وملاؤه بالوحل . ثم صعدت وابتلعت مكابها المقرر قرب
السائق . وحذا تشيتشيكوف حذوها (مما جعل لمرءة
تجمل من ثقله) واستقر في مقعده الخلفي وهو يقول
«كل شيء على ما يرام ، وداعا يا مدام» . وانطلق
الجواد خبيًا .

كانت الجمالة ظاهرة على سيليفان ولكنه كان متنبها
متيقظا لصله . وكانت هذه عادته الدائمة عندما يرتكب
خطيئة أو يسكر . وكان يبدو على الجواد أيضا أنها
نظيفة أكثر من المعتاد ، فان طوق أحدهما كان مرتبا
جداً . مع أن في السابق الطوق نفسه يبلغ درجة بعيدة
في القدم بحيث أخذت حسوته تغترق الجلد وتبرز من
خلال الثقبوب . أما الصمت فكان يكون كاملا . كان
سيليفان يلوح بسوطه فقط ولم يكن يتكلم مع
الجواد ، مع أن الارقط كان على استعداد كما هي
العادة - لسماع ارشاد طويل لا سيما وإن الأئنة كانت
وحدة في يد السائق الفصيح والسوط يجول جولاً
برية فوق ظهر الترويكما بحكم العادة . مهما يكن من
أمر ، فإن الإنسان كان يستطيع أن يسمع من شفهي
سيليفان المكتبتين ، الصميمة البذيئة المعتادة «امشوا
أيها الحيوانات . امشوا أيها الحيوانات» . حتى الكميث

والمستشار لم يكونا يشعران بالرضى لأنهما لم يسمعا
التداء المألوف «أيها العزيزان» ، أو «أيها البطلان» .
ثم أخذ الارقط يتلقى ضربات عنيفة على كفيه المرض
الواسع . فراح يهز أذنيه ويقول في نفسه «اما الذي
غير من طبع سيدي ؟ انه يعرف جيدا أين يضربني . لا
يضربني على الظهر ، إنما يفتش عن المواضع الحساسة
كالأذنين أو البطن» .

ورأى سيليفان طريقاً موحلة تمتد على استقامتها ما
بين الحقول الخضراء ، فانشار إليها وهو يسأل الفتاة «إلى
اليمين ، اليس كذلك ؟»

فأجابت «لا ، لا ، سارك الطريق متى يهين
الحين» .

وسارت العربية شوطاً ، وسأل الفتاة مرة أخرى «إلى
طريق إذن ؟»

فأشارت إلى الطريق السالفة الذكر ، وقالت «هذه» .
فقال السائق «عليك لعنة الله ، ولكن هذه ذالعة
إلى اليمين» ، أنك لا تعرفين يمينك من شمالك» .

كان الطقس جميلاً ولكن الأرض كانت موحلة جداً
بحيث اكتست عجلات العربية بطبقة من الوحل كما لو كان
لها غطاء من اللباد فوق عجلات الحديد ، وهذا ما زاد
في ثقل العربية . ولم تستطع أن تتخلص من ضواحي
القرية قبل حلول الظهيرة ، ولو لا مساعدة الفتاة أيضاً
لكان العثور على الطريق مستحيلاً ، لأن عدداً كبيراً من
الطرق يتفرع إلى كل ناحية كسراطيين مصادة طلعت من
الكيس ولو لا المساعدة المذكورة لأراح سيليفان يتصرف

بحكمته الخاصة . وأخيرا اشارت الفتاة الى بناية بعيدة
وقالت «تلك هي الطريق العامة» .

فسألها سيليفان «وما هي تلك البناية ؟»
فألت «مجانة» .

«أذن تستطيع السير وحدنا . انزل وأوصلي الى
البيت» .

عندئذ اوقف العربدة وساعدها على النزول وهو يقول
«انها القنطرة ، ذات الاقدام السوداء» .

واضاف تشيتشيكوف الى هذا الكلام قطعة عمليّة
نحاسيّة ، فانصرفت البنت مسرورة بركوبها في عربة
السيد .

الفصل الرابع

واذ بلغ تشيتشيكوف الحانة عرج عليها ومعه
دعاه الى ذلك سيبان - احدهما انه كان يبغي إراحة
الخيول ، والاخر انه كان نفسه بحاجة الى استعادة
النشاط بتناول شيء خفيف من الطعام . ويجد المؤلف
نفسه هنا ملهما بالاعتراض بان شهية مثل هؤلاء الرجال
وسنة يطوهم امران يحسدان عليهما اما
اولئك الناس من اهل موسكو وبطرسبورج ، الذين هم
في يسر من العيش والذين يقضون اوقاتهم يحسبون
ماذا سيأكلون في المد ، وماذا سيأكلون بعد الفد ،
والذين لا يجلسون الى المائدة ابدا دون ان يجرعوا
حبة دواء ثم يلتهمون الحمار والسرطان وكمية اخرى من

المخلوقات الغريبة والذين يؤول أمرهم الى الذهاب
للاستشفاء في كارلسباد او القوقاز - اما بشأن هؤلاء
فليس للمؤلف معهم الا رأى زهيد . اجل ليس هؤلاء
بالقوم الذين يبعثون في النفس الحسد . انما تلك الفئة
من الطبقة المتوسطة ، الفئة التي تطلب قديد اخضرير
في نزل ، ولحم الغنير المشوي في نزل آخر
وتطلب في نزل ثالث شريحة من السمك او فطيرة
محبوزة مع البصل والتي تستطيع بعد ذلك الجلوس الى
المائدة في اية ساعة كما لو انها لم تتناول وجبة طعام
في حياتها من قبل ، وتستطيع ان تلتهم جميع انواع
الاكل وجميع اصناف السمك المختلفة وتصفها بشكل
تخصص منه زيادة الشهية ، هؤلاء اقول ، هم الجماعة
الذين يتمتعون بنعمة السماء التي ما بعدها نعمة .
وللبولغ الى هذه النعمة المساوية الصلوية نجد ان
الجماعة العظام الذين ذكرتهم فيما سبق ، على استمداد
للتفضيحة بنصف عبيدهم ونصف املاكهم . المرمونة
وغير المرمونة ، بما ادخل عليها من اصلاحات اجنبية
وامصلاحات وطنية ، في سبيل الحصول على معدة كذلك
التي تعطي بها الطبقة المتوسطة . لكن لسوء الحظ ، لا
المال ولا الاملاك - سواء ادخلت عليها التخصيصات او
لم تدخل ، بقادرة على شراء معدة كهذه .

كانت الحانة الخشبية الصغيرة يستارها الضيق -
واي كان منظر مضيق - المعلق بصاريين متقرنين
نقشاً غير محقول كشمعداني كنيسة قديمين ، تلوح
وكأنها تدعو تشيتشيكوف الى الدخول كانت البناية في

الرائع كوخاً روسياً وحسب ، من الررار المادى . لكنها كانت كوخاً ذا ابعاد اكبر من البتاد ، وقد رسمت ونقشت حول نوافذه وسقفه الهرمى اقاريز من خشب بالوان زاهية خفت من عتمة ظلال الجدران واتسعت انسجاماً كلياً مع الاصص ذات الزهور التى رسمت على دقات الشيا بيك .

وصعد تشيتشيكوف السلم الخشبي الضيق الى الطابق العلوى فوصل الى فسحة متسعة ووجد نفسه امام باب دى صرير وامرأة عجوز بدنية ترتدى رداً مقلماً طيئت اقلامه طباعة وقالت «هذه العريق ، من فضلك» . فوجد تشيتشيكوف فى الغرفة المبياة له اصدقاء القدامى الذين يجهم المرء دائماً فى الفنادق القائمة على جنب الطريق كهذا الفندق ، الا وهى - سساور اشيب ، واربعة جدران ملساء مخدشة من خشب الصنوبر الابيض ، واولاب مغلقة الزوايا فيه اكواب واباريق شاي ، واولان للبيض من الصينى المنهوب واقفة امام ايقونات معلقة تاربطه حبراء وزرنا ، وقطة اجبت حديثاً واصبحت لها عائلة ، ومرآة تعكس للناظر فيها عيوناً اربعة بدلا من اثنتين وقبيرة بدلا من وحى ، وجاناب الايقونات وضعت اضمات من الاعشاب والقرنفل منيرة ذابرة اذا حاول المرء شمهها انطلق عاصباً .

وسأل تشيتشيكوف ربة البيت وهى واقفة امامه فى الانتظار «هل عندك لحم خنزير وضيم ؟»
«نعم» .

«وفجل ابيض ولبن ؟»
«نعم» .

«احضرها اذن» .

فانطلقت السيدة لهذا الغرض . وعادت بطبق وعلوة (منشأة للدرجة أصبحت فيها كاللحاء الجف) وسكين يقيم من عظم بدا يحول لونه الى الصفرة . وشوكة بشحنتين فى رقة الرقاق ، ومعلقة لا تقف مستدلة .

واتبعاً للمادة الجارية ، دخل بطننا فى حديث مع المرأة ، وتساءل فيما اذا كانت هى التى تعرف على الحانة او اذا كان هناك مشرف آخر ، وكم هو مدخل الحانة ، وفيما اذا كان اولادها يمشون معها ، وهل الاكبر اعزب او متزوج ، ومن هى تلك التى تزوجها الاكبر ، وهل كان المهر الذى دفعته كبيراً ، وهل كان ابو العروس راضياً ، وفيما اذا لم يشتك ابو العروس المذكور من صغر الهدية عند العرس . وباختصار ، وقد طرق تشيتشيكوف كل نقطة يمكن أن تمر بالبال . وقد ابدى - بالطبع - رغبة فى معرفة الملاكين فى تلك الساحة ، وتأكد من اسمائهم فذا يها بلوخين . بوتشيتايف ميلنوى ، العقيد تشيبيراكوف ، سوباكيفيتش . فقال «اذن تعرفين سوباكيفيتش ؟» فاجابته بأنها لا تعرفه وحسب ، وانما تعرف ايضا ماتيلوف الاكول اكثر من سوباكيفيتش ، فماتيلوف يطلب دائماً فرخة مشوية وقطعاً من لحم المجل ولحم الحروف ثم يتذوق لقمة صغيرة من كل منها ويترك الباقي ، اما سوباكيفيتش فانه يطلب طبقاً واحداً فقط

لكنه يأكله ثم يطلب طبياً آخر من النوع نفسه
وبالتنن نفسه .

وبينما كان تشيتشيكوف يتجاذب أطراف الحديث مع
ربة الثول ويأكل لحم الخنزير الرضيع حتى لم تكسده
تبقى منه غير قطعه واحدة سمع صوت عربية تقترب .
فراى وهو يريثو من النافذة عربية خفيفة تجرها ثلاثة
خيول جيدة تقف بباب الحان . ونزل منها رجلان -
أحدهما طويل اشقر الشعر يرتدى معطفا أزرق غامقا
والآخر هزيل البنية أسود الشعر ذو معطف مقلّم .
وروقت خلف العربية عربية أخرى ، لكنها فارغة مهيئة ،
تجرها أربعة جياد طويلة النوبر وأطراف متهرئة لجها
من حال . ولم يلبث أن اتجه الى السلام وراح
يصعد عليها بينما ظل صاحب الشعر الأسود ينسكح
حول العربية كأنه يفتش عن شيء فيها ويتكلم اناء ذلك
مع سائق العربية الواقعة الى الخلف ويؤشر للعربية
خلفهم . وبدا لتشيتشيكوف أن صوت الرجل ذي الشعر
الأسود اليف لديه . وبينما كان يلقى عليه من
النافذة نظرة أخرى ليأكد منه ، دخل صاحب الشعر
الاشقر عليه الغرفة . كان القادم الجديد عالى البنية ذا
شارب صغير احمر ووجه نـ . بارز التقاطيع تسلسـ
حرة ثدل على أن لصاحبه صلبة وثيقة حميدة ان لم
تكن بدخان البارود فعلى الاقل بدخان التبغ . على أية
حال ، فقد سب تشيتشيكوف بأدب ورد الأنيـ
باحتفاء . وقد كاد الرجلان فى الواقع يدخلان معاً فى
حديث ويتعارفان على بعضهما البعض (لا سيما وقد كان

يبدو عليهما الاوتياح الى أن مطر الليلة السابقة قد
رسب الغبار على الأرض ففتت سياقة العربات على
الطرق لطيفة ممتعة) ، لو لا أن دخل ذو الشعر الأسود
ورس بقبعته على المنضمة وأزاح من فوق جبينه خصلته
مشعته سوداء من شعره الى الوراء . كان آخر الواصلين
معتدل الطول مقدماً منسجم الشكل له حدان فى غاية
الاحمرار واسنان فى يياض الثلج وفودان فى سواد
الدم . كانت ملامحه فى الحقيقة غضة حتى تكاد تحسبها
مكونة من الدم واللين ، بينما كانت الفصحة ترقص فى
كل فمسة من قسماكه . وصاح وقد تفتح للمصافح عندما
راى تشيتشيكوف «ها . ها . ها . أى حظ أوسلك الى
هنا ؟»

عندئذ عرف تشيتشيكوف نوزدريف - الرجل الذى
قابلته فى ولاية المدعى المم . والذى اصبح نسى
ظرفى دقيقة او دقيقتين من تعارفهما اليف جداً لزميله
فى الضيافة حتى راح يخاطبه بالضمير المفرد الثانى
على الرغم من أن تشيتشيكوف لم يحمله الجبال لذلك .
وسأله نوزدريف يقول «أين كنت اليوم ؟» ودون أن
ينتظر جوابا استمر يقول «أما أنا فعاقد من السوق
حيث نظفوا جيوبى . لم يحدث ليحويى ان اصبحت خالية
خاوية كهذه المرة . وهذا ما اضطرني فى الواقع الى
أن أعود بعبول الأجرة ! انظر من الشباك ترها بأم
عينيك . وأدار رأس تشيتشيكوف بشدة الى الجهة
المقصودة حتى كاد يصدمه بأطار النافذة . «هل رأيت
فى حياتك مثلاً عجباً ؟ اننى لا أكاد اصدق أن هذه

هواء كان لطيفا أم لم يكن ، فهو على الأقل قد تغلب عليك» .

«يا للسخرية ! ولكنني سوف أقلب عليه . دعه يلعب معي «الثلاثانية» وسوف أريك أي لاعب هو ! إيه أيها الصديق تشينتشيكوف ، لقد قضينا وقتاً رائعاً أول الامر ، فقد نجحت السوق نجاحاً هائلاً جداً . كان التجار أنفسهم في الواقع يقولون بأن ازدهارنا كهذا لم يحدث لى سون من قبل . أما من ناحيتي فقد دبرت بيع جميع منتجات املاكي بسعر محترم . يا لعظمة الوقت الذي قضيناه هناك ! تبا لي ، فأنني لا أستطيع إلا أن أفكر فيه ! لكن والأسف لأنك لم تكن هناك ! تصور على بعد ثلاثة فرسعات من المدينة تمسك قرقة من الفرمار ، ولا تكاد تستطيع أن تصدق عدد ما فيها من الضباط . هناك على الأقل أربون ضابطا يترددون على المدينة ويشربون فيها . وضابط الفرسان بوتسيويوف بالذات ، انه انسان عظيم حقاً ! كان عليك أن ترى شاذيه فقط ! أجل ، انه يسمى الفران الفرنسي السحق سقط المتاع ! ويصبح على التبادل يقول - هات بعضاً من سقط المتاع . والحال كوفتشينيكوف ، أيضاً ! انه غلوى ولائم تماماً . لقد قضينا وقتنا كله معه . ولك أن تتصور تجارة الخمار برونوموف . على أية حال ، فهو سائل كما تعرف ، ويجب أن لا يعامله أحد ، لأنه يضع جميع أنواع النعائات في مشروباته - الخشب الهندي والفلين المحروق وعصير اليلسان . . . ذلك التفل ، ومع هذا كله دعه يحضر لك زجاجة مما يسميه

الخيول التمسحة استطاعت ان توصلني الى هذا المكان . والواقع أنني اضطررت في الطريق الى الانتقال الى عربة صاحبنا هذا» . وأشار الى زميله بأصبعه . «بالماسية ، الا تعرفان بعضكما ؟ انه ميخوف ، صهيري . في صبيحة هذا اليوم كنت أكله عنك . لقد قلت له - سوف تقابل تشينتشيكوف اليوم ، وسترى . يا ألهي ، كم هي جيوبى حالية الآن ! لم أخرج أربعة جياذ أصيلة وحسب ، بل خسرت ساعتى وسلسلتى أيضاً . وقد لاحظ تشينتشيكوف في الواقع ان محدته تنقصه الأدوات المذكورة ، كما لاحظ أيضاً أن أحد جانبى هودي تودزوف كان قصيراً مفعشاً أكثر من الآخر . واستمر تودزوف يقول «لو كان في جيبي عشرةون روبلا أخرى لاسترجعت كل ما خسرت ، ولربعت ثلاثين ألفاً . نعم ، أقسم لك بشرغى على هذا» .

قال الرجل الأشقر «ولكنك قلت الشيء نفسه حينما قابلتك المرة الماضية ، واقترضتك خمسين روبلا آنذاك وخسرتها كلها» .

«ولكنني لم أكن لأخسرهما هذه المرة لو لم أرتكب حماقة ، حقاً ، ما كنت سأخسر . اننى أقول لك انى لم أكن لأخسرهما فلو سمحبت الورقة للصبيحة لربحت كل النقود» .

فاجاب الاشقر «ولكنك لم تسمحبه» .
«نعم ، وذلك لأني لم ألعب الورقة الرابعة . ولكن كيف كان لعب صديقك الغالي حضرة الرائد ؟»

«من الأفضل أن لا تفعل لأنك ستحس عندئذ اليندية
والخبرة معا . على أية حال ، أيتها الصديق
تشيستشيكوف ، فقد كان من الواسف أن لا تكون هناك .
إنك لو كنت لوجدت نفسك غير قادر على مقارفة الملازم
كوفتشينيكوف . ستيلفان - هو وأنت - من العطلة
شأوها ! إنه من جنس آخر يختلف كل الاختلاف
عن جنس المدعي العام وموظفينا المدنيين البهلاء
الأخرين الذين يرتحفون في أحديتهم قبل أن يصرفوا
كوبيكا واحداً . إنه على استعداد للعب بالورق - أية
لعبة شئت وفي أي وقت أردت . لماذا لم تأت معنا ؟
أنت تستحق على هذه الفصلة أن أسميك خنزيراً أو راعي
ماشية » . لكن لا عليك . ضمتني إليك . أفتى أحبك
كثيراً . ميخايل ، هل ترى الطرفاة التي انتهت إليها
الأمور ؟ ليس هناك من مصبحة تربطنا فحسب بيتنا ،
ولكن القدر شاء أن نكون صديقين ، فهبط من حيث لا
يعلم إلا الله ونزل في البقعة التي أنا فيها ! ولك يا
صاحبي أن تعلم كم كان عدد العربات هالكا في السوق !
لقد ذهبت هناك لكي ألبس لعبة روليت فربحت فيها
بمرتين من المهرم العطري وأبريق شاي صينيًا وقيثارة .
وقامت بعدئذ بأشياء أخرى ، كالمجنون ، وخسرتها

* يقول بوزدريف لتشيستشيكوف أنه حيوان على طريقته
في التصيب . المخرج .

المخدوع الخاص فستجد نفسك عندئذ في السبيل
المباشرة . وبا للكميات الهائلة من الشمبانيا التي
شرناها ! إذا قارنتها بمشروب حاكم الولاية حسيته
شرايا عتيقا لا يذاق . لم تشرب خمرة الكليكرت
وحسب بل شرينا الكليكرت الماترادورا - أي كليكوت
مضاعفة المفعول . وقد أحضر بوتوماريف زجاجة من
الخمر الفرنسي يسميها بون بون . وستسألني بالطبع
عن رائحتها . كانت في رائحة ورد البستان أو أي رائحة
عطرية أردت . يا لعظمة الوقت الذي قضيناه ! وما كنا
نترك محل بوتوماريف حتى وصل أحد الإمراء إلى المدينة
وأرسل في طلب بعض زجاجات الشمبانيا ، ولكن سم
نكن هناك زجاجة واحدة ، لأن الضباط شربوها كلها !
أجل ، فقد أنمت بنفسي سبع عشرة زجاجة في جلسة
واحدة !»

فقال الإشر «مه ، مه . ليس في وسك أن تشرب
سبع عشرة» .
فتحتم نوزدريف قائلا «ولكني فعلت . أقسم لك
بشرقي» .
«تخيل ما يحلو لك ، ولكنك لم تشرب حتى عشر
زجاجات في الجلسة الواحدة» .

«أترامني أنتي سأفعل ؟»

«لا ، فما الفائدة من الرهان على ذلك ؟»

«ترامني على الأقل باليندية التي اشتريتها» .

«لا ، لن أفعل شيئا من هذا القبيل» .

«أدخل في المراهنة كمجرد تجربة فقط» .

كلها وخسرت فوقها ستة ووبلات . اى زير نسـاء .
 كوفشينيكوف هذا ا قد اشتركتنا معا فى حفلات الرقص
 كلها تقريبا وكانت ذات مرة فيها امرأة فاخرة الثياب -
 يا لها من ابهة ! لقد اكتفيت بان قلت لنفسى -
 ليأخذها الشيطان - ولكن كوفشينيكوف ، ذلك الماين ،
 جلس بقربها وبدأ يسرد امامها سلسلة من المديح
 بالفرنسية - مهما يكن من امر ، فانه لم يترك حتى
 السيدات الصاديات مع انه يسمى هذا العمل قطع
 الثروت . واية اسماءك عجيبة قدموا لنا بهذه المناسبة ،
 حتى قطعة شهية من السمك . وهذا كل ما اعدته عى !
 لقد كنت فى الواقع سعيد العمل اذ اشتريت هذه
 السمكة قبل ضياع نقودى . الى أين أنت قاصد ؟

«انوى زياره صديق» - قال تشيتشيكوف .

«ومن هو هذا الصديق ؟ فليذهب الى الشيطان : تعال
 معى الى منزلى بدلا منه» .

«لا ، لا استطيع فان لى عملا اريد اتيه» .

«او» ربا له من عمل ؟

«ان لى عملا يجب ان اتيه . انه يحمل عاجيل
 جدا» .

«امنى اراهن انك تكذب ، واذا لم يكن ذلك فاحرنى
 من ستور» .

«سوياكيتش»

عندئذ انفجر نوزديف فى ضحكة لا يستطيعها الا
 الرجل العبقى السليم الذى لا يزال كل سن فى ثمره
 كالسكر فى بياض اللون . اعنى بذلك ضحكة الحدين

الراجلين ، الضحكة التى تجعل الجار الثائم على بعد ثلاث
 غرف والذى يفصل بينه وبينها بابان يفر من فرائشه
 ويترك عينيه ويقول «يا للكلب ! الفرحة قد غمدت
 ضلوعه» .

سأله تشيتشيكوف وقد اعتراه شيء من الغضب
 «وما الذى يستدعى الضحك ؟»

لكن نوزديف راح يضطك غير مكبوح الجراح اكثر
 من قبل ويقول «او» ا ارحمنا يا الله ! فالامر منع
 جدا . اكاد اموت منه !

فردد تشيتشيكوف يقو «قلت لك ان لا داعى
 للضحك ، فانا ذاهب الى سوباكيتش رغبة فى الوفاء
 بوعد قطعته على نفسى» .

«انك ستضيق ذرعاً بالحياة اذا ما وصلت الى هناك ،
 لانه ا بخل مخلوق فى هذه الضواحي . ا ، لو عرفت !
 على أية حال ، اذا كنت تظن انك ستجد لديه لعبة ورق
 او زجاجة بون بون فانت على خطأ . استمع لى يا صديقى
 العزيز ، دع سوباكيتش يذهب الى الشيطان ! وتعال
 الى منزلى حيث ستجد على الاقل قطعة من السمك اقدمها
 لك فى عشائك . لقد قال لى بونوماريف وهو يودعنى -
 هذه هى القطعة التى تليق بك ، ولو رحبت تفتش
 السوق كلها لم تجد احسن منها . ولكنه ياطيع مضاع
 فظيع . اما انا فقد ابيته راساً ، وقلت له - انت
 واجب الضرائب اقدر مخلوقين فى الوجود . ولكنه ربت
 على لحيته فقط ثم ابتسم . كنت اتناول بطورى كل يوم
 مع كوفشينيكوف فى حانوته ولكننى كنت انسى ان

اخبرك شيئاً . . . نعم ، اننى لن اتنازل لك عنه ، حتى ولا بعشرة آلاف روبل - اخبرك بذلك سلماً . ولو كنت اعرف انك الآن لن تتخلى عنه .

واسطلق عندئذ يركض صوب النافذة ويصيح على خادمه (وكان هذا يسكن في يد سكيننا وفي اليد الأخرى لقمة من خبز ومعلقة من سمك - وقد تمكس من اغتلاص الأخيرة بينما كان يفتش العربية عن شيء آخر) «أى بورفيرى ! احضر ذلك الجرو أيها الوغد ! يا للجرو الرائع ! ان صاحب الفندق اللص لم يكن يريد ان يبيعه بأى ثمن ، مع اننى وعدته ان اعطيه المهر السمر الذى قاومت عليها خفوستيريف - كما قدكر» . غير ان تشيتشيكوف من الواقع لم يكن قد رأى مدى حياته المهر السمر ولا خفوستيريف مطلقاً .

وتساءلت ربة المنزل وهى تدخل «هل تريد شيئاً للاكل يا سيمى ؟»

«لا ، لا شيء اهدأ . ايه ايها الصديق تشيتشيكوف ! اية اوقات قصصنا ! نعم ايتها المعجزة اعطينى كاساً من الفودكا . قول لى أى نوع لديك ؟»

«خاب اليانسون» .

«لأن هات لى كاساً منها» .

واضاف ذو الشعر الاسمر يقول «وواحدة أخرى لى أيضاً» .

واستمر نوزدريف فى حديثه قائلاً «وفى دار التمايل كانت هناك معلقة تشفى ، المعتالة ، كالمصفود الكبارى . وقال لى كوفتشينيكوف وكان يجلس بجانبى ~

من الأفضل لك يا عزيزى ان تنهب وتقطف تلك التوتة . اما أجنحة التمايل التى اقيمت فى السوق فلا تتجاوز الحقيقة ان قلت لك بأن عددها قد بلغ الخمسين . فيناردى العجيبازى ظل يدور اربع ساعات كالرعى . وعند هذه النقطة من حديثه توقف ليتناول كأس الفودكا من ربة المنزل ، التى امتحت شكراتها له على عمله هذا . وفى اللحظة نفسها دخل بورفيرى ، وهو رجل يرتدى مثل سيده (أى معطفاً مبطناً متسخاً بالدخان) وكان يحمل الجرو بين يديه .

فأمره نوزدريف قائلاً «أنزل الحيوان هنا على الأرض» .

وضع بورفيرى الحيوان على الأرض حيث أخذ يلعب بكفاءة الكلاب .

وصاح نوزدريف «إليك هذا الجرو» . وأمسكه من ظهره ودفعه . فصاح الجرو صيحة تدعو للثناء . والقى نوزدريف نظرة على بطن الحيوان واستمر يقول لبورفيرى «اننى أراك لم تعمل ما امرتك به . فقد نسيت ان تنظفه يا بفرجون» .

فاحتج بورفيرى بقوله «لقد فعلت» .

«ادن من أين جاءت هذه البراغيت ؟»

«لا أعلم . قد تكون قفرت اليه من العربية» .

«يا لك من كذاب ، لم يخطر ببالك ان تنظفه ، بل واهن أنك ، يا غيبى عبرت له بعض براغيثك . ومع ذلك ، أنظر يا تشيتشيكوف الى هاتين الاذنين . السهمما فقط» .

«وما الداعي لذلك ؟ اننى ارى فيه حسن المنية دون ان اقبل»

«وان يكن ، امسك اذنيه والمسبحة» .

فعل تشيتشيكوف ما طلب منه صاحبه عبارة له وقال «اجل ، يظهر انه حسن الاصل» .

«والمس برودة انفه ! ضح يدك عليها فقط» .

فلمس تشيتشيكوف الجرو راغباً في عدم اثاره محدثة . وقال «ستكون له في يوم من الايام حاسة شم جيدة» .

«شم ، اليس كذلك ؟ انه الاقرب المناسب لذلك . لقد كانت بي رغبة منذ امد طويل الى جرو كهذا . بورغيري ، اوجه ثاقية» .

فسرفع بورغيري الجرو من جنبه وحمله الى العربية .

واستألف نوزديف الحديث قائلا «اسمح يسا تشيتشيكوف ، يجب عليك ان تاتي الى منزلي . انه يقع على بعد خمسة فرسات فقط وتستطيع ان تذهب الى هناك بسرعة الريح ، وتستطيع ان تزور صوباكيفيتش فيما بعد» .

فاخذت نفس تشيتشيكوف تساوره - «الذهب الى منزل نوزديف ام لا ؟ وهل في الامكان ان يكون فيه خير اكثر من اليقين ؟ ان فيه على الاقل من الامل مثل ما فهم . لقد خسر في المقامرة مخاض جلي ولم ياله لها . انه يفضل ما يحلو له ولا يبالي . وقد يطيني ما اريد دون مقابل» . واضاف بصوت عال «حسن جداً ،

سأتي بك ، ولكن لن نبقى طويلا لان وقتي ثمين جداً» .

فصاح نوزديف «عظيم ! عظيم ! سنذهب ثلاثتنا ، دعني اقبلك على هذه الفكرة الطيبة» . ورمى نفسه على عنق تشيتشيكوف .

فتقبل الرجل ذو الشعر الاشقر وقال «اما انا فارجر ان تطيني من الذهاب ، لان علي ان اعود الى بيتي» .

«كلام قارغ ! كلام قارغ ! لن اسمح لك» . «ولكن زوجتي ستثور علي» . وعليكم ان تصافروا في عربة السيد .»

«قلت لك ان الامر لا يحتاج الى التفكير . هيا بنا ، هيا بنا» .

كان الرجل ذو الشعر الاشقر من الناس الذين تلمح في شخصيتهم اول نظرة شيئاً من الجهد والزمانة بحيث تجعلهم على استعداد لمناقشة كلمات المرء حتى قبل ان يلغظوا . انهم يعترضون على كل شيء يمكن ان يتعارض مع رأيهم الخاص . فهم يرفضون مثلاً ، ان تسمى الحافاة حكمة ، ويرفضون الرقص على أي قسم غير تفهم الذي يعزفون عليه . مهما يكن من امر ، ففي شخصيتهم تظهر دائماً نقصة من الضعف ، بحيث يقبلون آخر الامر ما يرضونه في اوله ويصفون ما هو احسن منه بأنه معقول ثم يرفضون احسن مما يفعل الآخرون ، على نعم لئله غيرهم . ياخشى الله ، هم يبدلون على المصوم صواباً ويقتنون دائماً على اسوأ ما يرام .

وقال نوزديف جواباً على اعتراض آخر لصهره «كلام فارغ»

وبالتأكيد لم يكذب نوزديف يخبث قبضته على رأسه حتى بدا الرجل ذو الشعر الأشقر يتجه ورميه .
فانبرت العجوز قائلة «ولكن السيد لم يدفع لمن الفردكا» .

«أجل ، أيتها الأم الطيبة . اسمع يا صهرى ، ادلع لها إذا سمعت . فليس فى جيبى كويك واحد» .
فسألتها الصهر «كم تريدين ؟»
«ثمانين كويكاً من فضلك» .

«هذا كثير ! أعطها نصف روبل ، فيه الكفاية» .
فاحتجبت السيدة قائلة «قليل يا سيدى» ، ولكنها أخفت النقود يامنتان وركضت الى الباب لتفتحه للسادة . ولم تخسر شيئاً فى حقيقة الأمر ، فقد تنازعت أربع مرات زيادة عما تستحق الفردكا من ثمن .

ومن ثم استقر المسافرون فى مقاعدهم . وقد كان فى امكان الرجال الثلاثة أن يتعاذبوا أطراف الحديث أثناء سيرهم ، لأن عربة تشيتشيكوف كانت تسير معاذية للعربة التى جلس فيها نوزديف وصهره . وكانت عربة نوزديف الصغيرة تسير خلفهم متاخرة دائماً بخيولها العجفاء ، وبورصيرى والجرو .

وبما أن الحديث الذى جرى بين المسافرين لا يضى القارى فى شىء ، فمن الأفضل أن أتحدث عن نوزديف شيئاً ولو قليلاً ، لا سيما وهو سيلعب دوراً غير بسيط فى قصتنا .

سيكون وجه نوزديف مألوفاً للقارى ، فما لا شك فيه أن كل انسان قد قابل مثيلاً له ، والناس من هذا القبيل ، حتى فى الصبا وأيام المدرسة يشتهرون بأنهم رفاق طيبون (ومع مع ذلك يثقلون شربات قوية) لأن وجعهم تبديني عنصراً من الصراحة والاستقامة والاقدام ما يشجعهم بسرعة على خلع الصداقات ، فيبدأون بمخاطبتك بالمصير المرد الثانى قبل أن يرتد اليك طرفك . إلا أنهم بينما هم يوطدون صداقات أبدية كهذه اثنا النهار ، تجدم دائماً يبدأون بالشجار فى الليلة نفسها ، لأنهم طيلة الوقت قوم وعناون مشتتون محبوبون للظهور ذوو صنويات عالية ، وفى الحقيقة كان نوزديف وهو فى الخامسة والثلاثين مثله تماماً وهو فى الثامنة عشرة أو فى العشرين - كان مثله تماماً فى دعائره وابهاكه فى الميزات . ولم يعثره زواجه بحال من الأحوال ، وقل أثر ذلك عنده عندما تركه روجه الى الدنيا الأخرى وتركت خلفها طفلين لم تكن له بهما رغبة ولهدا عهد بهما الى مربية جميلة . ولم يكن يستطيع مطلقاً أن يبقى فى بيته أكثر من يوم واحد لأن حاسة الشم عنده كانت تتعدى فرسمات عديدة وتكتشف الاسواق الموسمية التى ينتظر فيها البطلات الراقصة والتجعدات البشرية . وبناء على ذلك يكون هناك فى لمح البصر ، مشاجراً حائلاً البليبة على مائدة القمار (فهو كمن هم على شاكلته ، ذو ميل كبير للورق) . ولم يكن لعبه بالقمار جداً ولا بالنظيف جداً . ومع انه كان ارعن طائفاً الا انه كان فى الوقت نفسه

قديراً على القيام بسرقات خفية ووسائل معطوبة أخرى . وكانت اللعبة تنهى عادة أنواع آخرى من التسلية مختلف تماماً . أى أنه إما أن يتلقى ضربات بالحذاء لا بأس بها ، أو أن يسحب أحد جانبي لعبته الجزلة الرائعة الجمال . وتكون نتيجة ذلك أن يعود الى بيته فى بعض الأحيان ، واحد جانبي لعبته منتفوخ بكل تأكيد . إلا أن خديه الممتلئين بالصفحة والعاوية كانا يتدفقان بالضبباب والعبورية حتى أن الجانب المنتفوخ يبدأ حالاً بالانحسار محل القديم بل يفوق سابقه . وبالإضافة الى ذلك (وهذه ظاهرة خاصة بروسيا) ما يكاد ينقضى وقت قصير حتى يعود الى أصحابه الندامى الذين سلسوا منذ أمد قريب ، وينخرط معهم كأن لم يكن بينهم شيء مطلقاً ، ولا يشير الى الموضوع أية إشارة ، ويلوذون هم بالصمت أيضاً .

باختصار ، كان نوزدريف رجل شغوب ومشاكل . فلم يحضر اجتماعاً دون أن يثير فيه البلبلة ، وتكون النتيجة إما أن تستدعى الشرطة لطرده من المكان أو أن يقذف به اصطفاؤه الى الشارع . على أية حال ، فإذ لم يحدث أحد هذين الأمرين يكون قد قام بعمل لا يحدث لغيره . كان يسكر فى الحفلات بحيث يعجز ، إلا عن الضحك ، أو يكذب بشكل فظ يجعله يتجمل من نفسه فى بعض الأحيان . وبالإضافة الى ذلك ، فإن الرجل يكذب دون أى داع الى ذلك الكذب . فبيداً مثلاً سرد قصة طويلة ينتهى فيها الى أنه يمتلك حصاناً ذا لون أحمر أو أزرق ، حتى تجد مستمعيه فى النهاية

مضطربين الى تركه قائلين «إن قصتك جميلة أيتها الشيخ !» وبالإضافة الى ذلك فإن رجلاً من أمثال نوزدريف بهم رغبة فى إهانة القريبين منهم دون سبب يدعو الى ذلك (وفيما يتعلق بهذا الشأن ، فإني تجد رجلاً ذا مركز عال ومظهر محترم - رجلاً ذا نجمة على صدره مثلاً ، يتقدم اليك ذات يوم ضاعطاً على يدك ويبدأ بالحديث معك فى مواضيع تستحق التكثير ، إلا أن هذا الرجل يبدأ يشتمك فى وجهك بأسلوب يليق بكاتب بسيط لا برجل تحلى النجدة سدوه . كل ما يستطيع المرء أن يفعله فى هذه الحالة هو أن يهين كتيه مرة استغراب . وقد كان عند نوزدريف مثل هذا الضعف تماماً . فكلما ازدادت صداقته مع انسان أسرع فى توجيه الإهانة اليه وأصبح على استعداد لنشر الشائعات التى تفسد سمعته وتؤدي الى تخريب حفلات الزفاف والصفقات التجارية الربحية . مع ذلك فهو يعتبر نفسه دائماً صديقاً للرجل المهان ، وإذا ما قابلته مرة أخرى حيّاه باللفظ أسلوب مستطاع وقال له «لماذا انقطعت عن زيارتي أيها السائل !» وهكذا ، فإنا إذا نظرنا الى نوزدريف من جميع الوجوه نجده شخصاً متعدد المظاهر ومتعدد الامكانيات . ففي مأثرة واحدة وهى نفس المأثرة يقترح عليك أن يذهب معك الى حيث تريد «حتى الى أبعد أطراف الدنيا لو أردت» أو أن يشترك معك فى أى مشروع من المشاريع أو أن يبادلك أى سلعة بأى سلعة أخرى ذكرتها . فإني أدق والخير والكلاب كلها قابلة للمقايضة ليست للريح

منك . وهذه النصال تكون في الغالب نتيجة ثروة في مزاجه ، وتظهر جلية اذا ما قابل انساناً ساذجاً بسيطاً في سوق موسمية ومسلية ، فانه يأخذ عنده بشراء اول ما تقع عليه يده من اشياء - لجم الغيل ، وولاعات السجائر ، وملابس لمربية اطفاله ، ومهر الخيول والزبيب والاباريق والفاكهة الهولندية والخبطة والتبغ وللمستلزمات والسبك المبجف والصور والشاحذ الحجرية والاواني الخزفية والاحذية وما الى ذلك حتى يستهلك آخر قطعة من النقود في جيبه . الا ان هذه الاغراض نادراً ما كانت تصل الى بيته . اذ انه كان دائماً يخبرها في اليوم نفسه اذا ما قابل مقارفاً ابرع ، ويخسر زيادة عليها غالبونه والكيس الذي يحفظ التبغ فيه ومبسمه وعربته بخيولها الاربعة وسائق العرب . وتكون النتيجة ، وقد جرد من كل شيء ، ان يستدين من احد الاصدقاء اجرة عربة يود فيها . هكذا كان توردريف . وقد يقول البعض ان شخصيات كهذه قد اسلمت ، وان لم يعد وجود لامثال توردريف في يومنا هذا . يا للأسف ! ان قولاً كهذا هو عين الخطأ ، لأن اياماً عديدة سوف نتقصى قبل ان يختفي احتمال توردريف عن ايماننا - انهم في كل مكان بيننا . والفرق بين القديم منهم والجديد هو الفرق في النديس فقط . ويكاد ذوو النظرات السطحية ان يمتيروا الرجل الذي يغير مظهره وجهاً آخر يختلف عما كان عليه .

ولتكمل الحديث . لقد درجت العربات الثلاث حتى

اعتاب بيت توردريف وزل راكبوها . ولم يكن البيت على استعداد لاستقبال الضيوف ، وقد وقف فلاحان على حصنين خشبيين في منتصف قاعة الطعام يدعنان جدرانها بالجير ويستمرلان في اغنية لا نهاية لها . بينما هما يلطمحان الارض بالعيصر الذي يدهنان به . فاحرهما توردريف ان يذهب بصعدهما بسرعة وذهب الى غرفة مجاورة ليلقى أوامر اخرى . وسمع المدعوون رنين حوته واضعاً جداً وهو يأمر باعداد الطعام حتى ان تشميتشيكوف - وكان قد بدا يحس بالجوع مرة اخرى - استطاع ان يقدر ان اعداد اى نوع من الانواع التي يطلبها لن يتم قبل الساعة الخامسة . وعند رجوع توردريف دعا صديقه لشاهدة ما في قريته . فترجما على كل شيء حتى لم يبق ما يستحق الفرجة في قريته . وبدأت الرحلة بالقاء نظرة على الاسطبلات ، حيث كانت فرسان ادهامها رمادية والاخرى سمراء وحسان كبيت . وقال توردريف ان الحيوان الاخير - مع هذه الشاسع من الجمال - قد كلفه عشرة آلاف روبل .

فقال صهره متعجباً «انك لم تدفع عشرة آلاف روبل في هذه الدابة . انها لا تساوي حتى الالف» .

ياكد توردريف حديثه بقوله «قسماً بالله لقد دلت عشرة آلاف» .

فقال الاخر «لك ان تقسم ما تشاء» .

فسأله توردريف «اتراهن اني لم افعل ؟» ولكن الصور رفض العرض .

ومن ثم اخذ توردريف ضيفيه الى ناحية من الاسطبل

وأراها مرابط فارغة ادعى أن قد كان فيها خيول جميلة منذ آمد وجزير . ورأيا أيضا تيساً ما لا تزال الخرافة القديمة تعتبر وجوده ضرورياً في محلات كهذه مع أنه لا نفع فيه ولا عمل له إلا التبختر جيئة وذهاباً أمام الخيول كما لو كان سيد المحل . ومن ثم أخذ المضيف ضيفيه لمشاهدة ذئب صغير مقيت بالسلاسل . وقال موضحاً ، «ننالا نطعمه سوى اللحم النيء . لأننى أريد على اشترى ما يرام» . ثم ذهبت الزمرة لرؤية بركة قال نوزديف أن فيها سمكا يصح فسخه جداً فلا يستطيع حمل السمكة الواحدة منه الا رجلان قويان يتعاونان نسي هذه المهمة . واستقبل الصبر هذه المعلومات باستهجان جديد . ولكن نوزديف لم يعبا بذلك ، وراح يقول «دعنى الآن يا تشيتشيكوف أريك زوجاً من الكلاب فحماً حقاً . صوفهما كالابر وصلابة عضلاتهما سوف تدعشك» .

وقادها وهو يقول ذلك الى سقيفة صغيرة ، لكنها حسنة البناء ، تحيط بها أسيجة عالية من جميع نواحيها . وشاهد الزائران لها دحلاها عدداً من الكلاب من جميع الألوان والحجوم والأصناف . وبما نوزديف يبيتها كدب بيت بين عائلته . ويصصت الحيوانات أذناها - أو «أصولها» كما يستعملها حواة الكلاب . والقى عدد منها مغالبه على كتفى تشيتشيكوف . وقد دفعت الصداقة أحد الكلاب لى الواقع ، الى أن يقف على رجليه الخليلتين ويلهق شفتى تشيتشيكوف بما اضطره الى البصاق . وبعد أن

تم ذلك شاهد الزائران زوج الكلاب الذى سبق ذكره وأبديا دهشتها من متانة العضلات . وقد كانا فى الحقيقة حيوانين جميلين . وبالتالي رأت الزمرة الكلية القرمية * التى كما يقول نوزديف - رغم عمارتها واخترانها على الفناء - كانت كلبة رالحة حقاً منذ سنتين لا غير ، وعند فحصهم لها تبين أنها عيياء بالفص . ثم القيا نظرة على طاحونة الماء التى ينقصها موضع حجر الرمي اللولبي الذى كان يجب أن يدور فيه الحجر العلوى «مرمجة» - حسب التعبير الطريف لدى يصفه به الفلاحون الروس . وقال نوزديف «لا عليكم من هذا ، ولنذهب الى محل الحدادة» . وإلى ذلك المكان سارت الزمرة . ولما أصبح المحل تمت أنظارهم أشجار نوزديف الى حقل أمامه وقال :

«فى هذا الحقل رأيت عدداً من الآرائب البرية غطى وجه الأرض بحيث أخفاها عن البصر . والواقع أنسى أمسكت ذات يوم أرنباً بيدي من رجليله الخليلتين .

فعلقت صهره قائلا «تمسك أرنباً بيديك من رجليه الظلميس ؟ انك لم تفعل ذلك مطلقاً» .

واكد نوزديف كلامه قائلا «ولكنى فعلت . مهما يكن من أمر» . والتفت الى تشيتشيكوف وقال «أريك الحد الذى تنتهى عنده أرضى» .

وبدا يقول صيوقه وهو يقول ذلك ، عبر حقل يتكون

* سبة الى فيه جزيرة القرم . للقلم .

وإن يشتري أرضاً في الوقت نفسه ؟ أجل ، كنت في السوق واشتري ماعوزي الأرض في غيابي .

فقال صهره وقد لاح الشبك في محياه وهز رأسه «ايه ! ماعوزك اشتراها !»

وعاد القوم من الطريق الواعرة التي جاءوا منها . وبعد أن وصلوا البيت قادصا إلى مكتب الذي لم يكن فيه أثر لما يوجه عادة في غرف كهذه - كالكتسب والورق . بل على العكس ، فالأدوات الوحيدة الموجودة فيها كانت سيفاً وبندقيتين أحدهما تبلغ قيمتها ثلاثمائة روبل والأخرى حوالى ثمانمائة . وتمصص الصهر الأدوات المذكورة وهز رأسه كالعادة ثم شاهد الزائران غنجر تركية أصلية . خفر على أحدهما النقش الثاني خطأ «الصانع سافيل سيبيرياكوف - سسكان » .

وجاءت بعد ذلك أرغن يدوية بدأ نوزديف يلعب عليها أحد الانغام . ولبرهة من الزمن لم تكن الأصنام كثيرة الازعاج . لكن ظهر فجأة نوع من خطأ ، فصدوت نغمة «المازوركا» تلتها نغمة «المالورخ» ذهب إلى العربية» ثم تبع هذه نغمة «فالس» معروفة قديمة . وزيادة على ذلك ، فقد كان أحد أنابيب الآلة ذا صوت حاد غير متجمع مع بقية الأنابيب أثناء لعزف فراح يصدر صفيراً جامحاً حسب ما شاء له الهوى حتى بعد أن أوقف نوزديف إدارة المقبض بيدة طويلة . وتلا ذلك عرض غلاييسن الشيخ - غلاييسن من الفخار ومن التشيب ومن طيبن

• صانع الحكايات - المترجم .

غالبه من فتوات حيث بدأت الزهرة تتفتق مواضع أقدامها بين أحاديث صروثة من الأرض وأحاديث مطاة بالمشب الزخفاف . وابتدا تشبثيشيكوف يحس بالتعب لأن الأرض كانت منخفضة جداً حتى كأن يستح صوت الماء يخلق تحت أقدامهم في مواقع عديدة . ومع أن الزائر يشيّر ظلاً برهة من الزمن وصفا يراقبان موطن الأقدام وينقلان الخطى بجنر شديد ، إلا أنهما أدركا وشيئاً أن عملاً كهذا لن يجدي ، فأنكلا كل منهما على وجهه دون أن يختار أو يتجنب المواقع التي قد يكون الرجل فيها صعباً أو ضلالاً . وبعد لأي ، أي بعد أن قطع الجميع مسافة غير قليلة ، وقعت أنظارهم على صارية الحدود وخنق ضيق .

وقال نوزديف «هذه هي الحدود . وكل ما تريان على هذه الناحية من الصارية هو لي ، بما في ذلك الغابة التي تقع على الناحية الأخرى وما وراء الغابة» .

فسأله صهره «متى أصبحت هذه الغابة لك ؟ يظهر أنك اشتريتها حديثاً جداً ، لأنها لم تكن لك من قبل إطلاقاً» .

فقال نوزديف «نعم ، لم يس علي شرائي لها أمسه طويل» .

«متى لحت أن تشتريها بهذه السرعة ؟»
«متى ! لقد اشتريتها منذ ثلاثة أيام ، والشيطان يعرف أتى دفعت فيها ثمناً باهظاً» .

«حقاً ؟ لكنك منذ ثلاثة أيام كنت في السوق ؟»
«يا لنفسي ! ألا يستطيع المرء أن يكون في السوق

الغنان ، غلايين مستعملة وغير مستعملة ، غلايين ملفوفة بجلد السموا وغير ملفوفة ، ثم شيوخ ومبسه من الكهرمان (وهو صفة ربحها حديثاً في الورق) وكيس للتبغ (ادعى أن كوتنيسه وقعت في حبه في محطة قد شغلته له ، وكانت يداها كما يؤكد نوزدريف «الغفر السامي» - تعبير في القاموس النوزدريفي يدس على ذروة الاتقان) . أخيراً - يدان أكلوا بعض الكوامخ من ظهور السمك ، وأشرفت الساعة على الخامسة ، جلسوا إلى العائدة . ولم يكن الطعام بأي حال من الأحوال من الأشياء الرئيسية في حياة نوزدريف ، ولم يهتم بالطبخ نظراً إلى أن بعض الأطباء كانت مطبوخة أكثر من الضجيج وبعضها الآخر يبدو وكأنه لم يطبخ أصلاً . وكان من الواضح أن صانع الطعام كان يشق أكثر ما يشق بالإبقاء - فكان يمسك بأرل شيء تقح يدها عليه ، فلو كان الفلفل أقرب شيء إليه فإنه يضيف الفلفل بغير حساب . ولو حدث أن وقعت يدها على قطعة من كرتب لحشرها بين أصناف الطعام ، والشيء نفسه يقال عن اللبن ولحم الخنزير والفاصوليا . باختصار ، كان شعاره «اعمل طبقاً سائناً من أي نوع كان ، فلا بد أن يكون له طعم هو أي طعم كان» . أما فيما عدا ذلك ، فقد انكب نوزدريف شغله على احتساء الخمر . حتى قيل أن يقدم الحساء كان فيه صب لكل صيف كاساً من النبيذ واتبعها بكأس أخرى من شراب السموتوك المفقش (لم يكن شراب السموتون المادي يوجد في الأقاليم) . ثم طلب زجاجة من نبيذ

الماديرا - (أدوع ما سكر به مارشال في الجيش) . ولكن كل ما فعلته الماديرا هو أن لذت الحلق . وذلك لأن صانعها لمعرفتهم بأدواق سادتنا الملاكين (الذين يتعشقون الماديرا الطيبة) يطعمونها دائماً أثناء صنعها بكميات كبيرة من الروم والفودكا القيصرية * ، أولاً فسي أن تتعلمه المعد الرسمية وبعد هذه الزجاجة جاء نوزدريف بزجاجة من صنف «خاص جداً» ادعى أنه يتكون من خليط من البرغندي والشمبانيا . وراح يصب كميات وفيرة منها في كأس تسميتشيكوف وصهره اللذين جلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله . وقد لاحظ تسميتشيكوف أن نوزدريف صب لنفسه في كأسه زجاجة يصبيراً من الخليط فزعم بطلنا أن يكون على حق ، ولهذا كان يفتنم كل فرصة كان فيها نوزدريف يصب كأس صهره ويتحدث معه ، فيقلب كأسه (أي كأس تسميتشيكوف) بما فيها فسي طبقه . ومن ثم اضطرت إلى العائدة قارورة تبيد من حروب غيراه ادعى رب البيت أن طعمه يقارب طعم القشطة ، لكن - من الغريب أن طعمه في الواقع كان أقرب إلى طعم الفودكا المصنوع في البيت . وبالتالي التهم الجمع نوعاً من المشروب غاب عني الآن اسمه الحقيقي . إلا أن الضيف ذكر اسماً آخر في الفرصة التالية التي أعيد فيها ذكره مرة أخرى . وبعد أن انتهت

* الفودكا القيصرية - خليط من بعض العواشب المكونة يستعمل في الكيمياء . للتأثير .

وجبات الطعام وجريت أنواع الغيور ظل الضيف سوف
جالسين في اماكنهم - وهو امر سبب الارتباك
لنستيشيكوف نظراً الى أنه لم يكن يود أن يمرض
مشروعه الأثير أمام صهر نوزدريف الذي كان غريباً
تماماً بالنسبة اليه . فهذا الموضوع يستدعى حديثاً
ودياً خاصاً . ومع ذلك فقد لاح أن وجود الصهر لا
ينظر بخطر كبير لأنه كان قد تمادى في السكر وبدأ
يفلو على مقعده . وأدرك الصهر بنفسه بعد لى أنه
ليس في وضع أمين أبداً ، فنهض وبدأ يطلب الادن
بالرجوع الى البيت بنفخة الباعس الوسنان حتى كاد
ينطبق عليه المثل الروسي القائل "يشد الطوق على
الحصان بالكتابة".

فصاح نوزدريف "لا ، لا ! لن أدعك تذهب".
فاجاب الصهر "لكن يجب أن اذهب . لا تحاول أن
تمنعني . انك تزعجتني جداً".
"كلام فارغ ! سوف نلعب لعبة لصرف".
"لا ، لا ، يجب أن تلعبا دوني ايها الصديقان . ان
زوجتي تنتظرني في البيت . يجب أن اذهب واحدها
بكل شيء عن السوق . يجب أن اذهب اذا كنت ساعاظة
على رضاها . فلا تحاول أبقتني".
"زوجتك ؟ لكن هل هناك في الحقيقة شأن هام بينك
وبينها ؟"

"لا ، لا ، ايها الصديق . فالسبب الحقيقي هو انها
امراة طيبة أمينة تضحي كثيراً في سبيلي . ان النوع
تنب الى عيني كلما فكرت في اطلاقها . فلما تناول

أبقائي . اننى أقول لك قولة الرجل العريف - يجب ان
أذهب . وعليك أن تتأكد من صفاء نيتي".

تدخل كستيشيكوف يهدو بقول "أيه . دعاه
يلعب . فما الفائدة في بقائه ؟"

قال نوزدريف "أجل ، أجل ، لعنة الله على الذين
يفقدون عقولهم" ثم التفت الى صهره وقال "أذهب يا
فيتوك". الى الشيطان بك وبزوجتك وبأحاديث
النساء".

قال الصهر "لا داعي الى الاهانات توجهها لي بلقب
فيتوك . فاني أدرك لها يحياتي . وهى عزيزة علي".
اثيرة عندي ، اغدقت علي من عطائها الشيء الكثير -
عطفاً لا اكاد أذكره حتى تغرورق عيني بالدموع .
وهي مستسلمة عما رايت في السوق وعلى أن أخبرها
بكل شيء . لانها غالبية جداً ، عزيزة جداً".

"أذن اذهب اليها بصية كذك . اليك قمطتك".
"لا يا ايها الصديق الطيب ، لا تذكرها على هذا
النوع . انك تسيء لي كثيراً بصلك هذا - فهي غاية
جداً ، عزيزة جداً".
"أذن هيا اليها وكفها".

"سم . ها انا ذاهب . فاعدائى لأمى لا يستطيع
اليقار . كان يودي أن اظل معكما . ولكنى لا أستطيع".
واستمر الصهر يردد معاذيره المرة تلو الأخرى دون

* فيتوك - كلمة روسية يقصد بها الاذاعة ، لأن الحرف
الأول منها يرمز الى كلمة أخرى ثالثة . بالترجم .

أن يلاحظ أنه جلس في العربة وأنها اجتازت به الباب
رأه أصبح في الطريق المأم . ويمكننا أن نفترض
تجاوزاً أن روحه استطاعت أن تلتقط منه قطفاً من
الانباء عن السوق .

وقد توردوف وهو واقف في الشباك يرقب العربة
الراحلة «يا له من دنيء ! ألا أن حصانه الجانبى لا
ياسى به . منذ امد طويل وأما أريد الوصول عليه .
لكن ذلك مستحيل من هذا الرجل . نعم ، انه فيتوك ،
فيتوك بكل ما في الكلمة من معنى» .

وبهذا عادا الى الصلاة حيث وجدوا بورفيري يشمعل
الانوار ، وراى تشيتشيكوف مضطجعه بعد رزمة من
الورق .

وراح نوزدريف يضبط على جوانب الرزمة وينهبها
قليلا حتى غدت تفرقع وطارت منها ورقة ، وقال «ما
رايك في أن أكون أمين اللعبة بثلاثمائة ؟
فتظاهر تشيتشيكوف بأنه لم يسمعه ، ولكنه قال
بلهجة الذى يتذكر شيئاً كان قد نسيه - «لقد غاب عن
بالى أن لي طلباً إليك» .

«وما هو الطلب ؟»

«تعدنى أولاً أن تلبيه» .

«ما هو إذن ؟ تكلم» .

«إذن أنت تعدنى بإعطائه ؟»

«بكل تأكيد» .

«أقسم بشرتك ؟»

«أقسم بشرقى» .

«إذن هذا هو طلبى - أظن أن لديك عدداً كبيراً من
الاقنان الموتى الذين لم تضطج أسمائهم من لوائح
الإحصاء الأخيرة ؟»

«أجل لى» ، ولكن لماذا تسأل عنهم ؟

«لأننى أريد منك أن تحولهم على اسمى» .

«وما حاجتك بهم ؟»

«لا عليك . فلي مارب فيهم» .

«وما هو ذلك المارب ؟»

«أمر يخصنى رحمتى . موجز القول انى بساجة
اليهم» .

«يظهر أن عقلك قد تسخض عن مشروع لطيف جداً .
الى» به الآن ! أوتى ما فى جيبك» .

«وكيف اتخض عن مشروع كالذى تقول ؟ ان تفاهات
كهنه لا تكون مصدر إيمان للبشاريع الطيبة» .

«إذن لماذا تريد الاقنان ؟»

«ما هذا الفصول يا رجل ! أراك لا تكتفى بتلمس
الشيء إنما تود أن تحضر أثقك فيه» .

«ما الذى يمتنع من أن تكشف عن مشروعك
إذن ؟»

«وما جدوى معرفتك به ؟ انها مجرد زروة تستولى
على» .

«وإذا لم تخبرنى برايك لن أحولهم الى اسمك» .

«هذا كل ما فى الأمر . وانت لست على حق فيما تفعل
الآن . فقد وعدتني بشرتك . وما أنت تحاول أن تنقض
الوعد» .

«هذا ما تريد أنت . وسأظل على رفضي حتى أرى ماوبك» .

وراح تشيتشيكوف يفكر . «ما الذي سأقوله لهذا الإنسان ؟» . وبعد فترة قصيرة من الزمن أخذ يقول له بأن هدفه من وراء الحصول على الإنفس الميتة هو أن يرفع من مركزه في المجتمع لأنه في الوقت الحاضر لا يمتلك أراضي واسعة ولذلك فهو يحتاج إلى حنطة صغيرة من العبيد لا غير .

ولكن نورديف - حتى قبل أن يتم كلامه - قال له قائلا «نك تكذب ، نعم ، أنك تكذب أيها الصديق المحترم» .

فأدرك تشيتشيكوف أن دليله كان صميغاً رجحته كانت واهية . فاستجمع أفكاره وأضاف بصوت عال يقول لنورديف «سأطعنك على الحقيقة على أن لا تطلع عليها أحداً . كل ما في الأمر هو أنني عازم على الزواج ، ومن سوء حظي أن والد غيبتي ووالدتها قوم اخذت منهم الفطرسية ماتخذها فهم يشترطون أن يكون العريس مالكا لثلاثمائة نفس على الأقل ، وليس في حورتى غير مائة وخمسين ، وهو عدد غير كاف كما ترى» .

«أنك تكذب أيضاً» .

«اسمع يا هذا . اننى الآن لم أكذب حتى إلى هذا الحد» . وأشار يقسم ضمير على ما هو عليه الأصغر . «ومع ذلك فأننى أراهم على رأسى بأنك كنت تكذب فى كل كلمة قلتها» .

«كللى ! كللى ! هذا غير لائق منك . ولماذا أكذب ؟»

«لأنى أعرفك ، وأعرف أنك وغد أصيل . أقول لك هذا بدافع الصداقة . ولو كانت لي سلطة عليك ، لشتقتك على أقرب شجرة» .

واستاء تشيتشيكوف من هذا القول . فقد كان يكره التعابير البالية التي تجرح الكرامة ، ولم يكن يسمح لأي إمرأ - باستثناء أصحاب النود والراكس العاية - أن يسلكوا معه سلوك الآلة التي تتجاوز الحدود . ولهذا بلغ استيائه في تلك اللحظة أشده . وراح نورديف يكرر كلامه ويقول «أى والله ، كان يجب أن أشتكك وأنا أقول لك هذا لا رغبة في الاساءة اليك إنما للصراحة التي فطرت عليها ، الصراحة التي يجب أن تكون بين الصديق والصديق» .

فاجاب تشيتشيكوف بجفاف «إن لكل شيء حداً ، وإذا كنت تنوى أن تستعمل هذه التعابير فمن الأفضل لك أن تعود إلى ثكنات المصكر» .

وسادت بينهما فترة من الصمت . تابع تشيتشيكوف بعدها قوله «إذا كنت لا تريد أن تهدى العبيد فلماذا لا تبصمهم لي ؟»

«أبصمهم ؟ انى أعرفك أيها السافل ! أنك لن تدفع قيم شيئاً يستحق الذكر . اليس كذلك ؟»

«أمر ظرف حقاً ! اصغ لي يا هذا . ما هي قيمتهم عندك . جواهر نفيسة على ما أظن ؟»

«هذا ما كنت أقدر . ألم أقل لك انى أعرفك ؟»
«أيه يا أخى ، هذه انتطاعات اليهودية ، كان يتوجب عليك أن تهدىهم لي» .

«على العكس مما تظن ، فليس في نيتي أن استملك ، ولكي أثبت لك ذلك فسوف لا اطلب حتى كوبيكا واحدا مقابلهم . كل ما اطلب هو أن تشتري المهر الذي رايت وسأعطيك الصبيد خوق الصنقة دون مقابل» .

فقال تشيتشيكوف متعجبا جدا للاقتراح «لكن ما حاجتي الى مهر ؟»

«ما حاجتك له ؟ مه . لقد اشترته بعشرة آلاف روبل واني على استعداد لكي اعطيك إياه بأربعة آلاف فقط» .

«دعني أكرر سؤالى مرة أخرى - أى فائدة يمكن أن أجنيها من المهر ؟ أنا لا أقتنى الجيساد ولا احتفظ بأسطبل لها» .

«بيدو أنك لم تفهمنى . دعنى أهوّن الامر عليك . ادفع الآن خمسا من الثمن ثلاثة آلاف روبل . ولؤجل الألف الأخرى الى ما بعد» .

«ولكننى قلت لك لا أريد أن أشتري ذلك المهر ، الله يحفظه» .

«إذن فاشتري المهرة الشقراء» .

«لا ، حتى ولا هذه» .

«إذن اشتر المهرة الشقراء والجواد الرمادى اللذين رأيتهما في الأسطبل بألفي روبل فقط» .

«لا حاجة بي للخيل مطلقا» .

«ولكنك تستطيع أن تبيعها مرة أخرى . وبإستطاعتك أن تحصل على ثلاثة أضعاف الثمن في أول مسوق تذهب» .

«أذن بعها بنفسك ما دعت وانقا هذه الثقة من هذا الربيع العظيم» .

«أجل ، سأبيعها في أسرع وقت ، انما كنت أريدك أنت أن تسفيد من هذه الصنقة» .

فشكر تشيتشيكوف معادته شكرا جزيلاً ، ولكنه صمم على رفض الحصان الرمادى والمهرة الشقراء .

ثم قال نوزدويف «إذن فاشتري بعض الكلاب . سأعطيك زوجاً منها فاعمة الاهداب منتعبة الأذان معتلة الصدر والأرداف لم تقع على مثلها عين انسان من قبل . لها مخالب متجمعة اذا سارت عليها تحسبها لا تكاد تمس الأرض» .

«وما فائدة الكلاب لي ، لست صيادا» .

«لكننى أريد أن تكون من هواة تربية الكلاب . لا ، اذا كنت لا تريد الكلاب على امكانك أن تشتري الآلة الموسيقية . انها آلة ضخمة حقاً . أقسم لك بشرفى أننى اشتريتها عندما كانت جديدة بألف وخمسمائة روبل . خذها بتسعة مائة» .

«هه هه ! وما الذى أعمله بها ؟ لست ألمانيا حتى أحملها على كتفى وأتجول بها في الشوارع لكي أستعبد بها الكوبيكات» .

«ولكن هذه آلة تختلف عن تلك التى يتجول بها الألمان . انها أرغن أصيل . اذهب وافحصها بنفسك . انها مصنوعة من أجود أنواع الخشب . هيا معى لتلقى عليها نظرة أخرى» .

وامسك بيد تشيتشيكوف وسحبه الى الغرفة الأخرى

حيث اضطر الأخير - على الرغم من تأكيده لنوزدريف أنه على علم بوجود الأرغن - إلى الاستماع مرة أخرى إلى كيفية ذهاب مالبروغ إلى الحرب .

ثم راح نوزدريف يقول «إذا كنت لا تريد أن تعطيني نقوداً ، فاستمع إلى هذا الاقتراح . سوف أعطيك الآلة الموسيقية وكل ما لدي من الانفس الميتة وتمطيني مقابل ذلك عربتك وثلاثمائة ووبل أخرى» .

«استمعوا للرجل ! وما الذي يبقى لي للانتقال من مكان إلى آخر ؟»

«أيه ! سأعطيك عربة أخرى . تعال معي إلى المراهب وسوف أريك التي أعني . أنها لا تحتاج إلا إلى الدهان لكي تصبح فاخرة جداً» .

«يا للشيطان الهائج غير مكبوح العنان» . قال هذا تشيتشيكوف لنفسه التي حسم في قراوتها أن يتخلص من صفقات العربات والآلات الموسيقية وكل أنواع الكلاب مهما كانت ممثلة الصدور والارذاف أو مسجحة المتألمة ومنصية الأذان .

وإعاد نوزدريف يقول «وستأخذ بدلاً منها هذه العربة والآلة الموسيقية وكل الانفس الميتة» .

فقال تشيتشيكوف «كلا ، لا أريد» .

«ولماذا ؟»

«الانفس لا أريد ، هذا كل ما في الامر» .

«أنتي اعرف أنك وعدت سافل لا تعرف كيف تسهر الامور بين الاصدقاء . ها انتي اري اهلك رجل مزدوج» .

«ماذا تعني هل انا مجنون ؟ فكر في الامر بنفسك . كيف اشترى أشياء لا حاجة لي بها ؟»

«كفى ! كفى ! من فضلك . لقد عرفتك على حقيقتك ، إنك وبش أصيل . ولكن استمع إلي ، هل تلمس الورق ؟ أنتي على استعداد للمقامرة بالانفس الميتة والآلة الموسيقية إذا أحببت» .

«لا ، فاللمب يالورق معناه أن يستلم الانسان نفسه للجهول» كان يقول تشيتشيكوف وأخذ ينظر من طرف إلى رزمة الورق التي كانت في يد نوزدريف . وقد خفقه شيء من الشك عندما رأى الطريقة التي كان زميله يقطع الرزمة بها .

وسأله نوزدريف «وماذا تعني بالجهول ؟ ليس هناك شيء اسمه الجهول . إذا حالفك الحظ فستربح ما لا يسعه إلا الشيطان . أيه ! يا للظ ! يا للظ ! انظر . ها هي وحدها . تلك التهمة لمعونة التي غشيت بسببها كل شيء في تلك الليلة . لقد أحسست عندئذ أنها ستخدعني ولكني قلت لنفسى - هيّا ، أرى حياتك . وليأخذك الشيطان» .

وبينما كان نوزدريف يتكلم ويلعب بالورق ، دخل بوزغيري يحمل زجاجة شراب أخرى . ولكن تشيتشيكوف رفض أن يشرب ويلعب .

فسأله نوزدريف «ولماذا ترفض اللعب ؟»

«لأنى لا أحس بالرغبة فيه . وبالإضافة إلى ذلك فأنا لا أحب اللعب» .

«ولماذا لا تعبه ؟»

فهو تميمتشيكيوف كتفيه . وقال «لاني لا احمه» .
«انك لا تجيد شيئا من الاشياء على ما اظن» .
«وما العمل اذا كان الله خلقتني هكذا؟»
«انك في الحقيقة فينوك ، ولا شيء غير ذلك . لقد
حبستك اسنانا محترما من قبل ، ولكني ارى انك لا
تفهم اصول الديانة ولا تعرف الآداب . ان المصرة لا
يستطيع ان يعتبرك صديقا ولا ان يتكلم معك على هذا
الاساس لانك عديم الصراحة ، عديم الاخلاص . انك
سوباكليفيتشي حقيقي يائس» .
«لاي يجب تطلق لسانك علي» بالשתم والمسبات ؟
هل هناك من خطا اذا رفضت لعب لورق ؟ بعسي
الانفس وحدها اذا شئت ان تكون دقيقا في مصرك» .
«لياحدك الشيطان الاحق ! كنت سأعطيك هذه
الانفس بلا مقابل ، ولكني لن اعطيكها لان اطلاقا ، و
اعطيتني ثلاث ممالك بدلا منها . لم تعد أي رابطة
تربطني بك ، ايها الثعلب القذر ! بورديري ، اذهب
واخبر السائس ان لا يضع لخيول السيد شوقاس ولا
شعيرا ، تبنا فقط» .
لم يكن تميمتشيكيوف يتوقع ان تتطور الامور الى هذا
الحد .

واكمل نوزدريف يقول «وامت ، المغرب عن وجهي» .
وعلى الرغم من ذلك كله فقد تناولوا العشاء معا -
ولكن العصور ذات الاسماء الرفيعة لم تكن تربيث المائدة
هذه المرة . كان كل ما هناك زحاجة واحدة من التينة
الماضي جدا يشبه الخل اكثر مما يشبه النبيذ . وبعد

العشاء قاد نوزدريف تميمتشيكيوف الى غرفة جارية اعدت
له فيها الفراش وقال له «هنا ستنام ، ولا غبة بي من
ان اتمني لك ليلة سعيدة» .

واحيى تميمتشيكيوف ، بعد ان تركه نوزدريف ،
أبه في حالة نفسانية لا يحسد عليها . فاحد يلوم
نفسه بمرارة ، وهو يغلي حنقا ، على مجيئه لرؤية هذا
الرجل وصرف وقته الثمين صدى . ولكنه لام نفسه
اكثر من ذلك لانه اطمعه على مشروعه . فنصرف بذلك
نصرف الاطفال والمجانين . فامشروع بكل تأكيد . ليس
مما يستحق به لامثال نوزدريف الشخص النافذ الذي
لقد يخلق الاكاذيب حوله . ويريد عليها الحواشي .
رينتر تصفا لا يعلم الا الله مدى الفصائع التي
تترتب عليها . واخذ يقول لنفسه «انه امر سيي، حقا ا
ريا لي من غبي ا» وقصص بشا . على ذلك ليلة مؤرقة
مضنية . وبعد كان ضمعا على اية ان انطلقت عليه
عداد غفيرة من حشرات لاذعة صغيرة تدولته بالمدع
والترس حتى لم يكن يستطيع ان يعمل شيئا الا ان
يحك مواضعها ويقول «لياحدك الشيطان انست
ونوزدريف « واستيقظ في الصباح الباكر ، وكان اول
عمل قام به (بعد ان ليس حله ورداه) ان اجاز
حظيرة البيت الى الاسطبل لكي يأمر سفيغان باعداد
انربة . وييسا كان رجعا من مهمته تلك ، تقابل مع
نوزدريف مرتديا رداءه وممسكا بطيونه بين اسنانه .
(حيثا رب البيت ضيقه كما يفعل الاصدقاء ، وسأله
كيف كان نومه .

فاجاب تشيتشيكوف بمرارة عليها مسحة من جفاف «لا بأس به» .

فقال نوردريف «أما أنا يا أخى فأية إنكار لعينة مقينة للحاقية طلب تدور فى رأسى طول الليل . ومضى قسمى طعم كريمة من شراب البازوخة . وكنت أحس من آخرها عملها فى الليلة الماضية ركان فرقة من الجنود تصمكر على صدورى حتى أننى حملت يا فتى أجلد . انه ! وعينى تظن ذلك الذى حسبت بأنه يجلدنى ؟ ! أعلتك ستعرف .

انه الضابط بوتسيلوف وكوشيتيكوف !»

فقال تشيتشيكوف لنفسه «ليت حد الجلد كان حقيقة لا حسماً» . واستمر نوردريف يقول «رقد شعرت أننى مريض جداً . وما كدت أنام حتى بقاء شىء . ولمسمنى . قد تكون البراغيث هى التى فعلت ذلك . والآن اذهب وارأسد ملابسك وماكون عندك حالا . على» أولاً أن اذهب الى المعاور السافل وأرجعه» .

وذهب تشيتشيكوف الى غرفته لينسل وجهه ويرتنى ملاسبه . وما أن أتم حاتين الصميتين حتى دخل الى غرفة الطعام فوجه على المائدة معدات الشاى ودرجية روم كان من العجى أن مكنسة لم تمس المكان بعد . فقد ظلت آثار اللبلة الساقطة من نغداً وعشاءاً هائلة على شكل فتات منتشرة على الأرض ورماد تبع على ملاءة المائدة . حتى رب البيت . عندما دخل . كان لا يزال يرتدى الرداء البيئى الذى كان يكشف عن صدر أشعث . وعندما جلس مسمكاً غليونه فى يده . يشرب

الشاى من قديم فى اليد الأخرى كان ثوباً حاليماً بلرسامين الذين يحبون ومم غير المتأقنين ويكرهون ومم الرجال الذين ينهبون الى الحلاق ييمسند بهم شعهم بأشبط والفرشاة ويصم عليه مختلف الروائع والمطور .

وبعد فترة من الصمت أخذ نوردريف يقول «ما رأيك الآن ؟ ألا تحب أن تذهب معى على تلك النفوس ؟»

«لقد قلت لك انى لا ألب الورق أبداً . ماذا كانت النفوس للبيع قانى ماضتريها» .

«أتنى أرباً بنفسى أن أبيعها . فهذا شىء لا يليق بين الاصدقاء . أما اذا لعبنا عليها لعبة فان وجهه المسألة صيتقير . دعنى أقطع الورق» .

«لقد قلت لك أننى لن ألعب» .

«ألا توافق على المبادلة أيضاً ؟»

«كلا» .

«أذن اصح لي . ما رأيك فى أن نلعب الداما ؟ اذا ربحت فالأفس لك . ان هناك كثيراً منها فى اللوحة

أريد شطبه . بوريري . احضر ورقة الداما» .

«أناك تضيق وقتك . بلن ألعب الداما أيضاً» .

«ولكن لعب الداما يختلف اختلافاً كبيراً عن لعب الورق قيسر مع معال لا للحظ ولا للفش . ان كل شىء فيه يعتمد على المهارة . وعلى» أن أبلغك منذ الآن أننى لن أستطيع أن أحاربك فى اللعب الا اذا سمحت لي بمركة أو حركتين أسبلك بهما» .

وراج تشيتشيكوف بفكر . «وبم لا ألعب معه . لقد

كنت في وقت من الاوقات لايعا ماقرأ في الداما . وليس في هذه السعة فرصة للجديده .

واصاف بصوت عال يقول «حسنا ، هيتا بنسا الى الداما» .

فقال نوزديف «ومتكون النفوس مقابل ملحة رويل ؟»

«هذا كثير ! خمسون رويلا تكفي»

«لا ، وما دفع الخمسين . ولكني ساضف مقابل الروبلات الستة جرو كلب لا بأس به . . و الانصر من ذلك سلسلة ذهبية لساعتك» .

هو اني تشيتشيكوف قائلا «حسن جدا» .

«اذن بكم حركة ستسمح لي ان اسبلك ؟»

«ولماذا ؟ طبعا لن اسمح بشيء» .

«اسمح لي بحركتين من الاقل» .

«لا ، لن اسمح بشيء» . قائلا ضعيف فيها .

فقال نوزديف وهو يحرك قطعة منها «اني اعرفك واعرف لعبك الضعيف» .

فاجاب تشيتشيكوف وهو يحرك قطعة اخرى «سند مدة طويلة لم تلمس يدى قطعة داما» .

فكرر نوزديف وهو يحرك قطعة ايضا «ايه ، اني اعرفك واعرف لعبك الضعيف» .

فحرك تشيتشيكوف بدوره قطعة وقال «اجل ، منذ مدة طويلة لم تلمس يدى قطعة داما» .

فعال نوزديف للمرة الثالثة وهو يحرك القطعة الثالثة . «ايه ، اني اعرفك واعرف لعبك الضعيف» .

وفي الوقت نفسه ، بينما كان يقول ذلك كان كسم قميصه يحرك قطعة اخرى من مرضعها .

بينما كان تشيتشيكوف يقول «اجل منذ مدة طويلة لم . . . هه ا ما هذا ؟ ارجع القطعة الى مرضعها»

«آية بطعة ؟»

«هذه» .

واشار الى القطعة التي هي موضع الجدل . ولكنه وجد في الوقت نفسه ان هناك قطعة اخرى غيرها قد طلعت داما ، ولا يعلم الا الله ما الذي جاء بالقطعة الجديدة الى مرضعها ذلك .

فنهض تشيتشيكوف عن المنضدة وهو يصيح «لا ، لا ، من المستحيل ان يذهب الر . مع وجعل مثلك

فالباس لا يحركون ثلاث قطع دفعة واحدة» .

«كيف ، ثلاث قطع ا إنه مجرد خطأ بسيط ، فقد تحركت احدى قطعي بالصدفة ، واذا شئت ساعيدها الى حيث كانت» .

«ومن اين جاءت القطعة الثالثة ؟»

«آية قطعة تمضي ؟»

«تلك التي طلعت داما» .

«هل نسيت حركة هذه ؟»

«لا ، لا ، يا حديقي . لقد حسبت كل حركة واستطيع ان اذكرها لك واحدة واحدة . و تلك القطعة قد اصبحت حديثا الى الرقعة . هيتا ارجعها الى مكانها» .

«مكانها ؟ وما هو مكانها ؟ - وحيرو وجهه احمرارا شديدا - اراك ملهقا كبيرا !»

«لا ، لا أيها الأخ العزيز ، انك انت الملق ، ولكنك مدقق فاشل كما أرى»

«ما الذي تعتقد ؟» «إذن ؟ انني اغشيك ؟ اليس كذلك ؟»

«أما لا اعتقد فيك شيئاً . وكل ما أقول هو أنني لن ألعب معك» .

فاستلمت ثورة نوزدريف وقال «ولكنك لا تستطيع ان تلعب ، فاللعبة قد ابتدأت» .

«ومع كل هذا ، هلني اسحق أن أتركك اللعب ما دمت لا تلعب لعباً شريعياً» .

«انك تكذب ، وكيف تجرؤ على هذا القول ؟»

«أنت الذي يكذب» .

«أما لم أغش . وبما على ذلك لا تستطيع ان تترك ، وعليك أن تكمل اللعبة الى نهايتها» .

فقال تشيتشيكوف بيروود «نك لا تستطيع أن تزعجني عن اللعب» . وانفتحت الى رقعة الداما ومر يده عليها وغلط بين قطعيها .

فاقترب نوزدريف من تشيتشيكوف وعلى مهبها

امارات الوعيد بحث تراجع الاحير خطواته الى الزوا . وقال نوزدريف «سوف اغشك عن اللعب . ان خط

رقعة الداما لن يهديك شيئاً ، لانني اذكرك كل سرقة من الحركات . سوف نعيد القطع الى مواضعها كما كانت» .

«لا ، لا ، يا صديقي . لقد انتهت اللعبة ، ولنن ألعب معك بعد» .

«تقول انك لن تلعب ؟»

«نعم . فانت ترى بنفسك ان امرأ كهذا أصبح مستحيلاً» .

«أأنت مصمم على هذا ؟ هيا من مرة ثانية انك ترفض اللعب معي» . وتقدم نوزدريف عند قوله هذا من تشيتشيكوف خطوة الى الامام

فقال تشيتشيكوف «أجل . لا اريد» . وعلى ارجلك

نفسه رفع يديه دفاعاً امام وجهه ، لأن سير الامور أصبح حاسماً . والواقع ان عمده هذا كان له ما يبرره ،

لأن نوزدريف هجم عليه رانماً قبضته . وكان مسن المحتمل ان يتلقى بطشاً على خدته الممتلئ التفسير لكفة

لا تنسى ان لم يتجنبها بأن هجم على خراحي نوزدريف السدي كان يدوِّج بها . واسسك بهما بيمن يديه .

واخذ نوزدريف يصيح بجنون وهو يتهاك على تغليب يديه «بورغيري ! ياقلوشكا !»

وعندما سمع تشيتشيكوف هذا الصياح ترك يديه نوزدريف . وقد افلتتها في الواقع لمبمين - اولهما

انه لم يجب ان يرى الخدم هذا المنظر الذي لا يشرف احداً . وقائهما ان الاصابع يهذي نوزدريف لم تمد يده

جديري . وما كاد يفلح حتى دخل الغرفة بورغيري وحده ياندوشكا - عملاق من الاوباش ليس التفرغ له من الحكمة في شيء .

فقال نوزدريف «هل تريد او لا تريد ان تكمل اللعبة ؟ اعطني الجواب حالا» .

فاجاب تشيتشيكوف وهو ينظر من المائدة «لا ، ليس

انتهاء النوبة بالاستطاعة» . وراى ان العربية جاهزة منى انتظار اشارة ، وسيليقان على اهله الاستعداد ليتقدم بها الى سلم البيت . ولكن لم يكن من الفرصة مناسب لان الحاديين المقاتلين مائلان بالباب .

واعاد مورديف قوله وقد احمر وجهه كالنار «اذن انت لا تريد انهاء الحمية ؟ ايسس كذلك ؟»

«كنت اود» انها لو لعبت لعباً شريفاً ، اما والحالة هذه فكلا» .

«انك ان تستطيع ايها الوغد ! انك تترك اللبب لمّا وجدت نفسك مغلوباً على امرك ، وعرفت ان الحظ قد تخلف عنك ! اضرب يا شباب !» وجه الجملة الاحيرة الى بورفيرى وبافلوشكا ، وسحب بنفسه قصة من شغب الكرو . اما تشيبيشيكوف فاصبح لونه كالملاء البيضاء . كان يحاول ان يقول شيئاً ، الا ان شغبه كائنات ترمضان دون ان تصدوا صوتاً .

وصاح نوردريف للمرة الثانية «هيا اضرباه !» واندفع هاجماً وهو يتصويب عرناً وقد اجتاعته توبة عاصفة من الحساس تبق بالعارس المموار عندما بهجم على حصن حصين . وصاح مرة اخرى «اضرباه !» بصوت الضابط المتهور الذى يبعث الحساس فى جوده للهجوم على الهدف الحصين بقوله «ان الامام ايها الرفاق !» لما عرف عنه رؤساؤه من تهور وطيش فقصموا على كف يده عن العمل اذا ما عاد الى طيشه وتهوره . مهما يكن من امر ، فان راس الضابط - وقد اجتاحت حمية المعركة ، - ياخذ بالدف والدوران ، وتلوح امام عينيه صورة

الجنرال سرقوروف . فيتنقم الجنود ويصبح بصوت مسعور «ال الامام ايها الشجعان !» غير حاسب للنتائج حساباً ، وغير مفكر فيما اذا كان عمله هذا سوف يغرب خطة الهجوم العام ، وغير عاين فيما اذا كانت قووات ملايين الياقق مضمونه من قوى فى السور فسي انتظار الصيد المرقوب ، وغير مقدر ان يذهب هجومه ادراج الرياح وان تكون فى تلك اللحظة قد صدرت من فرجة احدى المتادق الرصاصات التى كتب لها فى اللوح الم محفوظ ان تطبق على جنجرته فتسكتها الى الابد على اية حال ، فاذا كان نوردريف يشبه ذلك الصابط ايبانيس العنيد الذى رسمناه هاجماً على الحصن الحصين ، فقد كان الحصن فى قصتنا بعيداً عن ان يكون حصيناً ولا يمت للحصن الذى سبق وصفه باية صلة . وواقع الامر ان لرعب والهلع استوليا على حصننا فهوت روحه الى حاله . قبل كل شىء ما كاد تشيبيشيكوف (لحصى الذى تتكلم عنه) يسك بكرسى لكن يدافع به عن نفسه حتى اقتزعه من قبضته أحد البعيد ، ومن ثم اطلق لحياته ، وهو يمس بأنه اقرب الى الموت منه ان الحياة ، ليتلقى صرلة من عصا مضيقه . ولا يعم الا الله ، الذى كان سيحدث لكتفيه وخصره وظهره لو لم يتدخل القدر لانقاده بيمحة من المعجزات . فعلى حين غرة ، ودون ان يوقع ذلك احد ، سمع صوت رنين

• سولوروف - قائد روسى عظيم حاز على شهرة كبيرة فى حرب السنوات السبع . انظر .

«انت تكلم ! انا اقول لك في وجهك ! طوال حياتي لم تقع عيناي على الملاك ماكسيموف» .
 «سيدى المحترم ، اسمح لي ان اذكرك بأسى موصف حكومة . وهذا النمط من الكلام تستطيع ان توجهه لخدمك ، لا لي» .
 وعند الكلمة الاخيرة سحب تشيتشيكوف قبضته ، ودون ان ينتظر جواب نوزديف ، زلق من وراء ظهر الضابط ، وادفع الى المدخل ، وتفرغ في اسرعة وامر سيليفان ان يسوق العربدة بسرعة الرجيع .

الفصل الخامس

ارتعب تشيتشيكوف بالتاكيد بكل ما في الكلمة من معنى . فمع ان العربدة كانت مندفة في سيرها لا تلوى على شيء حتى اختفى بيت نوزديف خلف اروابسى والاسيجة الا ان يطلنا غلظت خلفت وراءه بصبيبة واضمال كما لو كان يشتغل ان يرى خلفه مطاردة عنيفة بين الفينة والاخرى . كان ينتفض بصعوبة ولما وضع يده على قلبه شعر به يهتق كانه طائر السلوى عندما يقع في الشباك . وراح يخاطب نفسه ويقول «اى ضنى اورثنى هذا المغلوق» . بينما تغامر رأسه زعزعات عارمة طامية . وكانت التمايل التي فاء بها في الوازع اهد ما يمكن ان تكون عن الكياسة . ولكن ما العمل ؟ لقد كان روسيا وعلاؤه على ذلك حرج عن طوره . ولم يكن الامر بعد ذلك كله هزلاً . ونظر بباله : لو لا

اجراس عربية وقرقعة عجلات تقترب من مدخل البيت ، وما ان وقفت حتى سمع صوت لهاث الخيول ونحيبها ، وكان هذه الاصوات تد هيض من السماء . فنظر الكلب دون ارادة من القادة وراوا رجلاً ذا شوارب يلبيس مبطناً عسكرياً وهو يارل من المربة . وبعد ان القى سؤالا او سؤالين في القاعة دخل الى غرفة الطعام في اللحظة التي كان فيها تشيتشيكوف يكاد يفشى عليه من الهلع ، ويجد نفسه يمر في ارجح المواقف التي يمر بها انسان فان .

التي الرجل المجهول نظرة حائرة على الرجلين - نوزديف (وهو لا يزال رافقاً عصاه في يده) وتشيتشيكوف (الذي كان قد بدأ يستجمع نفسه حين العمل التعيس) وتبادل قائلاً «ارجو كما ان تخبر انسى ايكما هو الميند نوزديف» .

فتكلم نوزديف الى الضابط وقال له «ارجو ان تعبرنى من تكون» .

«انا رئيس شرطة الريف» .

«وماذا تريد ؟»

«حدث اذى مهمة كلت في بها . وحي ان ابلغك عن وضعت تحت المراسمة الى ان تقرر المحكمة مصير قضيتك» .

«مرء ا هراء ! وى قضية هذه ؟»

«انت منهم بانك اعتديت رانت في حالة السكر وباستعمال قسيب على الملاك ماكسيموف واحدت لى جسمه اضراواً بليقة» .

الخيل الثلاثة باستثناء شديده .

وبكى تاملات الساحطين انقطعت فجأة بشكل عنيف ثم
يكنى من الحسبان فقد أعادهم الى الواقع اصطدامهم
اصطداماً شديداً يعرية تجربتها ستة حيل ، بينصفا
انهات على رؤوسهم صرخات سيدات داخل العريضة
وعاصفة من الشتائم والمهيبات من سائقها ، وصاح
اسائق قائلاً «ما الذي جرى لك ايها المجهول البهيم !
لقد صعب عليك يا بني صوت ! ابتعد يا غراب لشؤم ،
والرم يمينك هل اسم سكران ؟ » وادرك سيليفان انه
كان السبب لانه كان عديسهم الاكرات ولكن لان
الروسي لا يقبل لاعتراض بطانته بحضور الاغراب ،
رد عليه بكرياء «لماذا دخلت عنيما ؟ هل تركت
عينيك حذرك في آخر حاية وقفت فيها ؟ » وبذلك بدأ
يسحب العربة الى الخلف بعية ان يجلسها من أطواق
العربة الاخرى ولكن ذلك لم يكن بالإمكان ، لان
اخرتين كانتا قد اشتبكنا اشتباكاً لا رجاء فيه . وراح
الارقط آنذاك يتشهم بامتقارب معارضة الجهد الذين
تسمروا على جانبيه . بينما راحت سيدتان كانتا داخل
انعربة تتطلمار الى منظر لاصطدام وعن وجهيهما
سماء العرب والفرع . كانت احدهما عجوزاً والاخرى
فتاة في نحو السادسة عشرة . وسقطت خصلة من شعر
الفتاة الذهبي برقة وامانة عن رأسها الصغير وانعدلت
عن الوجه اليساوي الجليل كان وجهها كالبيضة لا في
الانسجام وحسب ، بل في لونها الابيض اشفاف الذي
نراه دية البيت حين تمسك يديها بيضة «نضيفة»

وليس الشرطة ، يقست لي عيتان تنظران ما خلق الله
من صوء انهيار ولتلاش وحودي كفتاعة في غدير ، وما
تركت اترأ او ذرية او منكأ او اسماً شريفاً يرثه
احادي (ويظهر أن بطلنا كان حريصاً جداً على ترك ذرية
تخلقه) .

اما سيليفان فقد شرح فكره وهو يسوق العربة ،
وانشأ يقول «أي سيد سأفل هذا ؟ لم ار في حياتي
سيداً مثله ! كم كنت آمنى لو بصقت في وجهه .
اترك الرجل بلجوع أفصل من أن تعرم حصانه الطعام
الذي يلقى به الحصان بحاجة الى شرابه مثله
يحتاج الاسان الى طعامه والضرورة تقضى ان تقدم له
ذلك دائماً» .

وقد ظهر ان الجياد كانت تشاطر سيليفان رايه
انخاص في نورديف . فلم يكن الكمية والمستشار
وحدهما يهريان عن استمالهما وحسب ، بل كان الارقط
أيضاً يتقمص روح الاستمزاز . حقاً ، ان الارقط لم
يكن يجد في البيت علفاً غير اردا انواع الشوفان . ولم
يكن يعلفه سيليفان دبر ان يسته بالسائل ، لكن
عذفه على لاقفل كان شوهالاً لا تبس - كان مادة
يستطيع ان يصفها بشئ من اللذة . وهناك حقيقة
اخرى ايضاً ، فقد كانت تسبح له بعض الاحيان مرسة
يسد فيها يوزه الطويل الى مدوّدي زيميه ، خاصة
عنده يكون سيليفان غائباً عن الاسطبل وتنفرد
علفها . ولكن في بيت نورديف لم يكن هناك غير
التين ! وهذا ليس من العدالة في شئ ، وأحسنت

حديثاً وتضمها على حينها تترى أشعة الشمس وهي
تخلخل قشرتها وكانت المسبة نفسها تلطفي على أذنيها
فالتين كانت توجعان تحت نور الشمس ، باختصار ،
ويما ترتق في عينيها الراسعتين الأسرتين من دموع
بدت صورة غائبة جذابة جداً ، حتى أن بطلميا ألقى عليها
نظرة أكثر من غائرة قبل أن يشبهه إلى العيلة التي كانت
قائمة بين العباد والسائقين . وصاح السائق المريب
«ارجع إلى الخلف يا غراب البين» فشد سيليفان
الأعنة ، وحذا الأثر حذوه ، فتهقرت الجيول قليلاً إلى
الأوراء ، ولكنها عادت تنمشك مرة ثانية . وقد بدا في
الواقع أن الألفط كان مسروراً جداً بأصدقائه الجدد
حتى أنه رهي أن يتحرك من مكانه الذي رماه فيه حظ
خفي مشكور . وألقى بخلطه تحجباً على عنق أحد موارفه
اجدد ، وبدأ كأنه يهوس شيئاً في أذن ذلك الصديق -
شيئاً على ما يبدو كان كنهه سحفاً وهراء لأن المهوس
في أذنه راح يحرك أذنيه إستغفالاً .

وعلى حين غرة تجمع فلاحون من قرية مجاورة للحادث
وآمدجوا في البوطة القلابة . وبما أن منظرهم كهذا
استغفر عند الفلاحين الروس ممتع كصيفة أخبارية أو
كاجتماع في باد عبد اللمان قسرعان ما أصبحت
امرئتان مركزاً لتلحاح جمهور كبير ، ولغدت القرية
حطاً لا من النساء والأطفال ، وانفصل العودان
استشاكيا آخر الأمر ، وكانت بضع صفعات على آنف
الأرقط كافية لتحويله إلى الخلف . وبعد ذلك
رأيت فرق الجيول وفصلت بعضها عن بعض ، ومع

ذلك كنهه فقد رفضت الفرقة القريبة أن تتحرك سائفاً من
موضعها رفضاً تاماً ، وقد يكون ذلك لسرور المناد ، أو
قد يكون أسفاً على فراق الأصدقاء الجدد - فسامطها
سافها ولكنها ظلت واقفة كما لو كانت مسيرة نسي
الأرض . وبعد لأي ، ارتفعت جهود الفلاحين لمشاركة
في درجة من الحماس لم يسمي لها متبيل - فبدأوا
بصياحون جرحات ، بأوامر كالمالية «اصحب يا اقمروشكا
راس اصحاب الأمامي إلى اليمين ، بيماء يركب العم
متياني الحصان الأوسط ، بعض يا عم متياني» . وعلى
ذلك نهض العم متياني وهو تحيل طويل أحمر اصحية
ركب الحصان الأوسط وظل في وضعه الجديد كأنه
يرج القرية أو دولاب الناعورة . وساط السائق الجديد
مرة أخرى . وثبت أن العم متياني كان عديم الجدى .
وصاح الفلاحون ثانية «توقف ، توقف» . «أركب يا عم
متياني لحصان الأمامي وليركب العم متياني الحصان
لأوسط» . «واسرع العم متياني ، وهو فلاح ذو كتفين
عريضين ولحية سوداء كاللحم ويطن كالسماور الضخم
الذي يخمر فيه شاي اسهل للتجسار المحبين أيام
السوق - اسرع يا منطاه الجواد الأوسط ، وكاد الأخير
أن يهوى إلى الأرض تحت ثقله ، وصرخ الفلاحون
«مسيرون الآن مسيراً حسناً ، اضربه حامياً ، اضربه
حامياً» أعط ذلك الحصان الأشقر ضربة سوط ، ودعه
يتلوى كالانمي* ومع هذا ، فلم تتقدم الأمور مثال
* في الأصل ربما تلتوى الكوراموراء وهي حشرة
كالموسى طويلة الجسم نسيب كثيرة التلوى . المخرج .

من الأحوال . عندئذ وقد تبين أن لا فائدة من السوط ،
لجأ القوم إلى اسدوب آخر فامتطى الصبان متيناً ومنياً
الاشترى وجلس اندروشكا على ظهر الحصان الامامى ،
وجد القوم في العمل دون حدود . بعد هذا كله فقد
السائق الصبر ، فصرف المتين في سبيلهما لأنه أدرك
قبل فوات الأوان أن الجبول ثبتت لهما شديداً وكأنها
قطعت شوطين دون استراحة . فأعطى الثيول برهة
تستريح فيها . وما تم ذلك حتى تحركت بصله
اختيارها . وكان تشميشيكوف طوال ذلك الوقت يحدق
في الفتاة المجهولة بانبياش شديد ، حتى أنه جرب مرة
أو مرتين أن يمس بها في حديث ، لكن محاولته ذهبت
دراج الرياح . وعند الذهاب السيدتين كان في الواقع
كانه في حلم ساهم البصر في وجود الفتاة الأنيس
وتقاطيع وجهها الأنيقة وقد هما التحيل وهي تغتلي عن
نظاره . كان كأنه في حلم إذ عاد لا يرى أمامه سوى
نفسه والطريق والعربة والبقول الثلاثة وسيلبان
والجبول العالية الخاوية . في كل أرجاء البنية - من
أبسط مراتب المجتمع وأقربها ، إلى أعلى المراسم
وأوجها - يقع الإنسان على ظاهرة تختلف اختلافًا كلياً
عن كل ما عهده في حياته ، وتظهر فيه أحاسيس تختلف
اختلافًا كلياً عن كل احساس مر به حتى ذلك الحين .
وفي كل مكان من هذا الوجود ، من خلال خيوط البروس
لتي سيجت منها حياتنا ، قد يشع فجأة خيط لأصع
براق من اندرج والسرور . مثل ذلك مثل شارع قرية
مسكية بائسة احتى عليها اندرج بكلكنه ، لا أثر به

إلا عربة المزرعة لبالية ، تظهر فيه فجأة عربة فخمة
لباعة الدخان ليقة الثيول برفافة الزجاج ، يقف الملاعون
لها فاعري الأنوار ساهم الألباص ويسون أن يعيدوا
فحاتهم إلى رؤوسهم إلا بعد أن يتوارى المركب عن
أبصارهم برص طويل . وهكذا . فقد كان ظهور الفتاة
دات الشعر الذهبي في قصتنا على غير انتظار ، كما كان
اختفاؤها على غير انتظار أيضاً . ولو لم يكن صاحب
النشاب تشميشيكوف ، وكان في ذا عشرين ربباً -
دارساً أو تلميذاً أو أي رجل آخر في ربيع الحياة -
فأى فكر كان سيدور في ذهنه وينشق من نفسه
ويطلق في أعماقه ؟ ولأى مدى من الرمن كان سيقف
داملاً محدقاً في لافاق . ناسياً دواعي رحلته وما
عليه من وحيات واحتمال ما يسببه التباطؤ من
خسران . ناسياً نفسه ومركزه والعالم وكل ما فيه ؟
أما في حالتنا هذه فقد كان البطل متوسط المراد
مزج صلب على قدر من الحرس شديد . أجل ، فقد
أعنى النظر في الأمر أبعثاً شديداً ولكن بشكل أكثر
رربة مما يفعل الشباب . فلم تكن تاملاته بالظائفة
ولا بالرعناء . وفتح علة السعوط وتنسق منها وأنشأ
يقول لنفسه «كأن آسة جميلة ، أما الأهم من ذلك ،
هل هي آسة لطيفة أيضاً ؟ هناك شيء واحد ظاهر من
حسناته ، إذ يبدو عليها أنها قد تركت المدرسة حديثاً
ولم يكن لها من الوقت ما تصبح به امرأة بالمعنى
السبي . أنها الآن كالطفل كل شيء فيها سادج
سيط . فهي تقول ما تفكر فيه وتضحك إذا أحست

انها بحاجة الى الضحك . أسمة كهذه يستطيع المرء ان يصوغها في القالب الذي يشاء ، وقد تفقد أعجوبة او تفقد تافهة مبتدئة لا قيمة لها . وأرجح الحالة الأخيرة ان كان لها ام ولوعة بها وزهد من السمات والحالات ومن لقب لفهن - نسوة في مدى سنة واحدة ببلان نفسها بأفكار السماء وحيلهن حتى لا يعود والدهن يعرفها . وسوف يضرن الى ذلك كله أصول التصنع وقواعد الكبرياء . ومستندا برعاية القوانين المثبتة وتجهد فكرها في كيف تتكلمن وتمن ومنه وما أشبه ذلك . وستجدها في كل لحظة متعبية مليلة خشية ان تكثر من الحديث . وأخيراً تتطور تتصبع عراوغة حادقة طوال حياتها وتنتهي الى ما لا يسمه غير الشيطان : وصلت عندها تم استمر يقول «إلا اني مع هذا كله أود ان اعرف من هي . ومن أيتها وقها اذا كان ملاكاً غيبياً ذا مركز مرموق او مجرد وجهه قال ثروة من خدمة الحكومة . وهل سيسمحها عند رواجها جهراً ، وبفرض ما اني الف روبل ؟ انها مسكون صبيداً نينياً في الواقع . وسيكون في اسكانها عندئذ ان تسعيد حقاً أي رجل أصيل» . وقد كانت فكرة ما اني الف روبل في الحقيقة جذابة جداً . وبدأت ترقص في مخيلته ، ونصر يوخزة من اللوم في قراوة نفسه لأنه لم يسأل السائق أثناء العجبة عن المسافرين . ولكن رؤية بيست سوبياكفيتش الريفي شتمت أفكاره واضطرتته الى العودة الى موضوع تفكيره المستديم .

كانت قرية سوبياكفيتش ذات اتساع لا بأس به

ود نامت على جانبيها مساكنات من أشجار الصنوبر والبتولا الخضراء . كانت البناية الخشبية نفسها ذات جدران رمادية دكناء وسقف هرمي أحمر لأنها كانت من ذلك النوع من المساكن التي تسيبها روسيا عادة لرجال الحشيش المتوطنين ولالاعين المستعمرين . وكانت تبدو هناك ظاهرة جلية وضحة وهي ان ذوق اسهينس كان يختلف اختلافاً واضحاً عن ذوق صاحب الملك . إذ كان الأول متحذلقاً في الانسجام ، راغباً فيه . بينما كان الأخير يطلب راحته فقط . وعمل ذلك فقد أغلق (أي صاحب الملك) كل النوافذ التي كانت في احد جانبي اعمارة ، وعمل بدلاً منها كوة صغيرة مصدتها بلا شك إضاءة مخزن كان سيكون منطوقاً لولاها . وبالمثل فقد قسملت جهود المهندس القوية في جعل قبة الهرم فوق مركز البناية لأن المالك أراد احد اعمدتها الاربعة الأساسية من الحجر ان السانة كانت موضع الاهتمام في كل شيء . فالساحة كانت ملحقة بسور تشعبي مزين عال جداً وكلا لاسطيلتين ومراب المربعات والمطابخ كانت تقوم على دعائم تكفل بقصا قرونا طويلة - وحتى الكواخ اللامعين الخشبية كانت مدهشة في متانتها . فلم يكن فيها جدار واحد أملس ، وليس عليها أي رسم محفور أو أية زخرفة أخرى . كان كل شيء من ما يرام حتى ان بئر المنزل كان بايها من حشيب ليلتها الذي تعرف أنه يستعمل عادة للسفن والمطاحن . وباحتصار ، فحيثما وقعت عيننا قميتشيكوف كانت تريان كل شيء حلوا من الرثانة مرتسماً مهارة

وعناية . واذا اقترب من سلم المدخل وقع نظره على وجهين يحدقان من قاذفة . كان أحدهما وجه امرأة بقمية وتقاطيع كالخيارة امتطالة وصيقاً . أما الآخر فكان وجه رجل ذي تقاطيع عريضة جداً قصيرة جداً كالقرفة المولداية (المسماة غورلاندكي) التي تصنع منها البالايكا - وهي نوع من الآلات الموسيقية الخفيفة ذات وترين تكون مصغراً للسرور والكبرياء لغنى مزاج في العشرين من عمره حين يجلس غامزاً مهتسماً لغيات بيض الاعناق بيض الصدور وقد تجمعن حوله يستمعن الى وترين صوته الشجي . وما تلقى هذه الظفرة الفاضحة حتى انفسحب الوجهان وظفر على سلم المدخل مأمور يرتدى سترة رمادية بياقة صلبة زرقاء . ادخل تشيتشيكوف الى القاعة حيث قابله سيد البيت نفسه وسار به الى داخل البناية .

نظرة حية على سوباكيفيتش تبين منها بطلتها ان مصفها يشبه دبة متوسطة الحجم شبهة شديدة واستكديلاً للمشاوية . كان معطف سوباكيفيتش الطويل وسراويله الصعبة بلون إهاب الدب بالضبط ، بينما تعمل ساقاه حركة تقاطع اذا ما دلف ماشياً على الارض . وله بالاضافة الى ذلك عادة لا تتغير أبداً وهي أن يسوس على قدم مرافقه . اما وجهه فكانت عليه تلك المسحة من الحية والحرارة التي تجعلها على السياتاك . أشخاص من هذا القبيل - أشخاص لم

* عملة نحاسية قيمتها خمسة كوبيكات الثلاثة .

تخصص الطبيعة قصصاً كاثية من فكرها لصباقتهم ولم تستعمل في هندسة أشكالهم آلات دقيقة كالمنقشب والمزود وما الى ذلك - ليسوا بالقبيل الوجود . أشخاص كهؤلاء . تفتحهم الطبيعة نحتاً سريراً لا صقل فيه ضربة بابلية واذا هناك آفة ، وضربة أخرى بالمطرفة واذا هناك شمتان ، وغروران بالمنقشب واذا هناك عيبان . وأخيراً تصير هذا الانسان للنام قاذفة دون ان تكمل اجاره : «ليكن !» كان سوباكيفيتش على هذا القدر من الهلولة ، ذا شكل خلط ببعضه خلطاً . على ان المثال السابق يطبق على نفسه العلوي أكثر مما يطبق على نفسه السفلي . وكنتيجة طبيعية لهذا التكوين ، كان نادراً ما يدير رأسه لينظر الى من يجالسه ، بل كان في الغالب يصوب عينه الى زاوية الموقد ، او الى الباب مثلاً . صوب تشيتشيكوف نظرة أخرى الى زميله عندما كان الصيف والصيف يختاران غرفة الطعام ، وكان لنفسه «انه الدب بعينه ولا يمكن ان يكون شيئاً آخر غير الدب» . ولم يكن في الواقع ماض من هذه المقارنة الغريبة . وهي عجيب الصدف ان الاسم الاول لسوباكيفيتش كان ميخائيل - سميخوفيتش . وقد أخذ تشيتشيكوف الحذر الشديد من عادته في الدوس على اقدام الآخرين . ولهذا أخذ يحسب موضع قدمه ويترك مضيقه يمشي أمامه دائماً . وقد تبين في الواقع ان سوباكيفيتش نفسه

* الروسي يسعون الدب المم ميخائيل . البترجم .

كان شاعراً بهذه المثلية ، اذ كان يقول بين الفترة والاخرى «ارجو ان لا اكون آلمتك ؟» فيجيبه تسميثنيكوف مع كلمة شكر بانه لم يصبه اذى بعد وصلا قاعة الاستقبال بعد لاي ، فاشار سوبياكييتش في كرسي كبير دعا صيغه الى الجلوس عليه ، راخذ تسميثنيكوف يهدق باهتمام في الجدران والصور كانت كلها رسوماً لشباب اصحاء وهم لبحرالات يونانيين امثال مافروجوردانو (مرتديا بذلة رسمية رسراويل حمراء) ومياتولس وكناوس * . وآخرين - وقد رسم كل هؤلاء الابطال بجبروت في الهيكل وغزارة في الثوباء تجعل الناظر اليهم يرتعش خوفاً . وقد حشرت بين هذه الصور - لسبب غير معروف وتنظيم غير معروف - صورتان . اولاهما صورة الامير باجراتيون ** ، وهو طويل نحيف وسمت تحتها مجموعة من الاعلام الصغيرة والمدافع وحشر كل ذلك ضمن اطار الصورة الضيق . وثانيهما صورة البطلة اليونانية بوبيليا التي بدت بساقين ضخمتين جداً - أضخم من اجسام جميع مقاتلي الصالونات في يومنا هذا . كان جلياً ان رب البيت ذا الصعة والعاقبة لم

* مافروجوردانو - رجل السياسة اليوناني الذي وقع دستور سنة ١٨٢٢ . أما مياتولس وكناوس فهما عالمان من لادة الثورة اليونانية ضد الاتراك . الثاني ، * - لامير باجراتيون - أحد الابطال الروس في معركة بورودو ضد نابليون ، واستشهد في المعركة في عام ١٨١٢ . الثاني .

بكي يعب ان يزري غرافاته الا برجال في قوتهم وصحاتهم . واخيراً ، كان قرب الشباك قصص معلق حذاء بوبيلينا ، الكف بالكف ، وكان يطل منه على نترات شعور ابيض الترقيد . كان ككل شيء في الغرفة ، شديد النسيه بسوبياكييتش . وعندما كان الصيف رب البيت قد بدأ احديث مدة دقيقة او دقيقتين دخلت ربة البيت ، وهي سيده طويلة بقبعة مزينة بشرائح بيتية التلوين والصنع دخلت بترو ورجعت راساً مستقبلاً كجرح النخيل .

وقال سوبياكييتش «هذه زوجتي فيودوليا ايباروس» .

فاقرب تسميثنيكوف منها وصافها . ولما رعت يدها الى مسترى شفتيه ادرك انها قد شطعتها ساعتها بزيث الخيار المختل .

واصاف سوبياكييتش «عزيزتي ، اسمحي لي ان اقدم لك باقيل ايباروفيتش تسميثنيكوف . لقد كان لما شرف التعرف عليه عند حاكم الولاية وعبد مديرو البريد» .

وعلى ذلك طلبت فيودوليا ايقانومنا من صيفها ان يجلس ، ووافقت هذه الدعوة باثنتاة من النوع الذي تعمله الممثلات اللواتي يلعبن ادوار المكات . وبالتالي أخذت مجلسها على الصوفا وسحبت عنها شالها المحتوج من سوق المارينو * ومكنت كذالك دون ان

* الماعن الاسباني . المترجم .

«وجل هذا هو رايك فيه ؟ إن هذا هو مظهره فقط ،
أما في الحقيقة ، قبل الرغم من كونه مأسوئياً إلا أن
العالم لم يشهد له في الضياء عتيلاً» ،
«اجعل تشيتشيكيوف قليلاً لهذا الانتقاد اللاذع
لقتلي ، ولكنه تمالك نفسه ثانية واستمر يقول :
«يلطع لكل وجل تقاط ضعف . إلا أن حاكم الولاية
إنسان ممتاز» .

«حاكم الولاية ممتاز ؟»

«نعم . ليس هذا رايك فيه أيضاً ؟»

«لا ، إنه أكبر محتال على وجه البسيطة» .

«حاكم الولاية ؟ محتال ؟» «وغدا تشيتشيكيوف فسي
حيرة من أمر» . «اذ كيف يمكن أن يعتبر الموظف المسكور
في عداد النصوص . واكمل يقول «لم أكن أتصور ذلك
مطلقاً . واسمح لي أن أقول بأن سلوكه لا يكاد يحتمل
رايك فيه ، إنه يبدو في الواقع لطيفاً جداً» . وذكر
برهاناً على ذلك المحفظات التي حاكمها حاكم الولاية
وأطلب في الحديث عن لطافة ملامحه .

فقال سوباكيفيتش «إن له وجه النمس . ولو أعطيت
سكيناً وألفنته لحر عنتك يكويك . والشئ نفسه
يذكر عن مساعده . انها يا جوج وماجوج» .

فقال تشيتشيكيوف في نفسه «يلوح أنه على غير
وفاق معها . من الأفضل أن أنتقل إلى الحديث عن رئيس
الشرطة ، فقد يكون معه على وفاق» . وأضاف بصوت
عال بناء على حديثه هذا ، يقول «أما من ناحية الخاصة
فأرى أفضل رئيس الشرطة يا لطيفته الصريحة

تحرك ساكناً . أما تشيتشيكيوف فربح بصره ورأى للمرة
الثانية كنارس بفنديه الصليطين وشاربيه اللذين لا
حد لهما وبوبيلينا والشحورور الاسود . وتخيّم الصمت
على الجميع حتى دقائق كاملة لم تكن تسمح بها غير
صوت منقاد الطير وهو يقرع أرض القفص الحشبية اذ
يعاود أن يندقل حب الفصح منها وفي هذه الأونة
تفحص تشيتشيكيوف الغرفة للمرة الثالثة ، فرأى أن
كل شئ فيها صخم أخرق في أعلى درجات الصحامة
والعرق وإن كل شئ متسجم مع رب البيت انسجاماً
غريباً . كان في زاوية من زوايا الغرفة مثلاً . مكتب من
خشب البندق بارز لبطن واقف على أربع أرجل ضخمة -
صورة ناطقة عن الدب . وكانت الأخوة والكراسي على
القدر نمسه من التشويز والخلط ، كانت كل أداة في
الغرفة كأنها تصيح قائلة «أنا أيضاً سوباكيفيتش» أو
«أنا نسخة طلق الاصل عن سوباكيفيتش» !

ولما رأى تشيتشيكيوف أن أحداً لم يفكر في البدء
بالحديث قال «لقد مر ذكرك ذات يوم حتما كنت أזור
رئيس المجلس المحي . كان ذلك يوم الخميس الماضي .
وكانت ليلة بهيجة حقاً» .

فاجاب سوباكيفيتش «نعم قلم أكن هناك في تلك
المناسبة» .

«كم هو لطيف هذا الرجل ؟»

فتساءل سوباكيفيتش وهو ينظر إلى زاوية الوجد
«من ذاك ؟»
«رئيس المجلس المحلي» .

النصيحة ! ويا لمنصر البساطة الذى يبدو فى ملامحه «
 قاجاب سوباكيفيتش» انه وضع فى صميمه ، يسمع
 ويعتصم ويأكل على مائدته . نعم ، أعرفهم كلهم وأعرف
 أن كل فرد منهم لص مختلف المدينة وكر لسفنه
 مشغولين بسلب بعضهم بعضاً . وليس فيهم رجل إلا
 وهو مستعد لبيع المسيح . لكن ، وريدك قليلاً ، هناك
 إنسان محترم واحد - هو أدمى العام . ومع ذلك ،
 حتى هو ، إذا أردنا أن نقول الحقيقة ، لا يفضّل
 الخسران إلا قليلاً .

بعد هذا الانهيار فى التفريط والكيل فى الصديق ،
 لم ير تشيتشيكوف فائدة من تكملة قائمة الوظائف ،
 لا سيما وقد رأى بأم عينه أن سوباكيفيتش لم يذكر
 حتى صديقه ياخير .

وتدخلت يودوليا إيفانوفنا قائلة لزوجها «لنذهب
 إلى القهوه يا عزيزى» .

وقال سوباكيفيتش «أرجوك ، تغضّل» .

وتقدم الجميع أول الأمر إلى مائدة وضمت عليها
 الفودكا وبعض المشبهات . وأحس الضيف والبصيف
 كأسى الفودكا وتناولوا من أطايب المشبهات المختلفة
 التى توضع عادة لتفتح الشهية فى المدينة والغربة وفى
 جميع أنحاء الإمبراطورية الروسية الواسعة . ومن ثم
 دلوا إلى غرفة الطعام تحت قيادة المضيف التى كانت
 تبهج أمامها كأنها أوزة تسمح فى عرض البحيرة . كانت
 مائدة الطعام الصغيرة ممتدة لأربعة أشخاص . وكانت
 تجلس فى الكرسي الرابع أنى فى الثلاثين من عمرها ،

بدون قميص وعل كنفها لناع مبرقش وكان من
 الصعب التكهّن بشخصيتها ومعرفة ما إذا كانت فتاة أو
 امرأة مروجّة أو قريبة أو خادمة أو أى طفيلية أخرى .
 إن بعض الناس يعيشون فى هذا الوجود لا ك شخصيات
 مستقلة قائمة بذاتها بل كاتبع والطلع على شخصيات
 الآخرين . وتجدهم دائماً فى الوضع نفسه ، جالسين فى
 المصل نفسه ، راقعين رؤوسهم برؤية معينة لا تتغير ،
 حتى ليكاد المرء يحسبهم جزءاً من الأثاث ، ويتصور
 أنهم مد أن خلقوا لم يسسوا بيت شقة ، بينما هم
 فى حجره الوصفيات أو فى حجره الجوزة صف - خر
 تماماً

والنهم سوباكيفيتش حصته من «التشى» وقال «إن
 حماء لكرب اليوم فاخر يا عزيزتى» ووضع فى طبقه
 كمية كبيرة من «التشيا» - ويتكون من عصاة المعاز
 المحشوة بالشريد ولحم والتوابل ، وأصاف قانلاً «أى
 يانيا هذه ! لى تستطيع الحصول على متنها فى المدينة
 حيث لا يعلم ما يقدم للمرأة إلا الشيطان !»

فقال تشيتشيكوف «ومع ذلك فإن مائدة حاكم أولاية
 لا بأس بها» .

فمضى سوباكيفيتش قائلاً «نعم . لكن هل تعلم هم
 يصنع طعامه ؟ انك لو عشت لما تمسكت به» .
 «لست بالطلع فى وضع يمكننى من أن أقول كيف
 يحضر ، ولكن شرائح الخنزير والسماك المسلوق على
 الأقل كانت عظيمة» .

«أيه ! لك أن نظن ذلك . إلا أننى أعرف الطريقة

التي تشتري بها هذه الاشياء من السوق . يشتريها
رغد يسي طائفاً علمه رجل فرسي أن يسلح السنور
ويقدمه على أنه أولب .

فتحللت السيدة قائلة «أوف ! ما هذه الفطاعة التي
تقول ؟»

«أجل يا عزيزتي ، هكذا تجري الامور ، وليس الخطا
خطاي ان كانت كذلك . وريادة على ذلك ، فكل ما
رعيه حامدنا اكله ، كل ما تقدمه (وأرجو العفو
تذكر ذلك) في سطل الاوساخ . يستصله هؤلاء الناس
في صنع العشاء» .

فاعترضت شريكة حياته قائلة «انك على المائدة دائماً
تبدأ بهذا الحديث» .

فقال سويياكيغيتش «بالطبع ، يا روعي ، فلو كنت
أنا الذي صنعت هذا . ولكنني أقول لك بصراحة - إنني
لن أكل هذه القندارة . فيها وضعت من السمكو صلي
انصفدغ فلن أقدر أن أمر به على شعقي» . ولن التهم
محاراً لأنني أعرف ما الذي يشبهه المحار لكن . . .

تناول بعض لحم الحروف ايها الصديق تشيتشيكيوف .
أما كتف الخروف ، وهي تختلف جداً عن اللحم الذي
يطبخ في مضامخ الليل - لحم كان يتأرجح في الاسواق
أربعة أيام أو يزيد . كل هذه الأنواع من الطباخ هي

من اختراع الأطباء الفرنسيين والالمان . كم كنت أتمنى
لو اشتغلهم كلهم جزاء عملهم هذا . فهم لا ينفكسون
يصفون الاغذية والملاح بالنصيام كان ما يناسب
أعضائهم الالمانية المترهلة يناسب المعدة الروسية .

لا ، لا ، ان هذه الوسائل لا خير فيها . . . «وهنا من
رأسه علامة الامتياز» . «واشخاص على هذه الضائكة
يتكلمون عن المدنية والتقدم . كما لو كان أمر كهذا من
المدنية في شيء ! أوف ! وربما كانت صبيحة التصويب
الاجرة التي نطقها أقوى من ذلك لو لم أكن جالساً إلى
المائدة . أما من تاحتي فلن أخوف شيئاً كهذا أبداً .
فعلما اريد أن أكل لحم الخنزير في طعامي يجب أن
يقدّم لي الخنزير كله ، وأن كان لحم خروف فالخروف
كله ، أو لحم الاور كالطير كله . طبعاً أفضل من
الف اذا استطاع المرء أن يأكل منهما قدر ما
يشتهي» .

وراح يصنع النظرية موضع التطبيق بأن أخذ تصف
كتف الحروف ووضعه في طبقه وراح يلتهمه حتى أحر
قطعة من الضفوف والعظم .

أما تشيتشيكيوف فأخذ ينظر اليه ويقول في نفسه
«قساً ب للرجل طاقة جارية»

وقال سويياكيغيتش وهو يمسح يديه بالفتولة
«طبعاً ، أنني لن أؤذي أن تكون حياتي كحياتة ذلك
الشخص الملعون بلوشكين الذي يمتلك ثمانية نفس
ببما يأكل أسوأ مما يأكل الراعي عذبي» .

فتساءل تشيتشيكيوف «ومن بلوشكين هذا ؟»

«إنسان بخيل ، يتعيل لدرجة لا تستطيع أن
تصورها . حتى المساجين في غياهب السجون يحبون
حياتة أفضل من حياته . انه يعيش هو وخصمه
يتصورون جوعاً» .

فصاح تشيتشيكوف باهتمام كبير «حقيقة ؟ هل تضي
ادن أن الموت 'يفتقد' الكثير من فلاحيه ؟»
«بالأكيد . فلا يتفكرون يموتون كالبواب»
«وعلى أى بعد يقطن من هنا ؟»
«حوالي خمسة فرسمات» .

فقال تشيتشيكوف متعجباً وهو يحس قلبه يخطق
فرحاً «خمسة فرسمات فقط ؟ وهل على العره عندما يترك
باب بيتك أن يتجه الى اليمين أو الى الشمال ؟»
فقال سوباكيفيتش «إننى أمتف إذ أدلك على بيت
اتصال صميم كهذا لآسان من الأفضل جداً للمرء
أن يذهب الى جهنم من أن يلجأ الى بلوشكي» .
فأجاب تشيتشيكوف «تماماً كذلك . اما السبب
الوحيد الذى سألنك من أجله عنه هو أننى أحب أن
أعرف على أى نوع وعلى كل فرع فى هذه النواحي» .

وتبع كتف الحروف قطار كل واحدة منها أكبر مسن
طيق ، وديك رومى محشو ببيس وأرز وصالح وحجمه
حجم الحمل الصغير . وكل هذا اتهم مدة تشيتشيكوف
أشد الاتهام حتى لما قام بعد انتهاء الغداء شعر وكأن
فى بطنه أرمين رطلان من الطعام . وفى غرفة الاستقبال
ينتظره سجن مربى صغير من العراكة المجهولة ملاهى
بالأحاصى ولا بالغز ولا بأى ناكهة أخرى وكلها لم
يمسها صيف ولا رب البيت . أما ربه فخرجت لتضع
العربى فى صحن صغيرة أخرى . واغتم تشيتشيكوف
فرصة غيابها فالتفت الى سوباكيفيتش «وكان هذا
منبطعاً على كرسي» ذى متكا ، ولم يعد فى استطاعته

بعد غدائه الثقيل إلا أن يتعشأ ويقرأ أنفاسه ، وكان
يرسم إشارة الصليب ويضع يده على قلبه كلما قص
ذلك وأسر الى رغبته فى التحدث معه حديثاً خاصاً
تصيراً فى شأن من الشؤون . وفى تلك اللحظة عادت
ربة البيت .

وقالت «ليكا بعض الحلويات الأخرى ، تفضل
وتناولوا شيئاً من الفجل المتقوع بالصل» .
فأجاب سوباكيفيتش «فيما بعد ، فيما بعد . لى
تدعيني الى غرفتك ، اد اود أنا وبافيل يماوفيتش أن
نحلم معطينا رفقو قليلاً» .

وأبى السيدة عندئذ استعدادها لإرسال فراش
روساند من الريش ، ولكن زوجها قال إنه يفضل
النوم على كرسي ذى متكا ، وبهذا غادرت المرأة . وما
كادت تفعل ذلك حتى أحتى سوباكيفيتش رأسه
استعداداً للاستماع الى مهمة ضيفه .

وابتدا بطناً الحديث بأسلوب منكك ، بدناً أول
الامر بالاشادة بالامبراطورية الروسية ومدى ضمايتها
تألاً بأن الامبراطورية الرومانية القديمة كانت اقرب منها
اتساعاً . بينما كان سوباكيفيتش يجلس مطاطس
الرأس وكله أذال صغيسة . وبعد ذلك تطرق
تشيتشيكوف الى القول بأن من قوانين الامبراطورية
الروسية (التي لا قصر فيها لأحد) ان الفلاحين الذين
بارقوا الحياة تبقى اسماؤهم مسجلة حتى وقت الاحياء . وهذا
يضمن اراحة لمكاتب الحكومية من هذه التمهات فهى

تعقد ميكائيلية الدولة التي فيها الكفاية من التعقيد .
وقال تشيتشيكيوف بأن هذا القانون مهما حاولنا أن نمزج
المقالة له ، فإنه صعب بالمالكين فعلاً لأنه يضرهم
إلى دفع الضريبة عن الانفس التي لا وجود لها كما
يدفعونها عن الانفس الحية الأخرى . وبناء على ذلك
(وهذا هو بيت القصيد) ، فإنه (أي تشيتشيكيوف)
نقرأ للاحترام الشخصي الذي يكنه لسوباكيفيتش على
استعداد لأن يخطف عنه الحب امتياز إليه . ومن
الواجب علينا أن نذكر أن تشيتشيكيوف في حديثه هذا
كان يتكلم بمنتهى اللباقة وفي نهاية المطاف . فلم يكن
يستعمل كلمة الانفس الميتة بل كان يقول الانفس التي
لا وجود لها .

كان سوباكيفيتش أثناء ذلك حائلي الرأس إلى الامام
منصتاً كل الأصوات إلا أن المرء لا يستطيع أن يلح
في وجهه أثراً لاستحالة أو انفعال . كان جسمه
الساكن يبدو خالياً من الروح ، أو إذا كانت له روح
فيبدو أنه كان يهتد بها في محل آخر لا حيث يجب أن
تكون ، بل كانت مدفونة تحت الجبال أو مغلفة في
بروج مشيدة لن تحدث حركتها في الأعماق أي رجلة على
الأديم .

وقال تشيتشيكيوف بصوت لا يخلو من رعشة التهيب
للاجابة المنتظرة «والآن ؟»

فقال سوباكيفيتش بكل بساطة ودون أن يبدو في
صوته أي أثر للدهشة ، وكأنه يتحدث حديثاً عادياً
عن العنطة ، «إذن أنت تجري وراء الانفس الميتة ؟»

فاجاب تشيتشيكيوف «نعم» ثم قال بصوت أكثر نغمة
«الانفس التي لا وجود لها» .

فقال سوباكيفيتش «إنها موجودة ، ولیم لا ؟»
«أدستكون مسروراً طبعاً بالخلاص مما قد يكون
لديك منها ؟»

«نعم ، فلا مانع لدي أن أبعثها . ورفع رأسه
تديلاً ، إذ خطر بباله أن الشاري لا بد أن تكون له
مصلحة من روائها بكل تأكيد .

فقال تشيتشيكيوف في نفسه «يا للشيطان ! إنه
يبيعها كاية بضاعة عادية حتى قيل أن يكون لي مبالغ
أتكلم فيه كلمة واحدة» وأضاف بصوت عال «ركم
سيكون الثمن ؟ هذه الأشياء ليست مما يعتد بها» .
فقال سوباكيفيتش «بن أطلب غالياً ، هل يتناسبك
مائة روبل للرأس ؟»

«مدا ؟ مائة روبل لرأس ؟» وحلق تشيتشيكيوف
في مضجعه فاتحاً فمه مسترياً فيما إذا كان صحيحاً
سمح أو أن لسان سوباكيفيتش البطيء الحركة قد
استعاض سهرًا كلمة بأخرى .

ولكن سوباكيفيتش بادره بالقول «نعم ، هل هذا
كثير ؟» ثم أضاف «ما هو سعر ؟»

«سعرى ؟ أظن أننا لا نفقه الآن ، إذا لا شك أنك
نسيت ماهية البضاعة التي ويدي على قلبي أقول بأن
ثمانين كوبيكاً لكل نفس ستكون سعراً مناسباً ،
جداً» .

«ماذا ؟ ثمانون كوبيكاً ؟»

في رأي أن عرضاً اعلى من هذا سيكون مستحيلاً

«لكنني لست بالغ أحياناً» .

«لا ، ولكنك نفسك توافق على أن هذه لأنفس ليست مخلوقات حية» .

«أظن أنك تنتظر أن تجد مجنوناً مستعداً لبيعك أنفساً مسجونة في لوائح الإحصاء ، كل نفس بثمانين كويكا ؟»

«أرجو عفوك . ولكن لماذا تجعل من تسجيلها في لوائح الإحصاء ميزة تربح من سعرها ؟ فالأنفس نفسها قد صعدت إلى بارئها ولم تخلف وراءها غير أسمائها فقط . ولكي لا أجل للجدل المزيج مكاناً فاني أرفع روبلاً ونصف الروبل لا أكثر» .

«يجب أن تجعل من ذكر سعر كهذا . فما دمت تتعامل في هذه البضائع أذكر لي سعراً معقولاً» .

«لا أستطيع يا ميخائيل سميجونوفيتش . صدقني أنني لا أستطيع . وما لا يستطيع المرء أن يفعله فليس هو يفاعله» . واستمر الحديث بينهما إلى أن زاد تيشيتشيكوف نصف روبل أخرى ليرأس .

وقال سوبياكفيتش «لكن لماذا تحرص كسل هذا العرص على نفودك ؟ حسنت أطلب في الحقيقة منك شيئاً كثيراً . قد يجدهك سافل غربي بأن يبيعك أنفساً قديمة بالية بدل الطبيب الإحصاء منها . بينما أنا على استعداد لأعطاك أحسن ما لدي» . أنظر مثلاً إلى صانع المجلات هيجيف . لم يوجد مثله إنسان في تركيب لوائح العربات . ولم يكن عمل يديه كما هو الحال

عندكم في موسكو - أي ما يصلح لساعة فقط ، لا تعد كأن يعمل كل شيء بنفسه ، حتى اللام» .

وفتح تيشيتشيكوف فمه ليذكر بأن ميخيف بالذكور مع كل هذا ، قد فارق الحياة منذ أمد طويل ، إلا أن

طلاقة لسان سوبياكفيتش كانت شديدة في اندفاعها بحيث لم تكن تسمح بالمقاطعة .

واستمر رب البيت يقول «وانظر أيضاً إلى يروبكا ستينيان الجار . أنني أراهم يرأسى أنك لن تجد عاملاً مثله أيضاً فتشب» . أي رجل قوى كان لو دخل

الجندي لا يعلم إلا الله ماذا كان مصيره فيها . كان طوله يزيد على ثلاثة أوشينات» .

وحاول تيشيتشيكوف أن يذكره بأن يروبكا ليست ولكن لسان سوبياكفيتش كان مندفعاً في تيار من

الترنر لم تكن له من حيلة أمامها إلا أن يستمع . ويبدو شكين البناء ! كان يستطيع أن يبنى عوقداً في

أي بيت شئت ! وماكسيم تيباتشيكوف الحداء ! يصنع أحياناً ونعم الأحياء مع به لا يدور الخمرة خلافاً لعادة

الحدائين . ثم إرشي سوركريلجين ، أيضاً ! كان أحسن المجموعة كلها . وكان يشغل في موسكو

بتجارته الخاصة حيث كان يدفع خمسمائة روبل ضريبة . أجل هناك تشكيلة من العبيد لك تشكيلة تختلف

اختلافاً كبيراً عما سمعته لك بلوشكين !»

وقد ذهل تيشيتشيكوف لهذا الطوفان انعازم من

«أربعين - ٧١ ستتمراً تقريباً . انقاضي» .

الثرثرة التي بدت بلا نهاية ، فقاطعه بسرعة يقول «لكن
إسمع لي ، إسمع لي أن اتساءل عما يحدرك الى تعداد
هذه المواهب في جماعة موتى . وما داموا كلهم موتى
فلا معنى لهذا التعداد . والمثل يقول - لا يصلح الجسد
الميت إلا لدعم السباح» .

فاجاب سوباكيفيتش «بالتبع هم حيتون» . وكان
هذه الفكرة لم تطرئ بباله إلا تلك اللحظة ، ولكنها
أذكت من تفكيره في ناحية أخرى فقال «لكن قل لى
الآن بما هي الفائدة حتى الفلاحين الباقين احياء وكآلهم
دياب لا بشر» .

فقال تشيتشيكوف «أجل ولكن هم احياء اما الانفس
الميتة فانها خيال لا غير» .

«لكن لا ، لا يمكن أن تكون خيالا ولن تجد حيشا
ذهبت عاملا قديرا مثل ميخيف . وكان عملاقا وقوته
قوة الحصان في ساعديه . وأين وجدت خيالا مثله» .
رب هذه الكلمات التفت سوباكيفيتش تميزا لكلامه الى
صورة باجراتيون وكولوكوتروني . كما يحدث عادة بين
بريقين في حمية الجدل حين يلجأ أحدهما الى
الاستسهاد بشخص غريب ليس مجهولا لديه وحسب
بل لا علاقة له بموضوع الجدل املاقا . وتكون النتيجة
أن يتردد الخصم في أن يحيب أو يغلي له المكان .
وقال تشيتشيكوف «ومع ذلك من أستطيع أن
اعطيك أكثر من رولين للراس الواحد» .

«حسنا ، بما أننى لا أريد منك أن تقول عني أننى
طليت غالبا ، وبما أننى لا أود أن أبا بك في منتصف

الطريق ، فما رأيك - لأجل الصداقة - أن تدفع خمسة
وسعين روبلا ورقا؟»

فقال تشيتشيكوف في نفسه «يا للسموات ! هل
يعتبرني هذا الرجل غبيا؟» وأصاف بصوت عال «أن
الامر ليسو لي غريبا كما لو كنت تمثل كوميديا على
سرح . وما من تفسير آخر لهذا . لكنك تبدو رجلا
عائلا وعلى تسط من القمامة . فالامر بسيط جدا .
واسأل الآن هو - ما قيمة الانفس الميتة ؟ وهل فيها
قائدة لأي انسان؟»

«فيها فائدة لك ، والا لما كنت تشتريها» .
فغضب تشيتشيكوف على شفتيه وأسفل في يده أن
يجيب . وحرّب أن يقول شيئا عن العائلة والامور
لبنيّة التي دعته الى شراء الانفس الميتة ، ولكن
سوباكيفيتش قاطعه قائلا «لا رغبة لي في معرفة
شؤونك الخاصة ، ولا أحب أن أحسر نفسي في هذه
الامور . كل ما أعره هو أنك بحاجة الى الانفس الميتة
وأنا على استعداد لبيعها . وأظن أنك ستندم إن لم
تشرها» .

فعاد تشيتشيكوف قوله «سمري روبلان» .
«مه ! مه ! لقد ذكرت هذا السعر من قبل ، وهما
أنت تعود الى ذكره من جديد . هيا قل سعرا لا غبن
فيه» .

وقال تشيتشيكوف لنفسه «يا هذه الشيطان ! على
أية حال ، سأزيد نصف روبل» . وفعل .
فقال سوباكيفيتش «حقيقة ؟ حسنا ، كلمتي الأخيرة

هي خمسون روبلا ورفاً . وهذا يعني مجرد خسارة لي
لأنك لا تستطيع أن تحصل في العالم كله على أنفس
أحسن مما لديّ .

وقال تشيتشيكوف لنفسه «يا للجور الضمير !» ثم
أضاف بصوت متفعل «أصعب لي» فكان الأمر مهمم
بالفعل . أن أيّ إنسان غيرك سيكون شاكراً للتخلص
من هذه الأنفس . ومن يتمسك بها ، ويدفع الضرائب
عنها غير عاقل .

«نعم ، لكن عليك أن تذكر» (واقسون هذا بعض
الصدقة) أن صفات من هذا التمثيل متنوعة في العادة
وإن الناس ميقولون عنّي يتعاطى هذه الأمور أن ل
قصداً يفسر لي الارتياح .

فقال تشيتشيكوف لنفسه «الزهد يريد تخويفي» ثم
أضاف بملء أكثرات بالغ «أنا لا أشتريه لأبيع منها
كما تحسب أنت ، بل أرفض أفكار تعزّ عليّ» . روبلان
ونصف هو أكثر ما أستطيع أن أرفضه .

وتكر سوباكيفيتش «أنه لا يغير رأيه !» وقال
«أعطني على الأقل ثلاثين روبلا ورفاً ، وحد الجميع» .
«لا ، أرى أبداً لا تموى البيع ، وعليّ أن أقرضك
السلام» .

فقال سوباكيفيتش متهمّاً «انتظر لحظة ! انتظر
لحظة !» وتشبّت بيد صيغه وداس في الوقت نفسه
على صممه بشدة جعلت تشيتشيكوف يشق ويرقص من
الألم .

فقال سوباكيفيتش بسرعة «أرح عفوك ، من أصلي

إنني أملكك ، فأرجو أن تجلس مرة أخرى» . وفي هذه
اللحظة اجلسه على كرسي بحذافة الدب الذي تدرب
على مبتلب الألعاب في السيرك .

«لا ، فاني أصبح رقتي لا يغير . يجب أن أذهب» .
«أوه ! اجلس لحظة أخرى فقط . لديّ لوز يسرك»

واقترب من ضيقه وحس في أذنه كما لو كان يروح
له بسرّ وقال «ما رأيك في خمسة وعشرين روبلا ؟»
فقال تشيتشيكوف متعجباً «لا ، لا ، لا ! لن أعطيك
حتى ربع هذا أصلي ! لن أريد كوبك واحد» .

وظلّ سوباكيفيتش صامتاً برهة من الزمن .
وتشيتشيكوف أيضاً . ودامت هذه الحال مدة دقيقتين
كان فيها أحد باجراتيون الأتلي مطلقاً من على الحائط
كما لو كان يتتبع المساومة .

وقال سوباكيفيتش فجأة «ما هو آخر سعر لديك ؟»
(روبلان ونصف) .

«يظهر أنك تقدر النفس البشرية بسعر قطعة الخبز
الصفية . أعطني على الأقل ثلاث روبلات» .

«لا ، لا أستطيع» .

«أرجو عفوك . يظهر أنك رجل صعب المعاملة جداً .
مهما يكن من أمر ، ومع أن هذا يعني خسارة قاضية لي
ومع أنك لم تظهر روعاً طيبة في هذا الشأن ، إلا أنني
لا أستطيع إلا أن أرفض صديقي . فمن الأفضل أن
تتخذ إجراءات البيع لكي تضع الأمور في نصابها» .
«طبعاً» .

«لأن يجب علينا لهذا الغرض أن نذهب إلى المدينة» .

وانتهى امرهما الى الاتفاق على الذهاب الى المدينة في اليوم التالي لتدبير صفقة البيع . وبالتالي طلب سب تشيتشيكيوف قائمة بالفلاحين ، فوافق سوباكييفتش عليها فوراً . وذهب في الحقيقة الى مكتبه حيث بدأ يسجل قائمة لا بأسماء الفلاحين وحسب ، بل بمؤهلاتهم ايضاً .

ولما لم يكن لدى تشيتشيكيوف ما يعمل فوقه ينظر في تلك الاثناء الى هيكل مضيئه الصخم . ولما حرق في ظهره المريض كظهر الحصان وفي ساقيه الضخمتين كالاعمدة الحديدية التي تقوم على جوارب الطرقات ، لم يتمالك ان هتف في نفسه ، « حقاً لقد حياك الله بالكثير ! مع انه حرمك اللطافة الا انه في اقصى صورة ما شاء ركبك ! واني لأعجب منك ان كنت قد وُليت دينا باوراثه او اكتسبت ذلك من خلال حياتك البالية بما فيها من فلاة الحبوب والمتاجرة مع الفلاحين ، لكي لا اعتقد أنك حتى ولو كانت لديك الثقافة المناسبة وكنت منغمساً في المجتمع عشت قس بطرسبورج لبقيت ذلك الكولاك الذي هو انت

والفرق الظاهر في الحالين هو انك تستطيع هنا ان ترين مائدتك بكتب حروف ، اما في بطرسبورج فكنت ستأكل الكفتة بالصلصة . والفرق في الحالين ايضاً ان لك هنا عدداً من الفلاحين تحت امرتك تعاملهم معاملة

الفلاح الفنى . المترجم .

حصة لأنهم ملكك وطوع بأتك ، اما في الحالة الأخرى سيكون تحت إمرتك صغار الموظفين الذين كنست مستمبدين يوم لأهم ليسوا ملكك . وكنت ستنهب حريته الدولة ايضاً ، لأن الكولاك دائماً نهاب للمود . وإذا علمت الكولاك شيئاً فسيزداد الأمر سوءاً . وإذا حاولت ان تزيده شيئاً من العلم ان ترفع مقامه رايته يضطهد المتحررين بالمدوم حقاً ، ويصدر امراً يجعل اوضاعهم اسوأ . تلك هي طبيعة الكولاك !

وقال سوباكييفتش ملتفتاً « القائمة جاهزة » .

« حقاً ؟ دعنى اترى من فصلك » . والقسمي تشيتشيكيوف نظرة على الوثيقة ولم يتمالك الا ان يثمض من ترنيبها ودقتها . فقد سجن فيها ، بالإضافة الى اسم الفلاح ، عمره ومهنته وسببه وملاحظات على حامس الصفحة بشأن سلوكه واخلاقه . لقد كان النظير اليها متعة تسر النفس .

قال سوباكييفتش « هل تسمح الآن وتعطينى عربوناً مقبلاً ؟ »

« نعم . ولكن لماذا تريد ذلك ؟ باستطاعتك تسليم المبلغ دفعة واحدة حالما تصل الى المدينة » .

« ولكنها عادة دائماً كما تعرفه » .

« لن استطيع اتباعها الآن لأننى لا احمل نقوداً . على أية حال اليك عشرة روبلات » .

« عشرة روبلات فقط ؟ كان عليك على الاقل ان تعطى خمسين » .

وبدا تشيتشيكيوف مرة اخرى ينكر انه يحمل

نقوداً . ولكن سوباكيفيتش ألج عليه بضعة وأكده
له أن الأمر غير ذلك (أى أنه يكذب في إنكاره النقود)
حتى سحب الضيف خمسة عشر روبلا أخرى وأضاعها
للعشرة الأولى .

وقال «أرجو أن تعطيني وصلا بالنقود» .

«وصلا ؟ ولم أعطيك وصلا ؟»

«ذلك أفضل حتى نتجاشى الاختلاء» .

«سمن جداً» لكن سلمنى النقود أولاً» .

«النقود ؟ ما هي هي . أكتب الوصل فتصير النقود
لك» .

«أرجو عفوك . ولكن كيف أكتب الوصل قبل أن
أراها ؟»

فرضع تشبيتشيكوف الأوراق المالية في يده
سوباكيفيتش ، حينئذ اقترب المضيف من المكتبة
وأضاف أن قائلة الاثنان حاشية يقول فيها أنه تسلم
لقاء الفلاحين المذكورين في القائمة مبلغ خمسة وعشر
روبلا كمقدمة . وما كتب ذلك حتى أخذ يحد النقود مرة
أخرى .

وأمسك ورقة منها في الصوء وقال «هذه ورقة قديمة
جداً ، وهي مرفقة أيضاً على كل حال ، في الصعقات
بين الأصدقاء لا يجوز التمسك كثيراً» .

ففكر تشبيتشيكوف في معادته وقال لنفسه «أى
كولاك هذا ؟ وأى مخبوق وحشى هو ؟»

وتساءل سوباكيفيتش «لا تريد أنفساً من النساء ؟
«أشكر» . لا» .

«أقدر أن أعطيك بعضها بسعر رخيص - ولنفس
يبدد كأصدقاء - روبلا للرأس ؟»
«لا ، لا حاجة لي بها» .

«إذا كان كذلك فليس لدى» ما أقوله . لكل إنسان
دوقه الخاص . والحق يقول «واحد يجب الكاهن وآخر
يجب زوجة الكاهن» .

وبهذه تشبيتشيكوف مسادداً بالذهب وقال «أطلب
اليك مرة أخرى أن يظل الأمر بيننا» .

«طبعاً ، طبعاً» . فما يجري بين الأصدقاء يظل كما
يجب . ما دامت الصداقة متبادلة . مع السلامة . أشكر
لك زيارتك وأرجو أن تحضر الى الغداء معنا كلما كان
لديك متسع من الوقت . لقد نستطيع أن نقدم لك
خدمة أخرى» .

وما إن ركب تشبيتشيكوف العربا حتى أخذ يناجى
نفسه قائلاً «ما كنت قد جئت لو عرفت ! ما كنت قد
جئت لو عرفت أن هذا الكولاك الوحش سيقتصر منى
روبلين ونصف الروبل على النفس الواحدة»

لقد شعر بعدم الارتياح والاستعاض من سلوك
سوباكيفيتش . فمع أن الرجل صديق وقد التقيا عند
حاكم الولاية وعند رئيس الشرطة إلا أنه سلك سلوك
الغريب ، فأخذ النقود مقابل تفاهات لا قيمة لها .

وإن كانت العربا تترك العظيمة تفتت تشبيتشيكوف
وراءه فلعلم سوباكيفيتش لا يزال واقفاً في الترفقة .
من الجلي أنه وقف يراقب الطريق التى تستلکها
عربة الضيف .

وتعتمد تشيمشنيكوف بين أستاذته "يا ليوغدا العجوزا
لا يرال واقفاً يراقب" . ثم امر سمينيان أن يسير
بالمرية بحيث تختفي عن رؤية صاحب البيت . وحقيقة
الامر أنه كان يهدف إلى زيارة بلوشكين (الذي كانت
اقباله على حد تعبير سوباكيفيتش) تصوت عادة
كالدياب) . ولم يكن يريد من مصيغه أن يسرف مرءاه
ويئاه على ذلك ، لم يكن يصل إلى طرف القرية
الاقصى حتى حيناً أول قلاص قابله ، وكان يعمل على
كتفيه جلع شجرة فسحقاً ليسير به إلى كوخه كما
تسير النملة بحملها إلى عش النمل ، وقال له
"أيه كيف يمكنك أن أصل إلى بيت الملاك
بلوشكين دون أن أمر" من أمام المنزل الذي هناك ؟
فوقف الفلاح مرتبكاً أمام السؤال .
وتساءل تشيمشنيكوف "ألا تعرف ؟"
فاجاب الفلاح "لا أيها السيد" .

"ماذا ؟ ألا تعرف بلوشكين البحيل الذي يجيـع
أقنانه ؟"

فقال الرجل "طبعاً أعرفه" . وأضاف إلى تعبيره هذا
تعبيراً يذنب لا يستعمل عادة في مجتمع مهذب . ولما
أن تقدّر أن التعبير كان طريفاً لأن تشيمشنيكوف ظل
يضحك في المرية حتى بعد أن اختفى الرجل عن أنظاره
بوقت طويل ولما الشعب الروسي في الواقع دائماً
عنيفة في تعابيره . فإذا ما خلج بقب على أسنان ، فانه
سينظر ملتصقاً به طوال حياته ويستقل أن خلفه ، وسينظر
يجرجه في الخدمة ، وعند التقاعد ، وفي بطرسبورج ،

وفي آخر العالم . ومهما سيجاول فيما بعد التماسيل
واصفاء الميل على لقيه ، وحتى لو جعل الكتابة يرجوه
لما أجز صلوم ، إلى سلالة أميرية قديمة ، فمن ينصفه
شيء . فإن هذا اللقب سيمتق بكل عقيرته كاشفاً
عن نفسه ، ويوضح بلاء من أين طار الطير . فإن
الكلمة المنطوقة النابتة في سوقها كالكلمة المكتوبة لا
سكن أن تثر بعاس . وما أرسخ كل ما يخرج من أعماق
روسيا ، حيث لا يوجد ألمان ولا قتلنديون ، ولا أي
هيلة اجنبية أخرى ، بل كل شيء أصيل ، حي ، وعقل
روسي ثاقب . حيث لا تموزة حكماء ، ولا يقعد عليها ،
كما تقعد الدجاجات على بيضها ، بل ينحن رأساً لتصبح
كالهوية طوال العمر ، وما من حاجة بعد ذلك إلى أن
يصف أي أحد لك أو شفتين فيضرة واحدة وسلك
من رأسك إلى قممك .

ومعنا يوجد عدد لا يحصى من الكتانسي والاديرة
نقباها ورؤوسها وصلانها متناثرة في أنحاء روسيا
القدسة النقية يوجد أيضاً عدد لا يحصى من القبائل
ولاحبال والشعوب تتراحم زاهية الألوان وتنطلق على
وجه البسيطة . وكل شعب يتطوي على ضامن القوة ،
ويمثل "بقدرات الروح الخلاقة ، وخاصيته اللامعة
وهيات الرب الأخرى ، يتميز عن كل شعب آخر في
طريقته الخاصة بكلمته التي تنكس ، لدى تعبيره عن
أي موضوع ، جزءاً من خلقه . إن كلمة يقولها بريطاني
تصنع عن بصيرة قلب ومعرفة حكيمه في الحياة .
وعبارة الفرنسي القصيرة الأجل تلمع مثل غمدور حليف

الدم ، تختفي . والالاماني يبتكر بعدافة الكلمة الهزيلة
بذلكالها وغير مفهومه لكل انسان أيضاً . ولكن ما من
كلمة طاغية ذرية ، ناصصة من القلب ، جياشة زاهرة
بالحياة تصاهي الكلمة التي ينطقها روسي .

الفصل السادس

في زمن بعيد ، في سمنى صباي ، في سمنى طفولتي
التي مرت حلقاً بلا عودة ، كنت أشعر بالفرح حين
أقبل على مكان غريب لا أعرفه من قبل ، سواء أكان
ذلك قرية صغيرة ، أو بلدة بالسة هي مركز قضاء ،
أو دسكرة أو حاضرة . فقد كان بصري الطفولسي
اللفصولي يكتشف فيها الكثير من الأشياء الممتعة . فإن
كل مبنى ، كل شيء يحمل خاصية تلفت النظر ، كل
شيء كان يجعلني أتوقف وأبهر . وسواء أكان ذلك
مبنى حكومياً حجرياً ، ذا عمار معروف ، ونصف واجهته
مغطاة بترافد زائفة ، يقف بعمره وسط بيوت صغيرة
ذات طابق واحد من الروافد الخشبية غير المسجوجة ،
أو قبة مدوّرة منسقة ، مصلحة كلها بصفائح حديدية
بيضاء ، سامقة فوق كنيسة جديدة ناصصة البياض
كالثلج ، أو سوقاً ريفية ، أو غندوراً ريفياً كان
يتمشي وسط البلدة ، وما من شيء كان يغلب من
انتباهي المرحف النفس . فقد كنت أخرج أبني مسن
عريتي السائرة ، وأطلع إلى فتحة سترة لم تقم
عليها عيني من قبل ، وإلى الصناديق الخشبية التي

تحتوي على المسامير أو الكبريت الأصغر الذي كنت
أحبه من بعيد ، والريب والصابون ، وكل ذلك كنت
أحبه حلقاً من باب حانوت خضروات مع علب الملبسات
للمسكونية الباشعة ، وأطلع إلى ضابط مشاة يسير
في ناحية ، والله وحده يعرف من أية ولاية جاء إلى
هذه البلدة الريفية المضجرة ، وإلى تاجر لاح بمطعمه
السييري في قرية صغيرة ، فتحملني أفكاره وروحه
إلى حياتهم البائسة . وما إن يسر بي موثف من موثفي
الأقلام حتى أخذ أفكر إلى أين ذاهب الآن ، لقضاء
أمسية مع رجال من صفته ، أو إلى بيته ليجلس عند
مدخل البيت نصف ساعة ، حتى يشهد ظلام المساء ،
ويقعد ليتناول عشاء مبكراً مع أمه وروجه وأخت
روحته وكل العائلة ، وبعث مسجري الحديث بينهم ،
عندما تحلب الحادمة بقلادها من قطع النقود المعدنية أو
الدام يستتره السمكة شمة على شمعدان قديم ، بعد
الحساء . وحين كنت أقترب من قرية أحد ملاكي الأراضي
كنت أنظر بحب استطلاع إلى برج القاموس الخشبي
العالي المحيل ، أو إلى الكنيسة الخشبية القديمة
المريضة المظلمة ، من بعيد كان يلوح لي في اغراء ومن
حلال خضرة الأشجار بيت الضيعة بسقف الأحمر ومداحه
البيضاء ، فكنت أنظر بتفاد صبر حدائق تنداح
متراحة على كلا الجانبين . وينهض البيت بكل مظهره
الذي لم يكن رغم تصوري متدلاً اسداً ، وأحاول أن
أحدس منه أي مالك أرض هو مالكه ، وهل هو مسن ،
وهل له أولاد ، أم بنت ست لهن ضحك صيوي رنان ،

لحديقة خضروات أو حقل كرتب محاط بسياح واطي
 محطم في بعض الأماكن . وتلك القلعة الخريفية ، الطويلة
 طويلاً هائلًا كانت تبدو مثل مريض مقعد ، وكانت من
 طابق واحد في بعض الأماكن . ومن طابقين في أماكن
 أخرى . وعلى سطحها القاتم الذي تغل القدم عن حمايته
 في بعض الواضع برز مبيان أحدها يقابل الآخر ،
 وكلاهما متداع أيضاً ، انسلخ عنه الطلاء الذي كان
 يغطيها . وكانت جذران البيت قد سقط عنها الملاط في
 بعض الأماكن ، ولاحت التشعبات التي أضرها كما يبدو ،
 مختلف أنواع سوء الطقس . والأمطار ، والمواصف
 والانهيارات الخريفية . وكان ثمة نافذتان مفتوحتان ، من
 بين كل النوافذ التي احكمت عليها صفقاتها بـ
 وسمرت بالالواح . وحتى هاتان النافذتان كانتا من
 ناحتها ، تصف مقلقتين الصق على أحدهما حدثت
 من ورق السكر الأزرق .

كان البستان القديم الواسع يمتد خلف البيت ، إلى
 ما وراء القرية ، حتى يتصل في الحقل بعد ذلك ، وقد
 نما فيه الشئب ، وظهر عليه الإهمال ، يغطي لوحده
 تضارة على هذه القرية الواسعة ، وكان وحده الشئب
 البهيج حقاً في رعايته الجيدة . وكانت ذرى الأشجار
 المتشابكة الممتدة في حرية تبدو مثل غيوم خضر وقياب
 شعث مهترزة الأوراق على خلفية السماء . وقد برز من
 هذه الخضرة الكثيفة جذع شجرة بتولا ضخم أبيض ، ملا
 قمة ، وقد حطمت عاصفة أو زوبعة ووقفت في الهواء
 مثل عمود مرمرى مدوّر متناسق لمّاع . وكان رأسه

المائل المتهني به بثانة تاج يلوح أسود أراء بياضه
 الناصع ، وكأنه قبة أو طائر أسود . والحشائش
 التي كانت تغطي على أجسام البلسان ورماد الجبل
 وشجر اسيد في الأسفل ، ترتقي بعد ذلك على قمة
 سياج الاوتاد وتتسلق أخيراً إلى الأعلى ، وتنتفح حتى
 منتصف شجرة البتولا المقطوعة الرأس . وبعد ذلك
 تنبدل من هناك إلى الأسفل ، وتأخذ بالتشعب بقسم
 أشجار أخرى أو تتدلى في الهواء ، وتلتف حولياتها
 الرقيقة المتشعبة لتصبح حنقات يؤرجعها الهواء قبلاً .
 وكانت الكتلة الخضراء المضامة بالشمس تنفج هنا
 وهناك ، ويظهر التجويف بينهما عميقاً مثل شفق قائم .
 والظل يسريه كنه ، لا يكاد يلوح في قرع الدارك
 دويب شيق يختفي في مكان ما ، وأميججة محطمة ،
 وتريشة سيف متداعية ، وجذع صفصافة متفسخة
 وأحمة حرمة تخرج كناء من وراء الصفصافة عساليها
 اللدنة الكثيفة أوراقها ، وتشريك وتلتف ، وتبدل
 بسبب حياتها العمياء العظيمة في هذا المكان ، وأخيراً
 عصن غصن لشجرة قيقب تمد من جانب أوراقها
 الخضراء . ولا أحد يعرف كيف تسرب ضوء الشمس تحت
 واحدة منها وحولها إلى شعافة وحاجة تناق يا عجيوبة
 في ذلك الظلام الكثيف . وفي ناحية ، في أحد طرفي
 البستان ، كانت بعض أشجار الحور الدالية بشكل لا
 يناسب ارتفاع الأشجار الأخرى تحمل على ذراعتها
 المتعائلة أركار غريبان صخنة . وكانت لأشجار أخرى
 اغصان مكسورة لم تحصل بعد فكانت تنبدل إلى الأسفل

مع أودانها اليابسة . وباختصار كان كل شيء بديعاً لا تستطيع الطبيعة أن تبتدعه ولا الفن ، ولا يمكن أن يكون إلا حين يتحدان سوياً ، حين تترد الطبيعة لإزديادها لي لمسة نهائية على عمل الإنسان المتراكم في غير مع غداً . وتحتف الكتل الضخمة . وتقتضي على التماثل المحسوس بشكل فظ ، والثغرات البائسة التي يلوح من خلالها المخطط عاري لا يحى . وتنبع المنحدرات على لكل ما خلق في النقاء الموزون والدقة .

بعد أن انطلعت العربة مرة أو مرتين وجد بطنتنا نفسه أمام البيت الذي بدا الآن أشد بؤساً . كان الطعيب الأخضر يغطي حشيب الحظيرة والرتاج البالي . وكان على جنبات الحظيرة عدد من المباني المهجورة الفربة التي كانت على الأرجح في يوم من الأيام مساكن للخدم والمخازن . كانت المظاهر تدل على أن حياة فحمة كانت تعمل في هذا المنزل في سالف الأزمان . أما في الأونة الحاضرة فكانت تبدو عليه مظاهر البؤس والتعاسة . لم يكن ثمة شيء يبهج النظر ، ولا أبواب مفتوحة ولا خدم يطعمون من مكان ما ، ولا امرات تدل على مشاعر السمت . كان ابرتاج مفتوحاً لآل عربة محملة كانت تخرج منه . وراى تشيتشيكوف فجأة شخصاً غريباً كان على ما يبدو يتشاجر مع سائق العربة . ولم يستطع لفترة غير قصيرة أن يعرف هل أن الشخص رجل أم امرأة ، كان يرتدى ملابس لا يستطيع الصواب أن يعرف منها جنس هذا الشخص . الصوت رجه بدا له قوياً قليلاً بالنسبة لصوت امرأة «آه ! إنها

امراة» - فكر مع نفسه ، وأضاف راسماً «لا ، لا يمكن !» وأخيراً قال وقد تمعن أكثر «صوت امرأة باطبع» . كما أنها من جانبها اعتنت النظر فيه . وبدا وكان الضيف ، بالنسبة لها ، ظاهرة عجيبة لأنها لم تجبل البصر فيه وحده ، بل في سيليمان . ومن العيول من الذيل حتى ابوز . ومن المعايير التي كانت وراء حزامها ، وفشمتها الفلاج بكلمات مقدمة بما فيه الكتابة رجح تشيتشيكوف أن تكون خازنة المنزل . فتقدم إليها يسألها عن ربة البيت .

ولكن كبل أن يتم تشيتشيكوف سؤاله أجابته قاسية «غير موجود» . وأخذت تظفر اليه بحد شديد ، ثم اكملت كلامها تقول «وماذا تريد منه ؟»

«بعض الأعمال» .

«لأن التبعثي» .

وادارت المرأة ظهرها فبدا مسطحها البالي مشقوقاً من أسفلها مغطى بالطين من أسفلها وأعلى . فتبعها إلى قاعة كبيرة مظلمة باردة كالقبر ومنها إلى غرفة مائية في الاظلام لا يثيرها إلا ما يتسرب من أشعة الضوء من تحت الباب . ولما فتح الباب ودخل المزيد من الضوء ذهل تشيتشيكوف من اللوحى التي كانت تسود الغرفة . كان يبدو أن أرض الغرفة كانت غفلس ، وأن الغرفة نفسها كانت مستودعاً لكل ما يمكن أن يحطر بال حدوق . فحل متضدة وضعت بقايا كرسى مكسور وساعة لا يندول لها . وكل ذلك منطوى ينسج العنكبوت . وبالقرب من الحائط كان خوان مليء

بالأواني العسوية القديمة والرجاجية والصيني . وكان هناك منقذة للكتابة مرصعة بالصنف انتزع معظمه وترك موضعه فتحات صفراء قائمة محشوة بالطين وحق استصدة كانت رزمة من أوراق الكتابة ، وحاملة ختم من الرخام الذي استحال لونه الى الصخرة ، وكتاب بغلاف من جلد أحمر الاطراف ، وحية من الليون جنت وانكسرت قشرتها واصبحت بحجم حبة اللوزة ودجل كرسي مكسورة ، وقدم فيه حثالة من سائل وديابات ثلاث (والكل) مغلى بقطعة من الورق ، وكومة من خرق بالية وقطعة من شمع النخع وريشتان جافتان ملطختان بالخبث ومسواك للامسان وصقاره يدل على أن صاحبه قد استعمله على الأقل قبل مجيء نابليون الى موسكو .

اما الجدران فقد علق عليها حليط من الصور كان من بينها صورة طويلة معقودة على الخشب ظهر فيها جنود بقبعات مثلثة الزوايا وهم يصيحون وطبول ضخمة وشيول غارقة وكانت الصورة عديمة الزجاج موضوعة في إطار برنزي على زواياها حلقات برنزية . وقد علق بجانبها صورة ريشية كثيفة بدت فيها بعض الزهور والفواكه ونصف بطيخة ورأس خنزير والبطخة الميسمة المتدلية . وقد تدلت من السقف ثرياً بغطاء هرمي علاه الغبار حتى تكاد تعجب الثريا دودة الحرير تخرج من شرنقتها . وأخيراً ، في زاوية من زوايا انفرسة كانت كومة كبيرة من الأدوات بيدو وكان لم يكن لها موضع على المنضدة . أما محتريات هذه الكومة فيصعب

التكهن به ، لأن اى يد تمتد اليها ستخرج وكأنها لاسية قفازاً لما على الكومة من غبار . ولكن برز من الكومة شيان برورا جدياً ، أحدهما عصا مجرقة والاخر احمص حذاء اثري . ولم يكن يسر ببال انسان أن هذه الغربة يدخلها احد لو لا قبة بيتية كانت موضوعة على طرف المنضدة . وبجانبها كان تشيتشيكوف يجلس البصر في هذه القوضى الغريبة ، لتسبح باب جانبي ودحت منه اخازنة التي قادته اول الامر الى هذه الغربة . ولكن تشيتشيكوف رأى الآن أن هذه السيدة كانت رجلاً لا امرأة ، وليس للنساء حق ، ولكن الشعر قد نبت على خدي هذه وذوفا بشكل أصبحت فيه كالحمسة التي تستعمل في تنظيف الخيول . وقف تشيتشيكوف وقفة المسائل يتنظر ما يمكن أن يقوله الشخص الواقف امامه . ولكن الحازن فعل الشيء نفسه . ولما اندهش تشيتشيكوف من سوء التفاهم تسال بعد لأي يقول ،

«هل رب البيت موجود؟»

«نعم» .

«أين هو الآن؟»

«هل انت اعني يا سيدي ؟ انما ربي البيت» .

عندهد لم يتمالك تشيتشيكوف الا أن يتراجع الى الورا والخلف يحدق فيه ، كان بطلنا وحالة وانما سفر وقد رأى اصنافاً عديدة متنوعة من الرجال لم تقب رؤيتها لا للكاتب ولا للقارى ، ولكن الطل لم تقب عيناه على هذا النوع الغريب الجديد من قبل . لم تكن

في وجه الرجل المجوراية علامة مميزة . كان يعلوه الذبول كوجه اى عجوز متهربى . كانت ذقنه بارره جدا الى الامام فكان مصطرا اذا ما تكلم ان يصحها بمندبل منخدة ان يسيل لعابه عليها ، وعيناه الصغيرتان اللتان لم يتطرق اليهما القباء بمد ، كانت ترفان تحت حاجبيه البارزين بريق عيون الفيران عندما تطل براسها من الجحر باذنين منتصبتيْن وشبارين حساسين لترى فيما اذا كان هناك قط او صبي يهب في الجوار ويتشمان الهواء بارتياح . لا ، ان مظهره المميز كان في ملايمه فقط . فلم تكن هناك من وسيلة لمعرفة نوع القماش الذى صنع منه معطفه لان اطراف المعطف اكمامه كانت متحركة متسخره على صورة فتحة كل وصف ، وبدلا من ان يكون في خلفه شق واحد يقسم ظهره الى قسمين ، كان هناك شقان اصافيان يقسمان مؤخرته الى اربعة اقسام تتدفق من تحتهما قصاصة جريمة مرفقة . وحول عنقه يلتص شيء قد يكون جوربا او لعافة ساق او لعافة يطن ولكنه ليس ربطه عنق بكل تأكيد . وحلاصة القول ، ان تشيتشميكوف لو رآه امام باب الكنيسة لم يتردد في الاحسان عليه تكريك (فلنكن بصرف بطلنا يجب ان نقول انه كان ذا قلب رحيم ولم يكن يتوانى في اعطاء الصدقات للمساكين) ، لكنه مسي حالتنا هذه لم يكن امام مسائل شحاذ ! بل كان امام ملاك - ملاك يملك النفس بالتمام والكمال يفوق كل جيرانه الملاكين الاخرين بما لديه من حنطة وطحن وما

تفتمه جدران المستودعات من اقشعة كنانية مفزولة وجود الماعز التى ديفت ولم تلبس الاسماك المجلفة وكل نتاج يستطيع ان يدركه العقل . فلو افق شخص نظرة الى فنائه التشفيل ، حيث اعدت للاحتياط مختلف المصنوعات الخشبية وآنية لم تستخدم قط لتزوم انه في سوق الخردوات في موسكو . حيث كل يوم الحشرات والكثبات العاذمات تشتمن طبائخا تهمن لشراء ما يحتجن اليه من الادوات المنزلية ، وحيث تتكس اكوام من مختلف الاشخاب المسحوجة والمسمرة والمخراة كالبراميل والاجافات والطناجر الخشبية باعطيتها ، واسفان الغشبية ، والاواني الخشبية ، والسلال من الخوص ، والسلال الخشبية التي توضع فيها الاشياء المملحة وكل ما تستخدمه روسيا الفنية والفقيرة . فما الذي اوجع بلوشكين الى كل هذه الكمية الهائلة من المصنوعات ؟ لا اظنه صيحتاج الى استعمالها حتى لو كانت له صيحتان من مثل صيخته . ولكن حتى هذا بدا قليلا عليه . فكان يهوب شوارع قريته كل يوم في غير رضى يبصص تمت الجسور وتمت الزواج الارصفة ، وبأخذ كل ما يصادفه ، سواء اكان ذلك تعالا قديما ، او خرقة من سمل امرأة ، ومسمارا حديديا ، او قحف آنية خزفية ، ويحمل كل ذلك الى بيته ليضسه الى الكومة التي لاحظها تشيتشميكوف في ركن في غرفته . وكان الفلاحون يقولون حين يرونه خارجا للنقص «ها هو الصياد قد خرج ثاية للاصطياد» . وبالفعل لم تكن هناك حاجة لكتس الشوارع بمد خروجه .

لذا ما صادف أن اضاع ضابط حابر سبيل مهاره ، فان هذا المهار سبيد طريقه في الحال الى تلك الكومة اياها . وإذا ما نسيت امرأة جردلها وهي تبوم عند البئر ، فإنه سيستل الجردل منها . وعلى العموم ، إذا ظفر به فلاح ، متلبساً بذلك ، فإن بلوشكين لن يجادعه ، ويتحل له عين الشيء الذي استولى عليه . ولكن حين ينضم هذا الشيء الى تلك الكومة في حيرته فإن مسألته قد انتهت . فإن بلوشكين سيقسم بأن هذا الشيء ملكه ، اشتراه في التاريخ اللاني ، من الشخص اللاني ، أو تركه له جده . وفي حجرته كان يرفع من الأرض كل ما يجده هناك ، قطعة شمع ، خصاصة ورق ، ريشة ، ويضعها كلها على مكتبه ، أو على افريز النافذة .

ذلك لأن حيناً من الزمن مرّ كان فيه بلوشكين عديراً حريصاً على أمور صحتته كما كان متروكاً وصاحب عائلة ، يقصده أحد جيرانه ليتناول العشاء معه ، ويستمع اليه ، ويتعمد منه إدارة الأمور ، والاقتصاد الحكيم . وكان كل شيء يسير نسطاً ، ويتم بطريقة موزونة . كانت طواحينه في حركة ، وكانت معامل الأبرج ، والتجارة ، والغزل ، تمل . وكانت عيس صاحب العمل الناقية في كل مكان تراقب كل شيء . مثل عنكبوت مجتهد كان يجري مشغولاً ولكن بكفاءة في أرجاء شبكته العاملة . وكانت المشاعر القوية جداً لا تنعكس على ملامح وجهه ، ولكن الصحافة كانت تطل من عينيه . وكان كلامه مشبعاً بالعبرة ومعبرة الدنيا .

فكان الجار يرتاح حين يسمعه . وكانت زوجته البحتية اسحة للكلام معروفة بحسن الضيافة . وكانت ابنتاه ، وكلتاهما شقراء نظرة كوردة ، تحرجان لاستقبال الضيوف . كما كان يخرج ابنته ، وهو خفيف الحركة نشيط ، ويقلب الجميع ، دون أن يفتت كثيراً إلى أن ذلك يرضي الضيف أو لا يرضيه . وكانت النوفة مفتوحة في البيت كله . وكانت حجرات الطابق اعمرى مسكناً لمعلم العربي الذي كان يعلق وجهه بشكل رائع ، ويجيد الرماية بروعة . فكان دائما يجلب حاجة أرض أو ورأ يربأ للفداء ، ولكنه في بعض الأحيان لا يأتي بغير بيض العصفير ، حيث يطلب أن يقل له ، لأنه الوحيد الذي كان يأكل ذلك من بين أهل البيت جميعاً . وكانت تسكن معه في نفس الطابق ابنة وطه ، مربية اليتيمتين . وكان رب البيت يأتي الى الفداء في سترة فراء لطيفة الشكل . وإن كانت مستهكة بعض الشيء ، غير أن الكوعين كانا سالبين خاليتين من أية رقعة . ولكن ربه البيت الطيبة واماهما الاجل ، فانتقل الى رب البيت قسم من المفايح ، ومعه مشاغل صغيرة . وصار بلوشكين أكثر قلقاً ، وأكثر ارتباكاً وبظلاً ، مثل جميع الأراذل . ولم يكن في امكانه ان يقصد على ابنته الكبرى الكسبريا ستيناوونفا في كل شيء . وكان محققاً في ذلك لأن الكسندرا ستيناوونفا هربت بعد وقت قصير مع ملازم أول في فوج فرسان غير معروف ، وسرعان ما عقدت قرانها عليه في كنيسة قروية ، وهي تعلم ان اياها لا يجب فصيلة الضباط لاعتقاده القديم

بأن جميع المسكرين مقامرون ومبذرون . أرسل الأب المعتات ، في أثرها ، ولكنه لم يتعب نفسه في ملاحظتها .

وصار البيت أكثر خواء . وصار البخل يظهر على المالك أكثر من ذي قبل ، ومعها الشبيب المصاحب الروفي للبخل ، صار يتلأأ في شعره ، وساعد على زيادة بخله . وأعطى المصمم الفرنسي من وظيفته ، لأن الابن وصل إلى سن الوظيفة ، وطردت الفرنسية أيضاً لأنها لم تكن ميرة من مسألة هروب الكسندرا ستيبانوفنا . وأرسل الابن إلى المدينة مركز الولاية ليحتل وظيفة في دائرة العدل التي هي حسب رأى أبيه ، خفصة حقيقية ، ولكنه بدلاً من ذلك الحق في وظيفة في هوج . وكتب إلى أبيه يشيره عن تميته ، طالباً النقود لمواضعه وعلاجه . وطبهي أنه تلقى على ذلك ما يسمى بالتعبير الدارج عبقة . وأخيراً ماتت بنته الأحيرة التي بقيت معه في البيت ، ووجد الصغور نفسه العارس والحافظ وأمالك الوحيد لزوجاته . وأعطت حياة الوحدة زائداً دسماً للبخل الذي طبع عليه ، حسب ما هو معروف ، جوع الدلب ، وكلما التهم أكثر صار لا يسمع . والمواطف الإنسانية التي لم تكن في الأصل عميقة في نفس صاحبنا صارت تصحل كل دقيقة ، فكان يتهاوى في كل يوم شيء في هذه الشخصية السطحية . وفي مثل هذا الوقت حدث ، وكان ذلك تأكيداً متعمداً لأرائه في المسكرين ، أن ابنته حبر دلوته في القمار ، فبعث إليه من صميم قلبه لصته الأبوية ، ولم يعد يهتم بأن

يعرف هل أن ابنته في الوجود أم لا . وفي كل عام كانت تستمر نوافذ في بيته ، حتى لم يبق أخيراً غير نافذتين ، أحدها ، ألصق عليها الورق ، كما يعرف القارئ الآن ، وفي كل عام كان المزيد والمزيد من الأقسام المهمة في ضميمته تقلت من بصره ، حتى صار بصره الضئيل لا يرى غير قصاصات الورق والريشات التي كان يجلبها في غرفته ، وأخذ يزداد تصلباً مع المستترين الذين كانوا يأتون إليه لبراءة منتجاته . كان المستترون يماكسون ويماكسون إلى أن يتغلوا عنه أخيراً قائلين إن هذا شيطان ، وليس انساناً . فكان التبن والحبوب تتفسن والمستودعات والشون تتحول إلى روث تماماً لا يصلح إلا للتسميد الكرتب ، وكان الطحين في الأكبية يتصلب كالبحارة فلا بد أن يكسر . وكان من اللقطة أن تمس الأجواخ والانسجة القطنية والمواد الصولية ، فانها ستتحول في الايدي إلى رفات . وكان هو نفسه قد سسى كم كان له من هذا الشيء أو ذلك . ولم يعد يتذكر إلا موضع قارورة التقيع في الدولاب وقد علم بنفسه على ما تبقى منه ، حتى لا يشرب منه أحد بطريقة لصوصية ، إضافة إلى موضع لتسج والريشة . وخلال ذلك كان البخل من المزعة يجمع كد في السابق . الملاح يأتي بالزئمة ، وكل امرأة ريمية تجلب الحصة المستادة من الجوز ، وكل امرأة تصل نساجة تجلب القدر المخصص من منسوجها . وكان كل ذلك يرمى في المستودعات ، ويتفلسف ويقتل بالقبوب ، والمالك نفسه قد تحول أخيراً إلى

تعب في جسم الانسانية . جاءت الكسندرا ستيبانوفنا لرؤية ابها مرة او مرتين ومها ابنها الصغير وهي تحاول ان تحصل من ابها على شيء ما . والظاهر ان حياة التجوال مع زوجها شبايل الفرسان لم تكن حذابة كما بدت عند الرفاف . وغفر لها بلوشكين ، على كل حال ، بل وسمح لطيفه الصغير بان يلبس يزر كان ملقى على الطاولة ، ولكنه لم يعطها اي شيء مسنن المقدود . وفي مرة اخرى جاءت الكسندرا ستيبانوفنا مع طفلين ، وحملت لابيها كمكاً ليؤكل مع الشداي ، وروباً جديداً ، لان الروب الذي كان يلبسه بلوشكين كان متجلاً بل ومعيباً . داعب بلوشكين حميدته كليهما ، واجلس احدهما على ركبته اليمنى والثاني على اليسرى ، وهزهما ، وكأنهما على سهوة حصان . وقبل الكسك والروب ، ولكنه لم يعط لابنته اي شيء البتة . وبذلك عادت الكسندرا ستيبانوفنا من حيث اتب .

ذلك هو المالك الذي وقف امام تشيتشيكوف ؟ ويعود القول ان مثل هذه الظاهرة نادرة في روسيا حيث يحب الجميع ان يظفروا انفسهم اكثر من ان ينكشوا ، وما يزيد ادهشة أنك يمكن ان تصادف بجوارك مالكا ينفق ممتلكاته على ما تشتهي النفس الروسية من مبادل وقصص ومجون ، ويؤجج لهب الحياة على حصد التعبير السائر . ان المسامر غير الجرب سيقف في دهشة من امره ، حين يرى منزله ، ويسائل نفسه في حيرة من ذلك الأمير بالورثة الذي وجد نفسه فجأة وسط هؤلاء المالكين الصغار الغامضين . فان بيوتهم العجرية

البضاء يداخنها التي لا تحصي ، والبلفيدرات ، والراوح التي تحدد اتجاه الريح ، والأجنحة الملحقة بالبيت ومختلف المباني للضيوف الوافدين تبدو قصورا بالنسبة لما حولها من البيوت . هاذا ، يعوره ؟ المسارح ، حفلات الرقص ، الحديقة المشقة مضساة طوال الليل تكتللاً بالابوار والمسارح ، وتمتلي بهدي الموسيقى ، نصف سكان الولاية هنا في قشيب الثياب ، ينزهون في مرج تحت الاشجار وما من احد سيجد ما يثير استهجانه وخوفه ، في هذه الاضائة الباهرة ، حين يطلع من كثافة الاشجار ، وبشكل مسرحي ، غصصن مصاد بضوء اصطناعي ، وقد تحللت عنه خضرته الباطنة ، والسماء الليلية بي الاعلى اكثر قتامة ، وجلاء ، راحلر بمدة مرة ، والاشجار التي ترفرف اوراقها نسي الاعلى ، تتراجع اعلى فاعلى في الظلام الحالك ، معيرة عن اسمياتها من هذا الللاء المبهرج الذي يضيء جذورها في الاسفل .

وظل بلوشكين مطبقاً فاه دقائق عديدة بينما كان تشيتشيكوف مذعولاً من مظهره ومن كل شيء آخر في القرقة ، ولم يعد قادراً على البدء في الحديث ، بل رح يفكر في الكلمات المناسبة التي يفسر فيها الغاية من ويارته . كان يفكر فيما اذا كان من المناسب ان يقول به انه سمع الكثير عن كرمه ومزايه فرائ من واجبه ان يقوم بهذه الزيارة لتقديم واجبات الاحترام . لكن حتى تشيتشيكوف رأى ان في هذا القول من الصانفة ما لا يحتمل . بعد ان القى نظرة أخرى على رب البيت

وعلى الفرقة ، وبناء على ذلك بدل جملة هذه الى جملة اخرى يتحدث فيها عن اقتصاده وحسن ادارته . وبعد ان اعد الجملة في عقله قال له امه سمع الكثير عن مواهبه الحازمة في ادارة املاكه وفي تنظيمه لسير الامور فيها وراى من الواجب عليه ان يتعرف عليه وان يهنته بنفسه على ذلك . (ولا حاجة بي الى القول بان تشيتشيكوف كان يستطيع ان يجد سببا آخر اوجه من هذا الذي ذكر ، ولكن قريحته في تلك اللحظة لم تلد شيئا آخر)

فرد بلوشكين على ذلك من بين شفثيه لخلو فمه من الاسنان بتمتة لم يفهم المقصود منها بالضبط الا ان آخرها كان يترك الحرية للفيضان لكي ياغد تشيتشيكوف وتهاويه . على اية حال ، فان قواعد الضيافة الروسية لا تسمح حتى لتعيس يالس ان يخرتها ، ولذلك فان بلوشكين اضاف الى ما سبق دعوة ترحيب يطلب فيها من الضيف ان يجلس . وراح يقول «معد وقت طويل لم استقبل زائرا ما ، ولكني يجب ان اقول انني لا اشعر بفائدة من زيارتهم . فإذا ما بدأت عادة الزيارات التمتينة واحد الناس يترددون على بيت فان ادارة الاملاك ستؤول الى الدمار ويضطر صاحب الملك الى عتلف خيوله بالثنين وحده . منذ مدة طويلة - طويلة جدا تناولت وجبة طعام مع ان مطبخي في حالة لا يحسد عليها ، لان المدخنة أصبحت في وضع لذا احميت فيه زيادة عما تحتمل فانها سوف تشتعل كلها دفعة واحدة» .

فقال تشيتشيكوف في نفسه «يا اللوحش ! لقد كنت حسن الحظ فقد تناولت كتف الخروف وطيبات الاكل عند سوباكيفتش !»

واستمر بلوشكين يقول «وبالاضافة الى ذلك ، فاني اشعر بالجيل اذ اقول لك ان ليس في بيتي حصة واحدة من العلف . ولكن كيف يمكنني ان احصل على العلف ؟ فاراضي صغيرة والفلاحون كسالى يكرهون العمل ولا يفكرون الا في العالة . وستكون نهايتي بناء على ذلك ان اقضي بقية عمري صاوبا في اساء الارض لا أجد الماوى» .

فقال تشيتشيكوف «ولكنهم أحبروني انك تمتلك الف عبد أو يزيد» .

«ومن قال لك ذلك ؟ ليكن من كان ، ولكن كان عليك ان تقول له انه يكذب . لا شك انه كان مهرجا يريد ان يضحك منك . الف نفس ! احسب لنفسك اضرائب التي تدفع عنهم وما الذي يتبقى من وراء ذلك ! كانت الحصى الملعونة في السنوات الثلاث الاخيرة تقتل اثنائي بالجملة» .

فتسائل تشيتشيكوف باهتمام كبير «تقول بالجملة ؟»

فاجاب الرجل «اجل ، بالجملة» .

«اتسمح لي اذن ان اسالك عن الرقم الصحيح ؟»

«ثمانون بالتمام والكمال» .

«تحقيقا ؟»

«هذا هو الواقع» .

«هل لي ان اسألك ايضاً ما اذا كان عقلك هذا
منذ الاحياء الأخير؟»

«أجل منذ ذلك الاحياء ، لعنة الله عليه ! ومنذ
ذلك التاريخ والضرائب تستنزف دمي عن مائة وعشرين
نسفاً .»

«الحقيقة ؟ عن مائة وعشرين نفساً ؟» وبهذا
تشتيتشيكوف في حالة من الدهشة والرهو حتى ظل
بعد قوله هذا قائماً فاه .

«نعم يا سيدي . اننى طاعن في السن* فلا اكذب
عليك . فلقد تجاوزت السبعين هذا أهد وجيز» .

ههنا يكن من أمر ، فقد شمر المضيف بالامتعاض
للامام الفرحة التي بدت على تشتيتشيكوف . ولكن الأخير
تدارك الأمر بان أرسل تهنئة عتيقة وأخبره بأنه
يشعر بان كل عواطفه معه في مصائبه تلك .

«ولكن العواطف ليست شيئاً يوضع في الجيب يا
سيدي . انها لاتسمن ولا تقنى من جوع . لي قريب
مثلا وهو تقيب يقصر* مضجعي باستمرار بأمر كده» .
انه صابط في الجيش . لعنة الله عليه ، وليس له
عمل طوال يومه الا ان يساديني «ايها العم العزيز»
وينكب على يدى مقبلا ويتمرني بسيل من عواطفه
حتى اجدني مجبراً على الغلاق اذني . وجهه أحمر تماماً
وولعه بشرب الخمر شديد . اعتقد أنه يمزق أمواله
انما حسنته في الجيش وحين جنونه باحدى السمات .
ولا هم له الآن الا ان يقرعني بمواطفه الفياضة ا»
فسارع تشتيتشيكوف الى القول بان عواطفه تختلف

احتلالاً أساسياً عن عواطف الضابط ، فهو لا يكتفى
بكلمات طنانة وحسب ، وانما بالعمل الملموس . وهو
يستند - اثباتاً لما يقول ، وقطعاً للأحد والرد ، ووضعاً
للأمر في نصائها - ان يتحمل منذ اللحظة عبء دفع
الضرائب عن الاثنان المذكورين الذي وافاه الاجل المنكود
مقبلاً الى العالم الآخر . ولقد وقع هذا الاقتراح على
بلوشكين وقوع الصاعقة ، فغمر فاه محملاً بعيبه .
ولكنه تماثل نفسه بعد لاي وتساءل قائلاً ، «هل كان
سيدي العزيز صابلاً في الجيش في يوم من الايام ؟»
«لا ، ولكنني كنت في خدمة الحكومة» .

فيما بلوشكين يحرك شفطيه كما لو كان يعضغ
شيئاً ، ثم قال «أيه ؟ في خدمة الحكومة ؟ وهل تصني
ان تملأ الاقتراح الذي قلت ؟ أى هل أنت على استعداد
لتحمل المساءلة التي تترتب عليه ؟»
«نعم ، اذا كنت أعلم أنى يدك سادخل السرور الى
قلبك» .

وصاح بلوشكين بسرور : «آه يا سيدي العزيز ،
يا ولي نعمتي ! أى سلوى وصحتها في قلب شيخ
عجوز !» ولم ينتبه الى سقوط قطعة سموط من انفه
وكان السقوط يشبه حثالة القهوة ، وان مظهره قد
انرجح من القنعة عن ثياب داخلية لا تشر النظر . «أى»
سلوى وضعتها في قلب شيخ عجوز ! والله على ما
أقول شهيد !» وضطضت ضهنة لم يكن يستطيع ان يقول
فيها شيئاً . ولكن لم تكذب تمر دقيقة واحدة حتى احتفت
بجاءة من ملامحه العنسية تلك المشاعر الفياضة -

اختفت بالفجأة التي تجلّت بها . وعاد إلى وجهه تعبير
الصنى ، حتى أنه مسح وجهه بسنّده ثم لف السنديل
على شكل كرة وأخذ يروح به ويدفع على شفّته العليا
ثم قال «أرجو أن لا أزعجك إذ أطلب منك أن تميد
الاقتراح مرة أخرى . هل تعنى أنك على استعداد لدفع
الضريبة المستحقة على هذه الانفس . وإن تقوم بدفع
النقود لي أو للخزينة ؟»

«أجل ، هذا هو ما سأعمل . سنكتب عقد بيع كتب
لو كانت هذه النفوس ما تزال حية وقلت ببيعها لي» .
فانعم بلوشكين في أفكاره وراح يحرك شفّته
حركة المضغ ، وقال «أذن هكذا . عقد بيع . ولكن عملاً
كهذا سيجر نفقات ومصروفات معينة والمحامون لا
ضمير لهم ! وهم في الواقع شرمون جشعون ، كانوا
يطلبون من قبل نصلب دويل وكيساً من الطعين أما الآن
فمحولة عربة من الطعام إضافة إلى النقود ، يا لهم من حب
العصاة . من الغريب أن أحداً من الكهنة لم يلتفت إلى
ظلم هذا النظام . مرتعلة على الأقل ، إذ لا يمكن الوقوف
ضد كذبة الرب مهما يكن من شيء» .

فكر تشيتشيكوف مع نفسه «أنتك ستقف ضدها» .
عندئذ بين له تشيتشيكوف أنه نظراً للاحترام الشديد
الذي يكنه للمضيف سيقوم بتحمل نفقات البيع
بنفسه .

وهذا ما أدى بلوشكين أن يعتبره غيباً لا ضمير له
يدعى أنه كان في حمة الحكومة لكنه في الحقيقة كان
صابطاً في العيش يجرى وراء المصلات ، وبناء على ذلك

لم يعد هناك داع لأغفاء سروره بل راح يصعب دعوات
الرحمة على تشيتشيكوف وعلى أبنائه (ولم يكن قد
سال تشيتشيكوف فيما إذا كان متزوجاً وله أبناء) .
ومن ثم أسرع إلى النافذة وقرع على لوح رجاها وهو
يأدى «بروشكا !» وسمع صوت اقدام تركض في القاعة
وهي تحيط الأرض حيطاً ودخل شخص إلى الغرفة . وكان
انداسل بروشكا - رفيق في الثالثة عشرة من العمر غاطس
في حذاء واسع الابعاد يكاد يبتلع ساقيه حتى الركبة
إذا ما دلك مائياً فيه . وسبب دخوله في هذا الحذاء
هو أن بلوشكين كان قد خصص حذاء واحداً لجميع
الخدم . كان هذا الحذاء المالي راسماً دائماً فسي
القاعة ، فإذا ما استدعى خادم إلى المنزل كان عليه أن
يتهدى في طين الساحة حافي القدمين وينتعله ، حتى
إذا قام بمهمته التي طلب إليها ، خلعه ووضع مهي
موصمه المعروف وخرج إلى الساحة على طبيعته العافية
السابقة . ولو اتبع لالسان في يوم حارفي أن يلتقي
نظرة على الساحة ورأى خدم بلوشكين وهم يسبرون
فيها لعرف أنهم يقومون برقصات ترحلية رائعة لا يكاد
يجادهم فيها الراقصون المحترفون .

وقال بلوشكين لتشيتشيكوف وهو يشير إلى بروشكا
«انظر إلى وجه هذا الضال ! إن أغية الكناية من الضياء .
إنما ضع شيئاً من الأشياء على ناحية فستجده قد سرقه
في لمح البصر . أله أيها الشاب ، ماذا تريد ؟»
وصمت لحظة أو لحظتين ولكن بروشكا لم يحسر
جواباً .

الطمانية الى قلب بلوشكين عن نية خطفه فأخرج
معاتيه واقترب من حراى وفتح بابيه واخذ يفتش بين
ما فيه من كؤوس واكواب ثم قال :

«لا اظن اننى ساجدها الآن . لكن كانت لدى رجاجة
مشروب حارة . ربما شربها العدم ، فهم لصوم
اصيلون . لا ، وبها كانت هذا !»

فرع تشيتشيكوف بصره ورأى بلوشكين يسحب
دورقا مغطى بالغبار .

واستمر الشيخ المجوز يقول «كأت زوجتى المرحومة
هى التى صنعت المشروب . لكن هذه العاراة السافلية
رمت قسما معه . حتى دون ان ترجع غطاء الدورق الى
موصعه . فدخل فيه بسبب ذلك بعض البق والحشرات
الكريهة الاخرى . ولكنى نظعتة . وادجوك ان تناول
معه كاسا» .

كأت فكرة الشرب من انا . كهذا اكبر من ان يقبلها
تشيتشيكوف فاعتذر بحجة انه صائم عن تناول الفداء .
فقال بلوشكين «ادن عات الآن صائم عن الصاء ؟
هكذا يتكشف للأسنان ان هى الصائم رجلا محترمين . ان
الشخص المحترم لا يأكل شيئا اطلاقا ويقول دائما بابه
سبق وأكل . واسلوبه يختلف اختلافا واضحا عمن
اماليب الابدال الذين مهما اطعمتهم لا يكتفون .
والصابط مثلا . لا يرال يرجوني ان اطعمه . يقول «يا
عمى ، اعطني شيئا آكله» وتسميته لى عمى لا تختلف
عن تسميتى له جدى . وكما هو الواقع ، لا يكون نسي
بيته لقمة من شي . فيزور البيوت الاخرى . ولكن كنت

واستمر الرجل المجوز يقول «هيا ! هيا جهش
السماور . ثم اعط ماقرأ مفتاح غرفة الحزن . اليك
هو . وقل لها ان تحضر شيئا من الكمك الذى جلبته
الكساندا ستيتياتوفنا مع الشاي . ما بك ايها المحزون .
انتظر لحظة اخرى . هل يندفع الشيطان قديمك منى
تريد ان تفر ؟ هاربا ؟ استمع الى ما ساقوله اليك . قل
لماقرأ ان اطراف الكمك قد اصابها بعض التلص ، وعليها
ان تنزع القسم التالى بقشره بالسكين . وقل لها ان
لا ترمي القشر بل تضعه للدجاج . ويجب ان تفهم انك
لى تدخل الغرفة والا ضربتك ضربا لا تسماء . جرب ان
تدخلها . وسترى ما الذى سيحدث لك . سوف اراقبك
من هذه النافذة . واضاف موجهبا كلامه الى
تشيتشيكوف «ان المرء لا يستطيع ان يامن الى هذه
الاشكال» .

وما كاد الهذاء وبروشكا يبادران الغرفة حتى اخذ
بلوشكين يهدق مى ضيمه تحديق المستريب . كان
كرم تشيتشيكوف غريبا يدعو للتساؤل . واحد يقول
لنفسه «ومن يكون الرجل بعد ذلك كله . لعله لى
من اللصوص . يمتيك بالامال الجسام لكي تضم عليه
بقدح من الشاي» وانتهى بعد مباحاته هذه لنفسه بان
قال لتشيتشيكوف بانه يفصل ان تجرى عملية يمسح
الافس حالا . فلا يجب ان يثق الانسان كثيرا بالآخرين .
ولا يدري من يعيش اليوم ان كان غدا سيموت .

فوافق تشيتشيكوف على هذا الراى بملء لحيته . انما
طلب اولاً تزويده بلانصة الاسماء . وهذا ما اعاد

تسألني عن لائحة الانفس النافية ، كان لدى لائحة
واحدة اعددتها للاصحاء القادمين .

ومن ثم وضع بلوشكين نظارته على عينيه وراح
ينثر الأوراق في الحزان والغبار يتطاير اثناء جمع
الأوراق مع بعضها حتى ان ضيفه انجر عاطساً .
وانزع آخر الامر ورقة كتب عليها اسماء الملاحين
الموتى يغط صغير مشهور فوق بعضه حبراً كأنه غصاة
من بخرى ! فقد كان فيها مائة وعشرون اسماً . فهمهم
تشيبيكوف فرحاً لرؤية هذه المجموعة . ثم دس
الورقة في جيبه قائلاً ان اتمام الصيغة يستوجب
النهاب الى المدينة .

فقال بلوشكين «الى المدينة ؟ ولماذا ؟ وكيف
استطيع ان اترك المنزل ما دام خدمي مساكين لص
ووغد ؟ انهم يسرقون كل يوم شيئاً ، ولن يعضي طويل
وقت حتى لا اجد معطفاً اضمه على كتفي» .

«فهل لك ان ماعرف في المدينة ؟»

«معارف ؟ لا . فكل الذين اعرفهم اما تركوني او
ماتوا . لكن ، انتظر لحظة . اني اعرف رئيس المجلس
الصالح . حتى غي شيخونغتي جاء مرة او مرتين
يزورني . فقد كنت وياه زميلين في المدرسة وكنا
نتسلق الجدران معاً . اجل ، إياه اعرف . هل اكتب له
كتاباً ؟»

«بلا ريب» .

«نعم ، إياه اعرف معرفة جيدة ، فقد كنا اصدقاء في
المدرسة» .

واشرق من ملامح بلوشكين الشخصية شعاع مسن
الدفء -- شعاع ان لم يكن يصبر عن شعور فهو على الاقل
صورة شاحبة لذلك المشهور . ظاهرة كهذه يمكن ان
يراهها المرء في لحظة خاطئة عندما يرى الغريق يبرز على
صعدة ماء النهر فعاة . وتصدر من جناجر الجماهير
المستعطفة على التائهين صيحة الامل واجبة ان تمتد يدا
المرق اللتان احدهما الاعياء وتلتقطان الحبل الذي
رموا به اليه -- تلتقطانه قبل ان يعود السكون الازل
المرعب الى سطح المادة الجارية . ولكن الامل يعيد
لحظة حافظة واليدان تفتنمان . ويصمت كل شيء . وبعد
ذلك يصير اسطح الهادي ارحب وأكثر إقفاً . مثل
هذا لاح في وجه بلوشكين ، فبعد ان اشرقت على وجهه
برازر الاحساس هنية احتمت سريعاً وعاد الى وضاعته
وتبغته اكثر من ذي قبل .

واخذ يقول «لقد كان على المتفردة ورقة نظيمة
للكتاب ، ولكن اين راحت ؟ لست ادري . كل هذا من
العدم ، فيا لهم من اوغاد !»

وبهذا اخذ يبيت تحت المتفردة ويصبح «مافرا»
«مفرا !» ولبت النداء بسد برجة امراء تحمل بين يديها
طبقاً من الحلوى التي سبق ذكرها . وبدأ عندئذ الحوار
التالي :

«ما الذي عملته بورقة الكتابة التي كانت هنا ، ايتها
المارقة ؟»

«اقسم انني لم ار الورق هنا الا القطعة التي كنت
تفعل الدورق بها» .

«ان وجهك يسقط يانك أنت التي أخذتها» .
 «ولماذا أخذها ؟ أنها ليست بذات فائدة بي . فأسأ
 لا أعرف القراءة ولا الكتابة» .

«إليك لتكذبين ! لقد أخذتها الى القنصلت ليعبث
 بها» .

«إذا أراد القنصلت ورقاً ففي إمكانه الحصول عليه
 بنفسه . ولكن ورقتك لم تقع عليها عيناى ولا عيسا
 القنصلت» .

«ان الله يهمل ولا يهمل . ولسوف يشويك الشياطين
 يوم الحساب على سفاتيذ من حديد . هذا هو مصيرك» .
 «ولكن لماذا يشوونى وأنا لم المس ورقتك ؟ فمسد
 اتهم بنقيصة نسائية أخرى أكثر مما اتهم بالسرقه» .

«ان الشياطين سيشوونك بلا ريب . وسيقولون لك
 «يا عبور السوء . لماذا كنت تسرقين سيديك ؟
 ويبنون النار اواراً» .

«ولكننى مع ذلك سأظل أقول لهم «حرام مما
 تصنون» . فانا لم اسرق في حياتي شيئاً» ولكن . . ع
 هي هناك على المنضدة ! لقد كنت تتهمنى ظلمساً
 وعدواناً ! والواقع أن الورقة كانت ملقاة أمام عيني
 بلوشكين . فأنخذ يوضغ شفتيه في هدوء . ثم قال :

«ولماذا تفتعلين هذه الضجة ؟ إذا قال لك المرء كلمة
 واحدة أجبتك بعشر . أهيبى وأحضري شجرة أختم بها
 كتاباً . واحترس أن تحضري التهمة المصنوعة من
 الشحم» وأحضري عليه ثقابة» .

وليتما انصرفتا مامراً جلس بلوشكين وأخذ ريشة

وراح يقلب الورقة على وجهها اسرة تلو الاخرى كما
 لو كان يفكر في ان يقطع منها جزءاً . ورأى آخر الامر
 ان من المستحيل أن يفعل ذلك . فغمس الريشة في
 المريح المكون من الحر والذباب الذي تحتويها
 انجيرة . واحد يكتب بحروف ظهيرة جداً كالماء الرمور
 الموسيقية . بينما كان بين الآونة والاخرى ينظر الى
 سريره يده لثلا سدفع فتأخذ الكثير من الورقة» .
 ويرحب من سطر الى سطر زحفاً فمسح انادم على ترك
 بعض الفراغ في الصفحة .

ولكن الى هذا لدرك من التفاهة والحقارة والوصاعة
 يمكن أن ينحط الانسان ويتغير بهذا القدر ! وهل لذلك
 شبه بما يجري في الحقيقة ؟ نعم . إنه كذلك . كل
 شيء يمكن أن يحصل للانسان إن شاباً ملتصقاً مس
 شباب اليوم سيتراجع رعباً لو أن أحداً عرض له
 صوره . وهو في شيفوخته . غدواً معكم اذن . حين
 تستفلون من أعوام الصبا الناعمة . الى الرجولة
 المتفسيصة الصارمة . غدواً في رحلتكم هذه كل المشاعر
 الانسانية ولا تتركوها في عرض الطريق . فانكم لن
 تسترجعوها بعد هذا ! فان الشيفوخة الزهية المريضة
 التي تهددكم في المستقبل لن تعيد لكم شيئاً أخذته !
 والقبر لاي قلباً عنها ! هم يكتبون عليه «ما يرقى
 انسان» ولكن لا شيء يمكن أن يقرأ في الملايح الباردة
 الخالية من العاطفة لتيفوخة غير انسانية .

ولما انتهى منها طواها . وسال قائلاً «هل تعرف أحداً
 بحاجة الى عبيد آبقين ؟»

فشيخ تشيتشيكوف بهتمام كبير وقال «ماذا ؟
عبدك عميد آيقون ايضا ؟»

«بلا شك» . وقد ذهب صهري وقدم الشكوى صدهم
الى الدوائر المختصة ، ولكنه يقول بان ملاحظتهم
اصبحت غائرة . على اية حال فهو رجل عسكري ايضا
ولا يصلح الا لركوب الخيل ، ولا تقع منه في تقديم
قضية الى محكمة .

«وكم عمداً هارياً لديك ؟»

«قراءة السمين» .

«الصحيح ؟» .

«بعم بكل اسف . لا تمر سنة واحدة دون ان يفر
عدد منهم . وهم مع ذلك جشعون كسالى ، لا عمل لهم
الا الاكل وتكاد تنحصر بنونهم منه ، بينما ان بعضي
لا اكاد اجد شيئاً يقيم الاود . ساقبل اي سرور
على لقاءهم . احب اصدقاءك ومعارفك عنهم فاداموا
وجدت بعضهم يستلقي تمويضاً حسداً ، لان ثمن العبد
الذي في لائحة الاحياء في هذه الايام يبيع خمسمائة
روبل» .

فقال تشيتشيكوف في نفسه «ربما كان ذلك ولكنني
لن ادع شخصاً يدس في هذا الشأن اصبعه» وقال
لبلوشكين بان اصدقاء ومعارف من هذا النوع لا وجود
لهم ، والمصاريف القانونية التي تتطلبها هذه العملية
سوف تسلمه يبيع مطلقه نيل ان يتخلص من الحامض .
واضاف تشيتشيكوف يقول «ومع ذلك ، وبما انك
في حاجة شديدة الى النقود ، وبما انني شديد لاهتمام

بصحتك ، فاسي اشعر بدافع يدعوني الى ان ادفع
بك ثمناً ومرياً تافهاً لا يستحق الذكر» .

وراحت يد بلوشكين ترتعشان كقطرة الزئبق ، وقال
مواقعاً «وكم سيكون ؟»

«سنة وعشرون كوبيكاً لكل نفس» .

«ماذا ؟ وهل ستدفعها فوراً ؟»

«بعم ، فوراً» .

«ومع ذلك ، ارجوك ان تنظر الى فقرى الذي انسا
فيه وتعملها اربعين» .

«سيدي انتحرم لو كان في استطاعتي ان ادفع لك
لا اربعين كوبيكاً بل خمسمائة روبل لعلعت ، ولدلفت
هذه القبية بكل سرور . فقد عرفت انك شيخ معوز
محترم يعاني الكثير بسبب قلبه الطيب» .

فرفع بلوشكين رأسه وحركه يبط من جهة الى
اخرى وقال «اي واليه ، هذا هو الصحيح ، هذا هو
الصحيح . وكل ما عملت في حياتي كان صادراً عن رقة
القلب» .

«ها انت ترى كيف عرفت طبيعتك حالاً ؛ فيجب ان
يكون واضحاً لديك الآن لماذا لا اقدر ان ادفع لك
خمسمائة روبل للرأس الهارب . ولا بد انك قد أدركت
الآن انى لست على قدر كبير من الضنى . ومع ذلك كله
فانا على استعداد لزيادة حصة كوبيكات ، بحيث
يكتفى كل عبد آيق في آخر الامر ثلاثين كوبيكاً» .
«كما تشاء يا سيدي . لكن مطلقاً قليلاً وزد كوبيكين
اخرين» .

«تفضل . قلت كم عبداً لديك ؟ سبعون ؟»

«لا ، ثمانية وسبعون» .

«ثمانية وسبعون . كل واحد سيكلف ثلاثين كوبيكا . فيصبح المجموع» - ووقف بطلنا لحظة قصيرة فقط لأنه كان قوياً في الرياضيات ، ثم قال «فيصبح المجموع أربعة وعشرين روبلاً وستة وتسعين كوبيكا» .

ثم طُلب من بلوشكين أن يكتب له وصلاً وسلمه النقود . فتسلّطها بلوشكين بكلتا يديه . وحملها إلى الخزان قريب بجذو شديد جداً كما لو كان يحمل يمين يديه سائلاً يخشى كل لحظة أن تترسّش في وجهه ووصل إلى الخزان ونظر حوله مرة أخرى ، وحسب النقود في أحد الأكياس الخاصة بذلك ، حيث قدر لها بسلاً شك أن تظل مدفونة هناك إلى أن تأتي الساعة التي يقوم بها الأب كارب والأب بوليكارب (الكاهنان المولكان بالقرية) بعملية دمه وسط نشوة السرور الكبرى التي تحتاج لبنته وصهره (وريا «إيسن أخيه» الضابط أيضاً) . وبعد أن قام بلوشكين بمهمة إخلاء النقود ، وجع وجلس على كرسي ذي مسند مرة أخرى وبدأ في حيرة من أمره لا يجد موضوعاً جديداً لحديث . وراى

« ومع ذلك فقد أخطأ تشيتشيكوف الحساب . فالمبلغ الحقيقي هو ثلاثة وعشرون روبلاً وأربعون كوبيكا . وعلى هذا يكون تشيتشيكوف قد غشّ نفسه بروبيل وستة وخمسين كوبيكا . المترجم .

تشيتشيكوف يتحرك حركة بسيطة في موضعه ، ومع أنها كانت مجرد اخراج منديل من جيبه إلا أنه قال «هل توى الذهاب ؟» وكان سؤاله هذا كافياً لتذكير تشيتشيكوف بأن لم يعد هناك مهربو للتباطؤ .

ناخذه قبحته وقال «نعم . عليّ أن أذهب»

«والشاي ؟»

«شكراً ، سأتناول شيئاً منه في زيارتي القادمة» . «ماذا ؟ مع أنني قد طُلت اعداد السماور ؟ أنسا نفسي لا اهتم كثيراً بالشاي . واعتقد أنه مشروب عال . وزيادة على ذلك فإن سعر السكر قد ارتفع هذه الأيام ارتقاءً فاحشاً» . ثم نادى بصوت عال «بروشكا ، لا حاجة بنا إلى السماور ، أرجع السكر إلى عارفا وقل لها أن ترحمه إلى موضعه مرة أخرى . لكن ، لا . هات السكر هنا وساعده بنفسه إلى موضعه» . ثم وجّه الخطاب إلى تشيتشيكوف يقول «وداعاً يا سيميدى العزيز ، ولباركك الرب» . (عط الكتاب إلى رئيس المحسن المحلي ، ودعه يقرأه . فهو صديق قديم ، عرفنا بعضنا منذ أيام المدرسة» .

وبعد القول ، سارت هذه الظاهرة الغريبة ، سار هذا الشيخ العجوز الذابل لمرافقة صيفه إلى رتاج الساحة . وبعد أن انصرف الصيف أمر بأقفال الرتاج ودار دورة حول البناية ليؤكد من أن الحرس المديدين في مراكزهم الموجودين في كل زاوية يضربون بالعصى البراميل المازغة بدلاً من قطع الحديد وأطل برؤسه في المطبخ (ودخله متظاهراً بالأشراف على طعام الحدم

ليكون كافيا ولكنه بهذه الحجة عمل لنفسه عشاء غنيا
من حساء الكرب والتريد) وراح يشتم الغدوم بلسان
الذئب شتما قاسيا لسرقاتهم وسوء سلوكهم ، ثم عاد
الى غرفته . وجلس في وحدانيته يفكر في كرم ضيفه
الذي لا حد له ، وكيف يمكن أن يجريه على ذلك وقال
في فكره «سوف اهديه ساعة فضبة جيدة الصنع ،
وليست كالساعات الاخرى المصنوعة من المعادن
الرخيصة . ومع أن فيها بعض العطب الا انه يستطيع
اصلاحها بسهولة . والسحاب بحاجة دائما الى ساعات
يرزونها لتطبيقاتهم» . وبعد تفكير اعمق مما سبق قال
لنفسه «لا ، سوف اترك له الساعة في وصيتي
كذكرى» .

اما مطلقا فقد كان اثناء ذلك يدرج على الطريق
بمجنويات عالية . كانت غنيمته من الانص الميته ومن
العبيد الاقبين كهدية مرسلة من السماء وكلها بالجموع
لا تزيد عن مائتي نفس الا قليلا . وحتى قبل أن يصل
الى قرية بلوشكيين كان يتوقع أن يكون موفقا فسي
مهمته ، ولكن لم يكن يتوقع التوفيق الذي حصل عليه
في الواقع . وما إن تقدمت العربية قليلا في سيرها حتى
أخذ يصغر ، ثم وضع يده على قمصه على شكل يوق
وانطلق يفتي اغنية تسترعي الانتباه ، حتى أن
سميليان بعد أن استمع اليها برهة من الزم طاطسا
راسه وقال «يا آلهي ! سميتي يعيد لغما» .

وفي الوقت الذي وصل فيه الركب الى المدينة كان
الظلام قد ارخى سدوله وتغيرت طبيعة المناظر التي

كانت تمر امام العين . كان الحاجز المسطوط قد تقدم
لونه المحدد : شاربا الجدي الذي في الحراسة لاحا
وكاهما على جبينه واعلى بكثير من عينيه ، اما انفه
فدا وكانه غير مرهود الية . وكانت القرمة والنطاط
توحى بان العربية كانت تمير على درب مرصوف ،
مصباح الشوارع لم توقد بعد ، ونوافذ البيوت وحدها
كانت تار هنا وهناك بينما كانت الأزقة والشوارع
الخلقية سرحا لمشاهد واحديث لا تختلف عما يجري في
مثل هذا الوقت ، في كل المدن التي يوجد فيها السديد
من الجنود ، والحوذية ، والشغيلة ، والاصناف المعينة
من المخلوقات على شكل صيدان في لغاعات حمر ،
واحذية بلا جوارب ، يمرقن كالخفافيش في مغارق
الطرق . لم يلحظهم تشيتشيكوف ، بل ولم يلحظ مثل
هذه الكثرة من الموظفين ذوي الصوات الذين كانوا ،
على الأرجح ، يشبهون وراء المدينة ، وهم الآن فسي
طريفهم الى بيوتهم . ومن حين الى آخر كان يصل الى
سمعه هتافات بأصوات نسائية ، كما يبدو : «هذا
انسكير ، يكذب ، وأنا لم اسمح له قط أن يرتكب مثل
هذه المظاهرة» او «لا تصرني . يا جلف . تعال الى
القسم بشرف ، وهناك سأعرف كيف اثبت لك !»
وناختصار إنها نفس الكلمات التي تسمع شايأ حالما في
العشرين من العمر عائدا من مسرح ، يتخيل شاعرا
في اسبانيا ، ليلا ، وامرأة رائعة ذات خصلات تحمل
قيثارها . وما اكثر ما يتخيل هذا الشاب ، وهو محلق
في السماوات ، عائدا من زيارة لشيلبر ، وادا بمثل

دخل تشيتشيكوف الى العرفة وضع يديه على نقه وسأل
 تاجمه لماذا لم يفتح النوافذ قط . اجابه بتروشكا
 «ولكى وتحتها بالعمى» . ومع ذلك فقد كانت هذه
 كدبة . كما كان تشيتشيكوف يقدر . الا انه لم يفتح
 باب العدل لان تصه كان شديداً . وبعد ان طلب عشاء
 حقيقاً من نجم الخريز الرصيع واكله . نصبا ثيابه .
 وانسى في الفراش وغرق في نوم عميق لا يتمتع به
 الا المحظوظون الذين لا يقلقهم الياسور ولا البرغيث
 ولا عمل الفكر الشديد .

الفصل السابع

سمعيد ذلك المسار الذي يرى . بعد سفر طويل
 مضى ببرودته وجولته وحشيه . ومدراء محطات
 تبديل الخيول الباعسين وجدجلة ابراسه . وتصلبجات
 عريته . وتبادل الثمنانم . والعودية . والعدايسن
 واوغاد الطريق على مختلف انواعهم . يرى احيراً السطح
 الذي يعرقه . والاضواء القليلة عليه . وتظهر امامه
 البحرات المالوفة له . والصيحة الفرحة لراكصين الى
 لقاله . وصحيح وتراكس الاولاد . والكلمات الغامضة
 المهدلة التي تتخذها القلات الحارة القادرة على محو
 كل ما هو ممص من ذاكرته . سمعيد رب العائلة الذي
 له مثل هذا الماوي . ولكن الويل للأعزب !

سمعيد ذلك الكاتب الذي يتعرف . دون الالتزام
 بالخصيات المضجرة المنفرة التي يصنعنا واقمها

هذه الكلمات المنحوسة تصدر فوق راسه . فيجد
 نفسه وقد عاد الى ارض الواقع . وحتى الى ساحة
 مدينته . بل وقريباً من حانة . والحياة ترى امامه من
 جديد في ثيابها الاعتيادية .

بدأت العربة تتراقص على بلاط الطريق الحجري .
 ثم اسطفت بعد لاي ودخلت ساحة النزول . حيث كان
 بتروشكا في الاستقبال . وقد ساعد سيده على النزول
 من العربة وهو يضم طرعى محطفه باحدى يديه (نقد
 كان بكره ان يرى طرقي المعطف متباعدين) . وهرول
 خادم النزول وهو يعمل في يده مصباحاً ويضج على كتفه
 قوطة . ومى المستحيل ان تقول فيما اذا كان بتروشكا
 مسروراً بعودة سيده . او غير مسرور لكنه على أية حال
 تبادل غمرة عين مع سيليفان واشرق مؤقتاً مظهره
 الكليب المألوف .

وقال خادم النزول وهو يضيء السلم «اذن كنت في
 سفر بعيد يا سيدي» .

«نعم . وهل حدث شيء في هذه الآونة ؟»
 فاجاب الخادم متحمساً «لا شيء يا سيدي . انما وصل
 الليلة السابقة صابط ملازم ونزل في العرفة رقم ستة
 عشرة» .

«ملازم ؟»

«نعم . جاء من رياران . بعبارة ذات ثلاثة خيول لونها
 كميث» .

وقال تشيتشيكوف لخادم النزول :

«حسنًا . تصرف كذلك في المستقبل» . وعندما

المؤسسي ، على شخصيات تعكس كرامة الانسان الرقيقة
ويختار من المواقف العظيمة للشخصيات المتتابعة امامه
كل يوم بعض الاستثناءات ، دون أن يحل ، ولو مرة
واحدة ، بالنسق السامي لقيثارته ، ولا ينزل من
عليائه إلى اخوانه في القلم الياسمين التافهين ،
ويغمس ، دون أن يمس الأرض ، في صورة المثقاة
المرتفعة عنها كثيراً . إن قمره الرائع هذا محسود
حسداً مصاعفاً . فهو بينهم كأنما بين أهله ، بينما
مجدد يطوف في الآفاق عالي الصدى . فقد غلغس عينيه
الاساتيتين بيشور تشوان ، وتآلق بهما بأعجاز ،
مغلطاً عن ما هو محزن في الحياة مظهرأ بهما الانسان
ارائع . كل المسجدين يلاحقونه ويدعمون وراء عربته
المتصرة ، وينعتونه بالشاعر العالمي الكبير ، المحنق
عالياً فوق جميع عبقارة العالم الآخرين ، تخلق انسر
فوق جميع الطيور المحلقة الأخرى . إن مجرد ذكر اسمه
بيت العرشة في القلوب المشبوبة الفتية ، ويدد دعوى
الاستجابة من كل العيون . . . نه منقطع النظر في
قوته . إنه آله ! إلا أن ثمة قدراً محتلفاً ، ومصيراً آخر
للكتاب الذي تجرأ على أن يكشف كل ما يظهر في كل
لحظة أمام الأبصار ، ولا تراه العيون اللابابية ، كل
الظفح المريع المنحل للصغار التي تحيط بحياتها ، كل
عمق الشخصيات الباردة المهتمة التي تراها كل يوم ،
والتي يحمل به طريقها الديني ، المرير المضجر في
أغلب الاحيان . الكاتب ادنى أقدم بها لإرميله الذي لا
يهادن من قوة صلبه على أن يظهر هذه الشخصيات

بارزة صاطحة أمام انظار الشعب كله ، إنه محروم من
كسب اطرائات الناس رؤوية دموع الامتنان ، والبهجة
الشاملة تم نفوسهم التي أثرت فيها . ولي تندفع نحوه
فتاد في السادسة عشرة دَوَاة الرأس ، بطوليه
احساس ، ولن يقب في السحر الحلو للاحوات التي
حركها ، كما لن يتخلص أخيراً ، من محاكاة معاصريه ،
محاكاة معاصريه النفاقية الحالية من التعاطف ، والتي
تسمع مخفوقاته المدللة من عينه بالتفاهة والوضاعة ،
وتعرد له ركناً محتقراً في صف الكتاب الديسي يهيون
الانسانية ، وتخلع عليها صفات الأساطال التي صورها ،
وتنزع منه القلب والروح ونهب الموهبة الالهية . لأن
محكمة معاصريه لا تعترف بأن الرجاج الذي تقرأ من
حلاله الشموس عجيب بقدر ما هو عجيب الزجاج الذي
ترى من خلاله حركات حشرات مجهرية ؛ لأن محكمة
معاصريه لا تعترف بأن تصوير الحياة الوضيعة وتحويله
إلى لؤلؤة ابداع يحتاج إلى عمق الشعور ودخيلة النفس ؛
لأن محكمة معاصريه لا تعترف بأن الضحك البهيج الرقيق
جدير بأن يقف على صعيد واحد مع العاطفة الشاعرية
الرميمة ، وأن هناك حوة شاسعة بين جد الضحك
والضحك التهريجي الرخيص ! إن محكمة معاصريه لا
تعترف بذلك ، وتحول كل شيء إلى تقريع وهزء بالكتاب
غير المعترف به ، وسينقي وحده على قارعة الطريق بلا
مشاركة ، ولا استجابة ، ولا تعاطف ، كالمصطوبك
المشرد . إن مهنته لشاقة ووحدهم سريرة .
ولزم طويل آخر كتبت على "سلطة عجيبة أن أسير

يداً بيد مع ابطالي الثريين . وان استعرض الحيسة
الصدعة بكل جسماتها ، ان استعرضها خلال الضحك
المرئي للعالم . والدموع غير المنظورة وغير المرئية
لهذا العالم . وما يزال بعيداً ذلك الرمن الذي سترنعم
فيه روية الإلهام المريضة بدفق آخر من رأس محاط
بالألق والزعب المقدس ويشعر الناس بالهدير الجليل
للكلمات الأخرى ، وهم في رعدة الارتباك .

فالى السفر ! الى السر ! وسحقاً للمصون التي حثرت
جباها ، وللظل الحهم المرتمي على الوجه ! وللتصمر في
الحياة ، فجأة ودعفة واحدة بكل قرععتها المكتومة ودين
أجراسها ولتر ما سيفعله تشيتشيكوف .

لما استيقظ تشيتشيكوف تمطى فاستيقظ انه نام
توماً هنيئاً . واصطليح على ظهره لحظة او لحظتين ومن
ثم صفق يديه فجأة اد تكرر انه أصبح الآن ماركاً
لحواري ارمسانة نفس . وقفز حالا من الفراش ولم يذهب
الى المرأة ليرى نفسه فيها ، اى انه خرق القاعدة الس
لم يكن في غير هذا اليوم يمدّ اليها يد العنت . فقد
كان دائماً شديد الاهتمام بقسمات وجهه ، وخاصة
بالدق التي كان يريد تمامها بها اذا ما كان في جمع
من الاصحاب ؛ واكثر من ذلك اذا ما دخل عليه شخص
وهو مشغول بملاقته . كانت الجملة التي يستعملها في
هذه المناسبة هي ان يقول «انظر» ما أشد استدارة
ذقني !» اما في الحالة الزاهنة ، على أية حال ، فلم ينظر
الى ذقنه ولا الى أية قسمة أخرى ، اما انتم لنفسي
المطرز بالزهور والمصنوع من الجلد المراكشي

والعض في ذلك لحب الروس حياة الراحة وقضاء معظم
الوقت في الملابس البيتية فقد أصبحت مدينة نورجوك
تقوم بصناعة ضخمة من هذه النعال . وارتدى قميصاً
قصيراً لا غير على سبط الاسكتلنديين وفسي كبير سنه
وكبرياءه وقفر قفرتين ماسكاً ظهوره بكفيه . ولم يبدأ
بعمه الا بعد ان أجرى كل ذلك . ومن ثم غرس
نفسه امام صندوق المراسلات ورك يديه بمصمهما
لبعض دلالة على لرعى العميق ، كما يفعل القاصي
الريفي الذي لا شائبة تشوب سمعته حينما يؤجل
جلسة المحكمة اذ يحل موعد العدا . ومن ثم اشزع من
الصندوق زرمة في الورق . وقدر ان لا يودع أوراقه
هذه الى محام بقية الاسراع في الامور وانتوير في
البقت وراح بنفسه يرتب ويسخ كل المعلومات
الضرورية في صفحات كهذه . ولما كانت لديه الخبرة
الكافية في هذا الشأن فقد أخذ يكتب التاريخ بحروف
كبيرة ، ثم اسمه ورثته بحروف أصغر . وفي الساعة
الثانية كان كل شيء ناجراً . وما إن نظر الى الاسماء التي
تدل على فلاحين غابرين كانوا قد حثروا وانتشلوا
اشمالاً حربية متزعزعة وخدعوا اسياذهم وجذبوا وحسوا
وسكروا (مع ان بعضهم قد يكون سلك سلوكاً حسناً)
حتى طمى عليه احساس غريب لا تفسير له . وبدأ
لعينه ان كل قائمة من قوائم الاسماء هذه ذات طابع
خاص بها . حتى لفاحون فيها كأفراد ، كانوا يبدون
وكأنهم اتسموا بصفات خاصة بهم . فان مدام
كوردووتشكا مثلا ، كانت تدق باسماء معظم اطفالها

القبأ واضافات اخرى . وكانت قائمة بلوشكين تسمى
باندو في الايضاح بحيث ان بعض الاقنان لا يستدل
عليها الا بالاسم الاول والنقشب وتقتبين وراهما .
وكانت قائمة سوباكيميتش مدهشة في اتساعها ووقه
تفاسيلها . بحيث لم تترك ميزة خاصة لى قلاح دون ان
تذكرها : كان تقول عن القلاح القعيد انه كان «رائعا»
في فن التخسيس» او «رزين» وشديد الانتباه الى عمله .
وهي قائمة سوباكيميتش ايضا سجلت ملاحظات عن والد
الميت ووالدته وكيف كان سلوكهما . فن واحد فقط
يعنى فيودتوف سجل بالقرب منه ما يسمى «الاب
مجهول ، الأم الحادم كابيتولينا . الاخلاق والامانة
جيدتان» . هذه التفاصيل القت على الوثيقة روحا من
الجدة تشعير بان الفلاحين المذكورين كانوا احياء الى
الاسس فقط . واد تفحص تفتيشيكوف القائمة طغت على
روحها موجة ناعمة من الخنان فتنبه وقال :

«ايه ايها الاصغاء ! اى جمع مكم هنا ! وكيف
قضيتم حياتكم يا اخواني . وكيف غادرتم هذا العالم ؟»
واذا كان يتكلم وقمت عيناه على اسم معين - هو بيتر
ساكيليف غير المحترم للبلست ، الذى كان في يوم
من الايام ملكا لهدام كوروبوتسكا . فلم يتمالك ان
يصيح متعجبا :

«اى سلسلة من الالقاب هذا ! انها تعزل سطرأ
كاملا ! بيتر ساكيليف ، اتي لأعجب منك ان كنت
حرى أو فلاحا عاديا . واني لأعجب ايضا كيف بقيت
متمك . في حانة أم عندما ذهبت لسمام في قارعة

الطريق فداستك قافلة من عربات الشحن . واني لارى
ايضا اسم برويكا ستيبان ، فجار ، وقور جدا . يجب
ان يكون هذا هو البطل الذى يتعشى العرس ان يغم
فيه . اسي لاراه جيدا وهو يعجب في خلاء منطقته كلها
وحداؤه فوق كتفيه يمشى طوال يومه على ما يساوى
بصعة كوبيكات من الخبز والسمك المجفف . ثم يعود
الى بيته حاملا في محفظه قطعة من فئة لمانه روبل .
اما قطعة الالف روبل فمخيطها في سراويله او يخبئها
في حذاءه ! على اى شكل وصلت اليك نهايتك يا برويكا
ستيبان ؟ اكنت سميا وراء الرزق تملو سقالة عند
قبة كثيرة القرية فجريت ان تتسلق على القبة فزلت
فدعك عن لوح الخشب فوقعت تهوى الى الارض . ولم
يشهد هذه الكارثة غير العم ميخاي - ذلك العم الطيب
الذى حكته قناه وسمته قاللا «آه يا داي . لقد كنت
ماهرأ جدا !» وتم ربط نفسه بحبل وانتقل الى المحل
الذى وقعت فيه حالا ؟ . . . ماكسيم تليانتيكوف ،
اسكاف . احقا أنت اسكاف ؟ يقول المشل «سكير
كاسكاف» . اسي لأعرف على اية شاكلة كنت ايها
الصديق . وذا شئت انباتك بقصتك كلها . لقد التقت
بسيد الماني اطعمك واظم ريشك على مائدة واحدة ،
وخربك بالسوط وصجنتك كلما اتيت خطا ، وتكلم
عنك لزوجه وأصدقائه بأقوال لا تحسد عليها .
وأخيرا ، لما انتهت مدة التعاقد بيك وبينه قلت
لنفسك «أمنى سامشني نفسي بنفسي منذ الآن ، ولن

أجمع كوبيكاً من هنا وكوبيكاً من هناك كما يفعل
الألماني ، ولكنني سأغتنم فرصة» .

ومن ثم استأجرت دكاناً بأجرة مرتفعة ، واستحضرت
بصاعة كثيره وضربت في العمل - تفتري الجسد
المتعفن الذي تصنع منه زوج احذية بربح مضاعف .
ولكن زوج الاحذية تفلح في اسبوعين ، وجرّ على
رأسك سيلاً عارماً من اللعنات . وكانت نتيجة ذلك
أن خلا محلك من الريائن تدريجياً ، فأنطقت تحوّل
في الطرلاب صانحاً «ان الدنيا لبائسة حقاً لا يستطيع
الروسي أن يعيش والألماني يأخسه» . حسناً ،
حسناً . . . الزبايتا فورويي ! لكن هذا اسم امرأة !
كيف تسنى لها أن تكون في القائمة ؟ لا بدّ أن يكون
النذل سوباكفيتش قد حشرها خلسة دون علمي . كان
تشيتميكوف على حق . كانت امرأة بالفعل ولا أحد
يعرف كيف جاءت الى هنا . ولكي اسمها قد كتب
ببراعة ، بحيث كان المسكن من صيد أن تعتبر رجلاً .
ومع ذلك فإن تشيتميكوف لم ينظر الى ذلك بعين
الاحترام . فسطب اسمها .

واستمرّ يقول «بريبوروي راج» ولن تجي» . عجباً !
ما أغرب اسمه ! أي نوع من الرجال كنت ؟ هل كنت
حماً فاستطعت ان تعدّ عربة ذات مظلة بفرقة من
ثلاثة خيول ، ثم تركت بلك وسكبك المتواضع الى
الابد ودرحت تشتمفل في ثقل بضائع التجار ؟ هل كنت
سائراً على الدرب حين اسلمت روسك الى بارنها ، او
كنت قبل ذلك قد وقعت في حب زوجة أحد الجنود وكانت

فتاة سمينة مجسرة الوجه وقتلوك نتيجة ذلك ؟ وهل
استوب عربتك احد قطاع الطرق لما رأى فرقتهما من
الحيول المشوشنة المملئة الاكمال ؟ ام كنت مصطبهاً
عن براشك المواضيع بفكر في امور الدنيا وتوسعها
تفكيراً حتى رأيت أن من الواجب عليك طوعاً او كرهاً
أن تلجأ الى الحاة تحيط فيها خبط عشواء ؟ ايه يسا
ملاحا الروسي ! انك لن ترحب بالموت الطبيعي
أبداً !

ثم التفت الى الورقة التي سجلت فيها اقسام بلوشكين
المازين . واخذ يقول «وانتم يا اصدقائي ! انكم لا
ترلون احياء ، ولكن أية فائدة ترجى منكم ؟ انكم عمليّ
ميتون . واني لأعجب أين القت بكم عصا الترحال ؟ هل
كنتم عند بلوشكين تتألمون من شظف العيش فأثرتكم
الفرار أو ان طبيعة احوالكم قادتكم الى تقضيل النجوال
في البراري والغار وسلب من يقرضكم من
المسافرين ؟ وهل انتم الساعاة في السجون أو تحرون
أرض اسبياد آخرين ؟ ايومي كاريكين ، نيكيتسا
فولوكيتا ، وأنطون فولوكيتا (اين السابق) اذا حكمنا
عليكم بالفا بكم قسموف تكونون ذوي أصل جورال .
بويوف خادم في البيت . من المحتمل أن تكون رجلاً
متقناً ايها الطيب بويوف ، فتروح تمزق بادب وببافة
تتميز عس ذلك النوع الوحشي من المرققة الذي
يصحبه حرّ الحلاقيم . الي لا تصورك بأم عيشي ورئيس
شرطة الريف يتحدّك لانك لا تحصل بجواز سفر فتلقي
كلّ ما في جيبك دفعة واحدة . ويسألك الرئيس من

ورأى قبضته عليه «أيها السافل ! أيها السافل !
بيده بالحديد وخذوه الى السجن» فتجيب «بكل سرور»
وتخرج عليه السعوط من جيبيك وتقدم معها للجندين
البدن يصفداك ، وتروح تسالهما عن الوقت الذي
سرحا فيه من الجيش وفي أي الحروب اشتركا . وتظل
في السجن حتى ينظر في قضيتك . عندئذ يصدر القضاء
أمره بنقلك من تساريفكو كسابسك الى سجن كيمست
ركيت . ثم يصدر قضاء آخر أوامر أخرى بنقلك الى
«سبحونسك» او الى محل غيره . وتروح متقلبا من
سجن الى سجن . وتقول كل مرة اذ ترى السجن الجديد
«كان السجن السابق انظف من هذا بكثير ، وكان
باستطاعة المرء هناك ان يلعب «البابكي» * وان يمد
رجله وان يرى جمعا من الناس» .

ويصد صمت قليل يستمر يقول «أياكم فيروف ، ما
شأنك أيها الأخ ؟ أين تلهو الآن وبأي عزم تلهو ؟ هل
دعيت الى شواطئ العولجا فاطبقت عليك حياة الحرية
فانضمت الى المراكبية ؟»

وهنا امسك تشيشيكوف فجأة عن الكلام واستغرق
في تأملاته الصامتة . ما الذي كان يدور في فكره
أبداً ؟ هل كان يفكر فيما جرى لأياكوف فيروف ام كان
يفكر كما يفكر كل روسي اذا ما اصرف ذهنه الى حياة
التحرر والامتياز ؟ وبالفعل أين فيروف الآن ؟ انه
ينظر مرحة صغابا في رصيف الجبوب ، بماكس

* لغة الكما . المترجم .

ميميك ؟ وقد يصيف الى سؤاله هذا كلمة فاسية
أخرى فتقول عاروا «الملك القلاني او القلاني» ويسر
الرئيس سائلا «ماذا تعمل هنا ؟» فيكون جوابك السهل
السياف ان تقول «لقد اخذت اذن بالذهاب لاجتمع
ضريتي» «لأن أين جواز سفرك ؟» - «هنا المواطن
بيميوف .» - «بيميوف ؟ لنستدع بيميوف الى هنا !
اذن أنت بيميوف نفسه ؟» «نعم ، أنا بيميوف
نفسه .» - «هل اعطاك جواز سفره ؟» - «لا ، لم
يعطني جواز سفره» . فيصبح الرئيس عاليا «ما هذا ؟
ما هذا ؟ انك تكذب» . فيكون جوابك المستكلم «لا ، لا
اكذب ، لم استطع الليلة الماضية ان اعيد اليه جواره
لأنني رجعت الى البيت متأخرا ، وعلم ذلك فقد سلخته
الى أنتيب بروجوروف ، قارع الاجراس ليحفظه له ، -
«قارع الاجراس ؟ حقا ! هل هو الذي اعطاك جوازا ؟»
«لا ، لم يعطني أي جواز» وهنا يضعف الرئيس مسية
أخرى . ويقول «ماذا ؟ كيف تبرز على الاستمرار في
الكذب ؟ أين جوازك الشخصي ؟» فتجيب بعبث «لقد
كان لي جواز ويظهر انه سقط عني في الطريق عندما
كنت آتيا» . ويصيف الرئيس كلاما قويا ويقول «وما
قضية مصطف الجدي ؟ من أين حصلت عليه ؟ وما
قولك في خونة الرامب والنفوذ الخامسة ؟» فتجيب
مستكلميا «لا علم لي بهذه الاشياء ، ولم ارتكب في حياتي
جريمة سرقة أبدا» «اذن كيف تفسر وجود المصطف
عندك ؟» - «لا اعرف ! من المحتمل ان يكون قد
وضعه انسان هناك» . فيصبح الرئيس هازا رأسه

الغزو وانطلق شطر مكاتب البلدية بشية اتمام تسجيل النفوس . ولم يكن اسراعه في الذهاب خوفاً من تأخره ، فهذا امر لا يكثر اليه قتيلاً (لأن وليس المجلس المحلي صديق حميم ، وباستطاعته كأي موظف كبير آخر أن ينجز الأمر بسرعة شديدة أو أن يطيل فيه كما يشاء . كما كان يفعل زيوس الذي جعله هوميروس قادراً على تقصير الليل والنهار أو تطويلهما إذا أصبح من الضروري أن يضع حداً لقتل ابنته المحبوبين أو أن يترك لهم المتسع من الوقت لأكمال المعركة) ، لكنه كان يحسّ بأن عليه أن ينجز الأمر بأسرع ما في الامكان نظراً لأن الأمر كان شاقاً مقلقاً من بدئته الى نهايته . وبالإضافة الى ذلك ، لم يستطع أن يتخلص من فكرة جعلها وهي أن نفوسه شيء غير مادي . بناء على ذلك كان يفحص في هذه الظروف ان يزيج هذا الصب عن كاهله دون أي تأخير . وليس معطاه القرقي اللون المخطط كعبد الدب وخرج . ولم يكد يخطو الى الشارع مستغرقاً في التفكير حتى اصطدم بسيد يرتدى معطاه واقية من الغزو لها عذبتان فوق الأذنين . عندئذ صاح الرجل صيحة تعجب . وإذا به مانيلوف . طوت الصديقتين ضمة عشفة وظلّا ملتصقين على هذا الشكل خمس دقائق كاملة . وقد كانت القيلات التي تبادلها في الواقع شديدة جداً حتى أنها ظناً يسكنان من ألم استئناهما مدة كبيرة من ذلك اليوم . وبالإضافة الى ذلك ، فقد كان سرور مانيلوف في لأوج حتى لم يعد يظهر من وجهه غير الانقباض والشماتين ،

انتجار . إن جماعة المراكبية كلها ترحل والزهور والاشربة على رؤوسها تودي معشوقاتها وزوجاتها في الطويلات المشوكلات ، يتحجبن بأقلامه من قطع البعود والاشربة : رقصات والغال ، الساحة كلها تمشور بالحياة ، والحوالون في غضون ذلك ، ووسط الصبيحات والشتائم والجلجلة ، يترزبون خطاطبهم في حولة تسمة يودات ويحسونها فوق ظهورهم . ويدلقون الحصى والقمح بصخب في بطون المراكب المميقة ، أو يكونون اكياس التسمير والذرة ، حتى أن الكوام الاكياس تترى بعيداً في أرجاء الساحة ، مصفوفة في هرم مثل قنابل المدافع ، وترسانة الحبوب كلها تبدو هائلة حتى تنف أن بطون المراكب على نهر سورا . ويتحرك الاسطول ابائل من المراكب مع اناسه المرحين ! عندئذ ميكون امامكم عمل كبير ، يا مراكبية ! ومثلما كنتم ترحلون وتصخبون مجتمعين ، مستثمرون للفعل والعرق ساحبين المراكب على إيقاع اغمية واحدة لا نهاية لها كروسيما نفسها .

ثم نظر الى ساعته وتهد وقال «ايه ؟ لقد بلغت اسباعة الآب الثانية عشرة . لماذا نسيت نفسي هكذا ؟ لا يزال عني الكثير من العمل وأنا منزو هنا مطلقاً لتفكيرى انسان ا أي غبي انا ؟»

قال ذلك ونهض فابدل رايه الاسكتلندي (الذي يتكون من قميص واحد فقط) بزي ذي طابع اوروبي ثم شد الصدر على معدته المستلثة ورش على نفسه ماء الكولونيا يذم اوراقه تحت ذراعه وأخذ قبضه ذات

واختلعت عيناه اختفاء تاماً . وقضى بعد ذلك وبساعة وهو ممسك بيد تشيتشيكوف يفرحها بشدة . وأخيراً ، أخذ يروح لصديقه ، بأفخر التعابير الممكنة وأروعه ، بأنه كان في طريقه إلى معانقة بافيس - ايفانوفيتش . وتبع ذلك اطراء من النوع الذي يليق أن تغاطب به سيمة عندما يدعوها زميل للمشاركة في الرقص . وفتح تشيتشيكوف فمه للإجابة - لكنه شعر (حتى هو) بأنه ضائع لا يدرى كيف يجب أن يرد ، إلى أن ألقاه مانيلوف بأن أخرج من تحت معطفه رزمة من الورق مربوطة بشرط أحمر .

وتساءل تشيتشيكوف «وما تلك ؟»

«أقالمة نفوس» .

«أيه !» وفتح تشيتشيكوف الوثائق ومرت نظره عليها ، ولم يستطع إلا أن يندهش لتلك الأقالمة الرائعة التي كتبت بها .

وقال «إن الخد رائع جداً . ولا حاجة في الواقع إلى نسخها . ولها هامش على الأطراف ! من عمل هذا الهامش الرائع ؟»

فقال مانيلوف «لا تسألني» .

«هل عملته أنت ؟»

«لا ، زوجتي» .

«يا الهي ! يا الهي ! لم أكن أتصور أن أزجها إلى هذا الحد» .

«لا شيء . يمكن أن يكون أزعاجاً إذا كان من أجل بافيل ايفانوفيتش» .

فاحتض تشيتشيكوف شكراته . وبالثاني ، لما علم مانيلوف أنه كان في طريقه إلى دوائر البلدية لأجاز عملية النقل أيدى استعداده لمرافقته فاشيتشيكوف الاثنان ذراعاً بذراع وانطلقا . وكان مانيلوف اثني عشر عاماً إذا ما قابلتوا طفلياً من الأرض - حتى أقل - تخرج أو اختلاف في المستوى - يسنه تشيتشيكوف بقوة تكاد ترحمه من قدميه ، ويفرق جميل صوته هذا بابتسامة مصمومتها أنه لو لا مساعدته لكان وقوع بافيل ايفانوفيتش أو انزلاقه أمراً حتمياً . ومع ذلك فقد بدا هذا السلوك يهرج تشيتشيكوف إما لأنه لم يجسد الكلمات المناسبة لاعتراقه بالجميل أو لأنه وجد هذا التصرف أمراً متعباً . ولهذا «حسن» بالراحة إذ اطل على ساحة مكاتب البلدية - حيث تقوم نهاية مؤلفه من ثلاثة طوابق بيضاء كالطباشير ، قد قرمز بذلك إلى طهر النفوس التي تقيم فيها . ولم يكن في الساحة أية نهاية أخرى قصاصها حباً ، لأن المباني الأخرى كانت تتكون فقط من مظلة للحارس وماوى لسائق أو سائقين ولوحة طويلة للإعلانات تزيناها النشرات الملوغسة والبيانات وتنبهات أخرى بالطباشير والفحم . ولم يكن ثمة من شيء آخر في هذه الساحبة المعزولة أو الحبيلة ، كما توصف عندنا . ومن نوافذ الطابقين الثاني والثالث كانت تطل بين الفينة والأخرى رؤوس كهنة تسمى . . الزببة - تطل بسرعة وتنسحب بالسرعة

* تيمس (أو تاميس) لمة العدل والقسطاس . المترجم .

نفسها ، وقد يكون سبب ذلك أن موظفاً كبيراً دخل
الفرقة آنذاك . وكان الصديقان في هذه الآونة يصعدان
السلم ، لا بل يكادان يطيران ، لأن تشيتشيكوف كان
يسرع الحلى لكي يتخلص من ذراع مملوكف التسي
تسندته أيداً ، وماتيلوف يتدفع إلى الامام حتى يقس
صاحبه أي زلّة قد تزلّتها قدماء وعلى هذا ، ما كادا
يصلان أول دهنيز حتى كادت تتطّلع منهما الاناس .
ويمكن أن نذكر - عابرين - أن لا الدهيز ولا لفرق
أبدت من النظافة والنقاء ما أبداه ظاهري العمارة ، لأن
سجاييا كهده لا تسترعي الاهتمام في الداخل وكرّ ما
كان متسحاً ظل على ما كان عليه ، ولم يكن يتخذ مظهر
الاحترام . كان كما لو أن تيميس يستقبل رتبهما
باهمان وهي ترقدي وداء البيت . وكان يودّ المؤلف أن
يصفى المكاتب المختلفة التي مر بها يطلنا لو لم يكن
يغشى (أي المؤلف) الملاحظات القانونية . وحتى إذا
صادف وأن وجدما في المبح وأحشم مظهر ، بإرضيات
ومناضد مصقولة ، فقد كان يحاول أن يمر بها بأسرع
ما يمكن ، غاضباً ومغضباً بصره إلى الأرض بوداعة ،
ولهذا السبب لا يعرف كلباً كيف اتخذت هذا المظهر
اللامع الزاهر . إن اطالنا راءا العديد من الأوراق
مكتوبة ويصاه ، والرؤوس المنحية على المناضد ،
والاقفية العريضة ، وسر الفراك ، والجاككات من النمط
الأقليمي ، وحتى جاكّة بسيطة رمادية فاتحة كاست
العين تلتقطها بوضوح شديد ، وقد مالت الرأس إلى
جانب ، وكادت تمس الورق ، وهي تستنسخ بنشاط

وطريقة تدلت التظر محضراً عن أراض منزوعة الملكية
أو جرد ضيقة استولى عليها ملاك وبيع ليقضي فيها بلية
حياته يهدو ، وبينما تكون القضية معروضة فسي
لحاكم ، يكون هو قد حلف الاولاد والاحاد اثناء
المحاكمة . ومن حين لأخر كانت تسمح عبارات مقتضبة
مقطعة يطقها صوت أجش ولو تتكرم ، وتعطينسي
لاضبارة رقم ٣٦٨ ، يا فيدوسي فيدوسيفيتش -
«دائماً أنت تحتر غطاء قارورة حبر الدائرة في مكان
ما !» وأحياناً يصدر صوت أكثر مهابة ، هو ، بدون
ريب ، صوت أحد الرؤساء ، قائلاً «بلهجة أمرة» «هاك .
استنسخ . وإلا جعلتك تحلع جزمك وإبقيتك هنسا
سته أيام بلا حمام» . كان صريف الريش عالياً ، وكان
عدة عربات محملة بالأعصان المقطوعة تمر في غابة
تراكت على أرضها أوران الشجر النامية بعمق ذراع .
وانترب تشيتشيكوف وماتيلوف من أول مكتسب
صادق ورأى موظفين شابين كانا يجلسان حذفاً ،
وطلبا اليهما أن يتطلعا فيدلاً ، أين تتم عملية تقبل
الاتقان .

فاتلتا اليهما الشابان الموظفان وقالوا «ما هو نوع
العمل الذي تريد ، بالضبط ؟»
«أريد أن أقدّم طلباً» .
«بخصوص الشراء ؟»

«لكني أريد أن أعرف قبل كل شيء المكتب الشخص
بنقل الاتقان . هل هو هنا أو في محل آخر ؟»
«يجب أن نخبرنا أولاً عن الشيء الذي اشتريته ،

وعن سره ، وعندئذ يسرنا ان نعطيك ما تبغي من معلومات» .

وأفرك تشيتشيكيوف ان ما دفع الموظفين الى ذلك كان مجرد الفصور كما يحصل دائما مع صغار الموظفين الذين يريدون ان يظهروا بشخصية اكبر أهمية وأكثر وقفا مما هم عليه .

فقال «اسمعا يا سيدي» . انني اعرف ان ثقل الاقناب مهما احتلفت قيمتها تجرى في مكتب واحد . وبناء على ذلك اطلب اليكما ان تدلاني على ذلك المكتب . واذا لم تعرفا عملكما فاني ساسأل غيركما بكل سهولة طبعاً» . ولم يجب الموظفان على هذا باكثر من اشارة الى احدى زوايا الغرفة حيث كان رجل عجوز مشغولاً في تصنيف بعض الاوراق ، فاسل تشيتشيكيوف وماتيلوف من بين المكاتب اليه . وارداد العجوز عندئذ انشغالا .

فسأله تشيتشيكيوف محنيا هل تتصل فتخبرني اذا كان هذا هو المكتب المختص بشؤون الاقناب ؟
فرفع العجوز عينيه وقال بخشونة «لا ليس هذا مكتب شؤون الاقناب» .

«اين هو إذن ؟»

«في دائرة الاقناب» .

«واين تكون دائرة الاقناب هذه ؟»

«في عهدة ايغان انطونوفيتش» .

«واين ايغان انطونوفيتش ؟»

فاشار الرجل العجوز الى زاوية من زوايا القاعة ، واليها وجه ماتيلوف وتشيتشيكيوف الحلي . واذا تقدما

الى ايغان انطونوفيتش التفت الى الوراء ثم نظر اليهما مسائلا ثم عاود الكتابة بحمية متجددة

وسأله تشيتشيكيوف محنيا هل تسمح فتخبرني اذا كان هذا هو المكتب المختص بشؤون الاقناب ؟ بدا وكأن ايغان انطونوفيتش لم يسمع شيئاً ولهذا دلس رأسه كلية بين اوراقه ولم يجر جواباً . وقد اتضح لهما من مظهره فوراً انه كان على الاقل في سن الوفا وليس من اولئك لثرمارين الفارغين الطائشين . ومع ان شعره كان اسود كثيفاً الا انه قد تغطي الاربعين صد امد بعميد . كان كل وجهه منحرفاً باتجاه اذنه ، الى ما يشبه عادة بالجره .

وكرر تشيتشيكيوف كلامه قائلاً «هل تسمح فتخبرني اذا كان هذا هو المكتب المختص بالاقناب ؟»

فقال ايغان انطونوفيتش «هذا هو» . واذني رأسه الذي يشبه الجرة مرة اخرى ، وعاود الكتابة .
«أود ان اجري معاملة ، فقد شترت من ملاكيس مشتلفين في هذه المقاطعة عدداً من الفلاحين واريد ان انقلهم الى اسمي . هذه لائحة المشتريات ولا تحتاج الا الى التسجيل» .

«هل البالعون منك هذا ؟»

«بعضهم محي ، ومنهم تركيل من الباقيين» .

«وهل لديك نص الطلب ؟»

«نعم ، انما اريد ان اسرع في اجراء المعاملة ، لاجر ضروري لي . هل يمكن انجازها كلها خلال هذا اليوم ؟»
«اليوم ؟ لا يا عزيزي اقل اجراء ذلك يجب ان تقدم

لي ما يثبت أن لا اعتراضات على هذه المعاملة»
«اذن ، عليّ أن اجبرك أن ايفسان جريغورييفيتش
صديق صميم لي ، فارجو السرعة» .

فقال ايفان انطونوفيتش دون حماس «من المحتمل ،
ولكن ايفان جريغورييفيتش ليس وحده مسؤولا ، فهناك
آخرون ايضا» .

«نعم ، ولكن الآخرين لن يشعروا بالظلم . لقد
كلت نفسي في الخدمة وأعرف كيف تسيير الامور» .

فاجاب ايفان انطونوفيتش بلهجة اكثر لطفا «من
الافضل أن تنصب وتقابل ايفان جريغورييفيتش - نعمه
يعطى أمرا لمن يهمه الامر فباستطاعتنا أن نتجيز
المهمة»

عندئذ سحب تشيشنيكوف من حبه ورقة نقدية
والقاهها امام ايفان انطونوفيتش ، ورفع الاحير كتابا
بسرعة ووضعها فوقها ، وحاول تشيشنيكوف أن يريها
له مرة ثانية ولكن ايفان انطونوفيتش حرّ رأسه دلالة
على أن هذا غير ضروري .

وأخلف قائلا «سيوصلك أحد الموظفين الى غرفة
ايفان جريغورييفيتش»

عندئذ تقدم منهم أحد الكادحين في حملة تيميس -
متعصب ، قدّم بها تصحيحات من صميم الغوادر جعلت
معطفه ينشقّ عند كوعيه وتنتشر بطائنه -- وواصل
صديقا (كما أوصل فرجيل دانتى ذات مرة) الى ديوان
الحضرة الربانية . في هذا المكان المقدس انتصبت
بصمه كراسي من دوات المتكأ ومنصدة عليها كتابان

سمكان ومراة كبيرة . وأخيرا كان الرئيس يجلس الى
المنصدة كالشمس في وحدانيتها ، على ما تدل عليه
الظواهر وما وصل فرجيلنا الجديد الى باب المرفة حتى
دنا كان الرغب استحوذ عليه ، فقل راجعا دون أن
يجر على ادخال قلعه داخل الباب ، وبصله هذا عرض
ظهور لامعا كالحصير علفت به ريشة طير في احدي
نواحيه . وحالما دخل الصديقان الى الحضرة الربانية
أدركا أن الرئيس لم يكن وحيدا بل كان يجلس الى
جواره سوبياكفيتش الذي اختبأ هيكله حتى تمسك
بساعة وراء المرأة المعتصة . اما دخولهما فقد أثار
عاصفة من صيحات مختلفة وتسبب في اندفاع كرسيتين
من كراسي الحكومة الى الورا ، بينما كان سوبياكفيتش
دو الإردان المعيبة يقف بازرا خلف المرأة . وتناول
الرئيس تشيشنيكوف بالعناق ، ودوت الحضرة العلوية
برهة من الزمن برنين القبلات وأخذوا يتبادلان الاسئلة
عن مدة بعضهما البعض وقد تبين أن الاثنين كانا
سابقان من قديم المسة من الالم التي تصيب الانسان
في أسفل الظهر والتي تسببها حياة الحمول . وقد تبين
ايضا أن الحديث بين الرئيس وسوبياكفيتش كان
حول بيع النفوس إذ تقدم الآن يهني تشيشنيكوف على
ذلك - وهو امر كان محرجا لبطنا احرأ شديدا لأن
الذين من اليايمين مانيلوف وسوبياكفيتش ، ساوم كل
واحد منهما في سنهوى الكتان كانا يقفان الآن امام
بعضهما وجه لوجه . ومهما يكن من امر ، فقد شكر

بمبهما «استمعوا لهذا المخلوق ! من أي شيء يشكو من حياته !»

ثم صاح تشيتشيكوف قائلا «إن لك معي كتاباً بما يفيد جريجورييتش» . وأخرج من جيبه رسالة بلوشكين .

وتسأل الرئيس صانحاً وهو يقص ختم الرسالة . من ؟ أية أمة من بلوشكين ! أنه لا يزال حياً ! أي عام غريب هذا ، لقد كان انساناً لطيفاً ، موسراً والآن . . .»

فأكمل سوباكيفيتش قائلا «الآن هو إنسان خسيس ، يحيل بيع اقنانه حتى الموت» .

فقال الرئيس «استمعوا لي لحظة» رقرأ الكتاب ولما اكتمه راح يقول «معهم ، أما على استعداد تام لكي أكون وكيل بلوشكين . متى تريد أن تسجل عقد البيع بما سيبي تشيتشيكوف ؟ الآن أو فيما بعد ؟»

فاجاب تشيتشيكوف «الآن ارا سمحت . واني لأرجو في الواقع ان تبار المعاملة اليوم اذا كان ذلك قسي لا مكان ، لاني سأترك المدينة غداً . وقد احصرت معي نماذج العقود ونص الطلب» .

«حسن جداً ، الا اننا مع هذا لن نتركك تفادونا بهذه السرعة . ستكمل العقود اليوم ، اما يجب عليك أن تمدد اقامتك عندنا . سواصل الامور الضرورية الآن» .

قال ذلك وتحت باب المكتب العام حيث ظهر الكتبة

تشيتشيكوف الرئيس شكراً جليلاً ثم التفت الى سوباكيفيتش وسأله عن صحته .

فاجاب سوباكيفيتش «الحمد لله ، لست اشكو من شيء» . وقد اصاب كيد الحقيقة بقوله هذا ، لأن قطب من الحديد قد تصاب بالبرد والعطاس قبل أن يصاب هذا الانسان الجلب .

وتدخل الرئيس قائلا «كان لك دائماً صحة جيدة اليس كذلك ؟ ووانك المحروم كان في قوتك ايضاً» فاجاب سوباكيفيتش «نعم ، حتى انه كان يخرج لصيد الدببة وحيداً» .

فاستأق الحاكم يقول «اطن انك تقهر الدب ان حست معه رالأ ؟»

فقال سوباكيفيتش «أوه ، لا ، فقد كان والدي اقوى مني . وهنا تنهد ثم اكمل يقول - لكن هذه الأيام حلز من امثاله من الرجال حتى حياة كهياتي ، ما قيمتها ؟» فصاح الرئيس «اذن انت غير راض عنها ؟»

فاستأنف سوباكيفيتش هازئاً رأسه يقول «لا ، فالراحة بعيدة عني . ولك ان تحكم بنفسك على ذلك يا ابنا جريجورييتش . انا الآن في الخمسين من عمري . ولم اصب في حياتي بمرض قط حتى ولا بصل او بثرة عرضيين . وهذه علامة غير محدودة ، اذ يجب ان ادفع الحساب على ذلك ان عاجلاً أو آجلاً» وطلعت عليه صمحة من الكتابة .

اما الرئيس وتشيتشيكوف فقد راحا يقولان «

كانهم اسراب التحل حول قبري من عمل (الدا مسح) ان
ان اشبه اعمال الحكومة بهذه المادة .

وسأل الرئيس «هل ايمان انطونوفيتش هذا ؟»

فاجاب صوت من الداح «نعم» .

«اذن ارسنه إلي» .

وعلى ذلك ظهر في الممر ايمان انطونوفيتش ذو الوجه
الجرحه ، وانحنى .

فقال الرئيس «خذ هذه العقود يا ايمان
انطونوفيتش ، ولكن لديك علم بان . . .» فقاطعه
سوباكييفيتش يقول «ارجوكم ان تذكروا أولا ان الشهود
يجب ان يكونوا حاضرين . لا اقل من شاهدين عس كل
فريق . ولترسل أولا الى المدعي العام الذي ليس لديه
ما يسمه الا القليل حتى هذا القليل يقرم به رئيس
كثيته رولوتو وهو اكبر مرتش في العالم ، ومنتهى
دائرة الصمة ايضا رجل خال من الاعمال ، ومن المحتمل
ان يكون في البيت ان لم يكن قد ذهب الى حفلة لعب
الزوق وهناك كثير من الرجال الذين يفلقون الارض
عيفا ومنهم حتى وحاتشيفسكي وباغوشكين» .

فقال الرئيس هواقفا «تماما كذلك ، تماما كذلك»
وسرعان ما ارسل كاتيا يستدعي الاشخاص المذكورين .
وطلب تشيتشيكوف قائلا «يسرني لو ارسلت في
طلب مثل مغرض عن هلاكة لي معها ممامة ، وهو
ابن الاب كيريل وهو موظف في مكاتبكم» .

فاجاب الرئيس «سندعو بكل تأكيد ، سنعمل كل
شيء حسب رغبتك . انما انحك ان تقدم اي منحة

لموظفيها . هذا طلب خاص اطلبه منك . فليس من
اصدقائي من يدفع دوحما واحدا» .

وبهذا اعطى ايمان انطونوفيتش التعليمات
لضرورة . ومع ان هذه التعليمات لم تكن تعور تأييد
هذا الموظف ، الا ان الوثائق اثرت في الرئيس كثيرا
على ما يظهر وزاد ذلك لما رأى لجموع الكلي يقارب
البانة ألف روبل . فصدق في عيني تشيتشيكوف لحظة
او خطتين وعلى وجهه امرات الرضى العميق ، ثم قال
«احسب يا بايل ايمانوفيتش انها صفقة رائحة حقاً»
فاجاب تشيتشيكوف «انها كذلك» .

«عمل عظيم . اجل ، عمل عظيم»

«اننى ادرك في الحقيقة ان لم يكن في قدرتي ان اعمل
عملا احسن منه . ان امداف المرء من حياته لا تصيب
راضة العالم والحدود حتى يشيد هيكل حياته تلك
على اسس متينة بدلا من اوهام الشباب العابرة» .

وانطلق تشيتشيكوف من هذه البداية يلقي التهم
الصامية على الشباب الحديث وليبيرالينتم . الا ان
نوعا من فقدان الثقة كان يكمن وراء كلامه . كان يبدو
وكال نفسه تقول له «يا سيدى الفاضل ، انك تتكلم
هره محضاً ولا شيء غير الهراء» . حتى انه لم يجرؤ
على النظر الى مانيلوف وسوباكييفيتش . فكانه غير
مؤكد مما سيراه في ملامحهما . وما كان عليه فسي
الحقيقة ان يخشى شيئاً فوجه سوباكييفيتش لسم
تتحرك فيه عضلة واحدة ، اما مانيلوف فكان تحت تأثير
صاحبة تشيتشيكوف بحيث لم يكن يستطيع ان ينص

شيئا إلا أن يوزن برامه مطلقا بين اللحظة والأخرى
تأييدا له مثله في ذلك مثل عشاق الموسيقى وهم
يستمعون إلى عقيفة يصحب صوتها كمان ونافسه ،
حين تقصر بقما فيه من الحد ما يفوق طاقة طالع
النسبان المعرّدة .

وسال سو باکیفیتش تئیشیشکوف (الکن لادا لا
تخیر ایفای جریوریفیتش عبا ائیریت بالیصط ؟
ولادا یا ایمان جریوریفیتش لم تسال تئیشیشکوف
بالیصط مم تئوکَن مشتریاته ؟ ای جمع عظیم من
الاقتان ، بالتاکید ، ال نفسی ده بخته صانع الحلات
مشغف .

فصاح الرئيس «ماذا ؟ بعته ميجيف ؟ اني اعرفه جيداً . انه رجل رائع . وقد عمل لي في فترة من الفترات ضروري » . لكن . . . لكن . . . أجل ، السم تغيرني مؤخرًا انه مات ؟»

فرد سوبياگييتش وهو يضحك العتيق مات ٩ ايه ،
لا يا عزيزي . كان ذلك اليوم . اما ميخيف نفسه هو
حي . جداً حتى ان صحته احسن مما كانت عليه . وبعد
عدة ايام صنع عربة لا يمكن صنعها حتى في موسكو .
على اية حال ، جديس بان يتفرغ للعمل عند القيصر
وسلطان .

فقال اربليس «انه صانع ماهر حقاً . الا ان البلى استعرب منه هو كيف استطلعت التخلي عنه » .

* نوع مختلف من المراتب ذو أربعة عجلات ، المتهرجين .

«هل قلن ان ميخيف هو الثمن الوحيد الذي تخلعت عنه ؟ لقد تخليت ايضا عن برويكنا ستيبان النجار ، وويلوشكين الشاء وتليانتيكوف الحداد . نعم لقد بحث كل هؤلاء » .

ولما ساء له الرئيس لم يفعل ذلك مع أن هؤلاء القوم
كلهم من العمال الماهرين الذين لا غنى عنهم ، أجاب
سوباكييقتش بأن ذلك كان مجرد نزوة طفت عليه
جسته بعد ما فعل ، وهكذا فإن أصل هذا لتصرف كله
هو بكرة من ترات الجبوس . ثم رفع رأسه فقل بالادم
على هذا العمل الثوري . وقال :

«مع أن الشيب وخط رأسي إلا أني لم اتعلم الحكمة بعد» -

ثم تسأل لرئيس "ولكن كيف حدث يا يافيس
إيفانوفيتش ان تشتري الاقنان دون الاورس ؟
توى ان تمنعهم الى مكان آخر ؟"
نعم .

بالصين جداً . إذن هذه مسألة أخرى ، إلى أية جهة ؟
« إلى مقاطعة خارسون » .

«حقاً؟ إن هذه المنطقة كلها أراضي رانجة» وأخبره
بمسبب في وصفه هراعي خازميون.

ثم سأل يقول «وعلى لك ارض كبيرة هناك» ١٩

١٤٠٠ هـ. تكفّر للاقتنان الذين اشترى

«وما هناك من أو معونة فم تلك الولاية»

وہ کلام ہے

وبعد هذه الإجابة التي تشيبتنيكوف نظرة لا إرادية

على سوباكيفيتش . ومع ان وجه هذا الانسان كان جامداً كما داته ابدأ ، الا ان تشيتشيكوف فرا في وجهه انه يقول «ايها الكذاب ! تقول ان لك نهرا وبحيرة ، وارضا ايضاً» .

كان اليهود في تلك الاثناء يتواعدون الواحد بعد الآخر . فوصل المدعي العام ، الذي يميز ابدأ ، ومفتش دائرة الصحة ، وتروخا تشيفسكى وباغوشكين وآخرون - وكلهم مهم على حد تعبير سوباكيفيتش من الديس يتقلون على الارض عثا ، وهما يكن من امر فقد كان تشيتشيكوف يجهل بعضهم جهلاً تاماً لا سيما وقد كانت المعاملة تستدعي ادخال وكلاء واشخاص آخرين لإكمال العدد المقرر ، وهذا ما فعلوه بادخال الموظفيس النرويجيين . وتلبية للدعوة لم يصل ابن الاب كيريل وحسب بل وصل الاب كيريل نفسه . وازداد كل واحد من هؤلاء اليهود الى اعضائه سلسلة من المميزات والمزلات . اصحابها احدهم باحرف مطبوعة وآخر بالاحرف الدارسة وآخر بقط مقدوب راساً على عقب لم يمهده مثله من قبل في الابغرية الروسية . وكان صاحبها ايفان ابطونوفيتش اثناء ذلك يستعمل ما يليق من عبارات المغاطلة . وبعد ان امضيت العقود وحفظت وسجلت دعى تشيتشيكوف الى دفع مبلغ ثمانية حاداً ، وهو النسبة المئوية التي تقتاضها الحكومة واجرة اعلان الصفة في الجريدة الرسمية . وكان السبب في ذلك ان الرئيس قد امر ان تؤخذ نصف الرسوم فقط من المشتري العالي ، وسجل النصف الآخر بشكل مس

لاشكال في حساب انسان آخر من طالبى تسجيل

وبعد ان اكمل كل شيء ، قال ايفان جريجوريفيتش «والا لم يبق عيباً الا الخللون» .

فحاج تشيتشيكوف «واما على استعداد لهذا ايضاً ، وما عنكم الا ان تغيروا الساعة . وساكون عينا حقاً ان لم دع اعطية وجاجات الشمبانيا قتلير في الهواء لقاء رعتكم الطيبة»

ولكسا لي سركك تغرم شيئاً . مهما كان ذلك الشئ . فملينا احضار الشمبانيا لانك صيفنا ، وعلينا حتى ان نكرمك - انه واجبتنا ، انه الفرض الواجب علينا . اصموا الي ايها السادة - هيّا بنا الى بيت رئيس الشرطة ، هو الساهر الذى ما عليه الا ان يغمز دافع السمك او تاجر البحر اثناء سيره . ولن نتمتع بعشب الاكل في بيته وحسب ، بل سنمصب الوست ايضاً» .

ولم ينر هذا الاقتراح اى اعتراض . لان ذكر السمك فتح شهية الحضور وبناء على ذلك ، ما كادوا يسمعون به حتى حدث هجوم على القلاص والقبضات . واذ كانت الزمرة تمر من قاعة المكاتب العامة حس ايضاً ابطونوفيتش في ادب تشيتشيكوف باحذائه لطيفة من وجهه الشبيه بالجرة قائلا «لقد دعت منة الف روسل لاقبال ، ولذلك لم تدفع لي مقابل تعبي الا شيئاً زهيداً جداً» .

فاجابه تشيتشيكوف بهمة معاندة «نعم ، ولكن اى

بوع من لاقئان نظنهم ؟ انهم طائفة ضعفاء لا نفع فيهم .
ولا يساوون حتى تصف هذه القيمة .

وفهم ايضاً انطونوفيتش من هذا ان الرجل ذو
شمعية قوية - رجل لا ينتظر منه ان يدفع اكثر مما
تقل .

وحسن سوبياكيفيتش لمي اذن تشيشتيكيوف «وباي
تمن اشتريت انفسا من پولشكين ؟»

فتستم تشيشتيكيوف قائلاً «ولماذا اخذت المرأة
فوروي الى قانتك ؟»

«فوروي ؟ من فوروي هذه ؟»

«الراة اليزايبست فوروي - اليزايبست وليس
اليزايبستا» .

«لم اعرف اسماً كهذا» . وانضم سوبياكيفيتش الى
الضيوف الآخرين .

ووصلت الزمرة اخيراً الى بيت رئيس الشرطة
وانت الاخير انه رجل ساحر حقاً ، اذ لم يكذب يعلم

بحقيقة الامر حتى دعا شرطياً شديداً تشبطا وحسن في
ادبه مشرعاً ما ، ثم اضاف بصوت عال يقول «لقد

فهمت . اليس كذلك ؟» ثم ركب الاصر بحيث جلس
الضيوف في غرفة جانبية يصبون الوست ، بينما راحت

مائدة الطعام تزخر بسبك الحفش والكافيار والسالمون
والزجر والجبن واللسان المدشى والبطسرخ المطازح

والمنتخب كلها قد احضرت من السوق المحلية واضيفت
اليها اصناف من بيت المضيف نفسه من اطباق مطيخة

قليلة محشوة بانضاريق ، ووجبات سمكة سلمون

خضعة ، وعليرة اخرى محشوة بالسلر وضافان كان
رئيس الشرطة المحترم في الحقيقة ، في مركزه ذاك

كانه اب لاهل المدينة أو ولي نعمتهم ، فكان يسير
بين المواطنين كما يسير المرء بين اهله وذويهم

ويصدق في الاسواق والحوادث كان هذه مستودعات
خاصة له . وقد كان يقوم بواجباته على ما يرام حتى

يتعذر علينا ان نقول فيما اذا كان هو الذي يصلح
لمنصبه ذاك أو ان منصبه هو الذي يصلح له . وقد

استطاع ان يسوي اموره تسوية مرضية بحيث لم
يفقد مرة حب موطنيه مع ان دخله قد اربى على ضعفه

دخل سابقيه . وقد احبه التجار على الاخص جداً ،
لانه لم يتعال عن ان يكون لهم كما يكون الاب لاطفله

ولم يتكبر اذ يأكل الطعام على موالدهم . وكانت له
في الحقيقة خلافات في الرأي معهم - وخلافات خطيرة في

مدا الخسوس لكنه كان دائماً يعنفها بان يحسن
المستاء منهم على كنفه ويشرب معه قديحاً من الشاي

وبعد زيارة في بيته ولعب الشطرنج معه . وكان
يسأل عن شؤون انتاج الفخاصة واذا علم ان له ايضاً

مريضاً وصف له العلاج اللازم . بالانصراف ، كان يتمتع
بسمعة طيبة جداً . وحين يستقل عربته ، ليقفد

الامر ، لا يفوته في الوقت ذاته ان يلقي جملة لهذا
او لذلك «طبيب ، يا ميغييتش ! لا بد ان تسم دورة

بستنا في وقت ما» ، فيرد هذا خالفاً قبعته : «صحيح ،
يا الكسي ايغانوفيتش ، لا بد» . - «طبيب ، يا آخ ايغان

بارامونيتش ، ذرني وانق نظرة على حصاني المبتاق .

أنا واثق أنه سيسبق حسانك ، ولا نفس أيضاً أن تم
حسانك للسباق . لـجرب . « فيستدر ذلك من هذا
التاجر المقتون بالخيسول العداة ابتسامة محصورة
ويقول برحابة صدر ، كما يقال ، مسدداً لحيثه
«لـجرب ، يا الكسي ايفانوفيتش !» وحتى الباعة ي
الحوادث ابدين كانوا يقعون عادة في مثل هذا الورن
وقباحتهم نايدهم فقد كانوا جميعاً يتبادلون النظرات
فما بينهم بارتياج ، ولسان حالهم يقول «الكسي
ايفانوفيتش رجل معتبر !» وباختصار استطاع أن يحضر
بشمسية ثامة ، وكان رأى النجار أن الكسي ايفانوفيتش
«على ولهم حبه للرشوة ، لن يمشي بك أبداً» .

وما أن رأى رب البيت أن المالدة مهيأة حتى اقترح
على ضيوفه أن يؤجوا لصة الوست الى ما بعد الغداء ،
ودعوا كلهم الى غرفة الطعام حيث كانت ممد زمن غير
قليل تنيبت منها الى خياشيمهم رلعة شهية وحيث كان
سوباكفيتش بالذات يوجه انظاره الى سمكة حضي
ضخمة موضوعة على الحوان . وبعد أن تناول كل فرد
منهم كأساً من الفودكا الزيتية اللوز فودكا ذات لون
لا يرى الا في ذلك النوع من احجار سيبيريا الذي
تصنع منه الاختام - انكب القوم على الاشواء
والسكاكين ، وبصلهم هذا تجلت ميزاتهم وادواقهم
المختلفة . فقد استلّف سوباكفيتش مثلاً على الزهيد
التافه من الطعام وتوجه الى سمكة الحفش الكبيرة .
وبينما كان ملاؤه الصوف ياكلون خفيف الطعام
ويشربون ويتحدثون تمكن من أن يستهم معظم

لسمكة . حتى أن رب البيت لما تذكر هذا المخلوقة
وتوجه ابها وهو يحمل الشوكة في يده بأثلاً «ها رايمك
يا السادة في انتاج الطبيعة لعجيب هذا ؟» تيسر له
أن انتاج الطبيعة العجيب لم يبق منه الا ما يزيد قليلاً
عن الذئب . هذا بينما كان سوباكفيتش - وأقل ما
يدل عليه مظهره أنه لم ياكلها - كان مصباً بفرز
شوكته في سمكة أخرى أقل من سابقتها حجماً ، كانت
منقاة في طبق قريب . وبعد أن هجر السمك لم ياكل
ولم يشرب شيئاً آخر بل جلس على كرسيه ذي المتكأ
متجنباً راضياً .

وما كان رب البيت بالبعيل بالحر ، لأن الانخاب
التي شربت كانت لا تحصى . جرع اوها (كما قد
يتصور القاري) نخب مالت خارسون الجديد ، وثانيهما
حب تومقه في فلاحه وتقمهم سلام ، وثالثهما نخب
جمال زوجته المقلدة - تحية جلست شعتي بطلب ثرفان
بتساماً . وأخيراً وحده اليه التجمع دعوة حارة اجتماعية
بان يمدد اقامته في المدينة اسبوعين آخرين على الأقل
وان يسمح في الوقت نفسه بالتفتيش عن روجة به .
- لا ، يا بافل ايفانوفيتش ! لك أن تقول ما تشاء ،
ولكن هذا يشبه تبريد الجو . نصل الى العتبة ، ثم تعود
من حيث آتيت ! يحب أن تحصى بعض الوقت معنا
وستروجت ، ايسس كذلك ، يا ايفان غريغورفيتش ،
زوجه ؟

وافق الرئيس قائلًا «تماماً كذلك . اثنا مصمون
على رواجك حتى لو قاتلنا بالباع والدرع . لقد اوقعت

الحظ بينما ولن تشد على ذلك ، واننا في الامر لجادون» .

فقال تشيتشيكوف باسم «لكن لماذا اقايتكم ساع والذراع ؟ ان الزواج لا يأتي عرماً . لو كانت نسي خطيبة فقط . . .»

«اذن ستكون لك خطيبة . لم لا انما سنعمل حسب رغبتك» .

فوافق تشيتشيكوف قائلا «حسن جدا» .

صاحت الجماعة «الله درك ! الله درك ! يعيش بافيل ايفانوفيتش مرحي ! مرحي ! وبهذا ادنى كل واحد منهم كاسه الى كاسه ، وكان قرع الكؤوس ، واحد هو يلقى التحيات ، يتلقاها مرارا عديدة على التوالي . وكان مرح الجماعة في الواقع يزداد سرور الوقت ، حتى ان الرئيس (وهو رجل شديد اللطف حين تسيطر عليه كاسه) عانق صيف الساعة بالكلمات العاطفية التالية «يا عز انسان ! يا اعل صديق لدى ! لا ، بل راح يرقص حول الكرسي الذي جلس عليه الضيف ويعرق باصابعه ويغني مقاطع من اغنية شعبية . وتبع التسميانيا بييد هتافى زاد في حيوية الجماعة وانتهاج عواطفهم . عندئذ كان كل منهم قد نسي همه الوست واستسلم للبهيج والجدل . ولقد بحثوا كل المواضيع التي تقبل البحث بما في ذلك الشؤون لسياسية والحرية . وقد ابدى الضيف بهذا الخصوص آراء وكيكة ذفاه لو سمعوها من ايمانهم في غير هذ الوقت لصفعهم عليها صفعا شديدا . وحلوا

العديد من القضايا المعقدة . وقد احس تشيتشيكوف كاشفة بمرح ليس له به عهد من قبل ، فتوهم انه صاحب حارسون بحق ، وراح بتكلم عن اصلاحات زراعية مختلفة وعن النظام الثلاثي لاستغلال الارض ، وعن النهضة والسعادة في التلاو روحين متضابيين . وراح يروي شعرا لسوبياكيفيتش الذي كان يرمش وهو يسمع لان به رغبة شديدة للنوم ، واخيرا ، ادرك صيف الساعة ان الامور قد وصلت حدها فطلب ايصاله الى مقربه . وهينئت عربة الصدمي العام من نوع دروزكي لهد الغرض . وكان سائق العربة لجمن الحظ رجلا حيرا في عمله ، اذ استطاع ان يمسك الاعنة بيد واحدة وان يستند الى الخلف ويسك تشيتشيكوف باييد الاخرى امساكة ثقبه من الخوف . واستمر بطنا يترن حول ثلثة ذات شعر اشقر وشفتين ورديتين وعمامة على خدها الايمن وعن راس ماله وقراه نسي حارسون الى ان دخل البزل . وليس ذلك فقط ، بل اصدر اوامر عاليه الى سيليفان ان يذهب ويجتمع الملاحين الذين سيقلمهم ويعد لالة كائنة مفضلة عنهم . واستمع له سيليفان برهة وهو صامت ، ثم ترك الغرفة وذهب الى بتروشكا يطلب منه ان يساعد السيد في جمع ملايسه . وكما حصل ، فم تكذ تنزع صلا تشيتشيكوف حتى اكمل بقية المهمة بنفسه دون

* الطريقة التي يدرج بها ثلثا لارض ويترك الثلث يورا . الثاني .

مساعدة ، وتخرج على الممرير (الذى صرف صريلاً مزعجاً عندئذ) وغرق في نوم عميق يلبق من جميع الوجوه بملوك خارسون . سبما أخذ بتروشكا معظم السيد وسراويله العتيبة الى الممر حيث نشرهما على مرج حصان وراح يحسبهما بالفريجون ويملأ الممركة غباراً . واذا كان بهم يارجاءهما الى غرفة سيده ، نظر عبر الزقاق فرأى سينيكان راجعاً من الاسطبل . فتودلت بينهما النظرات وتوصل الاثنان الى تعاظم غريرى . تعاظم على أن السيد قائم نوعاً عميقاً وأن من واجب المرء الآن ان يلتفت الى متعته الخاصة وبناء على ذلك ، أرجع بتروشكا المصطقب والسراويل الى موضعيهما ونزل السلم ثم غادر النزل برفقة سيلسن ولم تدر بينهما كلمة واحدة عن هدف مهمتهما بل عن العكس راحا يتحدثان عن امور خارجية . إلا أن مسيرهم لم يبتعد بهما كثيراً ، بل قادهما الى النخبة الأخرى من الشوارع ثم الى شاة تقابل الفندق مباشرة ، واجتازا باباً راجعياً ثم دخلا غرفة فيها بعض الرجال الجالسين الى موائد خشبية صغيرة ملتصين وغير منتجين ، بعضهم في معاطف فرائية والبعض الآخر في قمصان لا غير ، وآخرون في معاطف من السبيج الخشن . اما هذا عمل سيلينغان وبتروشكا بعد ذلك فهذا ما لا يعلمه الا الله . على أية حال فقد خرجا بعد ساعة من الزمن وهما صامتان صمتاً عميقاً وكل منهما يتأبط ذراع الآخر ويتشبث به تشبثاً غريباً ، وكل منهما على استعداد دائم لمساعدة أخيه عند مرورهما

برادية مظلمة . وصرفا ربع الساعة التالية في محاولة صعود سبم النزل ، وهما لا يزالان مشتكين مما ولم يتركا نعضهما لحظة واحدة . وأخيراً تمكنّا من الصعود وساروا في طريقهما . ووقف بتروشكا يفكر برهة أمام فراشه الصغير الحثير . كانت المشككة أمامه هي كيف يمكن ان يضطجع عليه . وأخيراً ، اضطجع على وجهه ورجلاه ترفلان على الأرض . ثم اضطجع سينيكان على الفراش نفسه أيضاً وأرأسه على خصر بتروشكا وهو غافل كل العقلة عن نومه هنا لا يجوز إطلاقاً بل يجب أن ينام في مكان الحشم أو في الاسطبل قرب الخيول . ولم تكد تمضي لحظة واحدة حتى غرق الاثنان في النوم وواحا يصعدان شيئاً أجش أجاب عليه سيدهما من الباب المجاور بشخير انفي شى صغير . ولم يمض في الواقع وقت طويل حتى هذا حدرهما المريح كل من في النزل . وبدا الفئق وكأنه غارق في بحر الراحة العميقة . إلا أن بورا كان لا يزال سعيثاً من غرفة الملازم الذى وصل حديثاً من ريزان . كان جليثاً أنه مفتون بالاحذية لأنه اشترى أربعة أزواج وهو يحاول الآن شراء الخامس . وقصد اقتراب حرات عديدة من الفراش قاصداً ان يحلج الحذاء ويأوى الى مصجعه ، ولكنه فشل في كل مرة من هذه المرات لأن الحذاء كان مغزياً جداً بحيث لم يجد أمامه بداً من أن يربح أولاً إحدى قدميه ثم الأخرى ليتأمل في حوائسى الحذاء الأنيقة .

معتبراً . أنا مستعد أن أقطع رأسي إذا لم يكونوا فلاحو
تشيتشيكوف لصوفاً أو سكيرين إلى آخر درجة ، أو
تأبلة تماماً أو شقاة مشاكسين . - «بالضبط ،
بالضبط . أنا متفق معك ، صحيح لا أحد يبيع فاساً
معتبرين ، وفلاحو تشيتشيكوف هؤلاء سكيرون ، ولكن
يجب الانتباه إلى أن ذلك هو ما يسمى بالمعنوية . هنا
تمب المعنوية دورها . إن هؤلاء عاطلون لأن لا
يعمون لشيء ، ولكن حالما يستوطنون أرضاً جديدة
حتى يمكن أن يصيروا رعياً ممتازين . وهناك أمثلة
غير قليلة على ذلك في عالمنا الراهن ، وفي التاريخ
أيضاً . - «مستحيل ، مستحيل ، - قال مدير العمال
العنكومية - صدقوني ، هذا لا يحصل أبداً . لأنه
سيكون للفلاح تشيتشيكوف الآن عدوان قويان . العدو
لأول هو القرب من ولايات اوكرانيا ، حيث يبيع الحمة ،
كما نعرفون ، بلا قيود . أنا أؤكد لكم أنهم خلال
أسبوعين سيحبسون جرادل من الفودكا ، ويصيرون
سكارى طينة . والعدو الآخر هو النقص على حياة
التصعيل التي لا بد أن تلحق بالفلاحين عند الانتقال .
ويجب أن يكونوا دائماً تحت مراقبة تشيتشيكوف ، وأن
يصنعهم بيد من حديد ، ويقاومهم على كل خطوة ، ولا
يعتمد في ذلك على شخص آخر ، بل أن يدخهم ويصنعهم
على القفا بيديه هو وكما يجب . - «ولماذا يكلف
تشيتشيكوف نفسه ، ويصنعهم على القفا . يمكنه أن
يحصل على مدير أعمال» . - «أي نعم ، وكيل أعمال .
كلهم تحت يدي» - «صائبون ، لأن الأسبياد لا

سريعان ما أصبحت مشروبات تشيتشيكوف حديث
المدينة ، واختتمت الآراء فيما إذا كان من الصعب
شراء لأقنن من بلد وتقلهم إلى بلد آخر . وفي الحقيقة
كان اهتمام بعض المواطنين في الأمر اهتماماً بالغ
الشدة وكان آخرون يقولون «بالطبع ، لا اعتراض
لأحد على ذلك . فإن الأراضي في الولايات الجنوبية
جيدة ونسبة ، ولكن كيف سيدير فلاحو تشيتشيكوف
أموالهم بدون ماء ؟ وفي تلك المنطقة لا يوجد أي بحر .
«لا يهم كثيراً ، إذا لا يوجد ماء ، لا بأس ، يس
ستيبان دميترييفتش ، ولكن توطينهم مسألة مشكوك
فيها . أنت تعرف الفلاح ، إذا استوطن أرضاً جديدة ،
وتوجب عليه أن يحرقها ويررعها علاوة على ذلك ، بينما
هو لا يملك بيتاً ، ولا ملحقاته ، هروبه مؤكد مثل
أثنين وأثنين تساوي أربعة . سيهرب دون أن تترك
له أثر» . - «لا ، يا الكسي ايفانوفيتش ، وأرجو
المعدة ، أنا لا أتفق معك . أنت تقول فلاحو
تشيتشيكوف سيهربون . الروسي يتلازم مع كل شيء ،
ويتعود على كل مناخ . أرسله إلى كامتشاتكا ، وإعطه
قنارين دافئين ، واستراه بصرب كفيه ، ويمسك
الباس ، ونخرج لقطع الأشجار ، ويصنع منها كوخاً
جديداً له» . - «ولكنك ، يا ايفان غريغوريفيتش فانت
شيء مهم . أنت لم تسأل أي فلاحين هم فلاحو
تشيتشيكوف . ونسيت أن المالك لن يبيع شخصاً

ان راحيا راحيا سموحه تشيتشيكوف ، وان قسى
امكانه ان يكون بين فلاحيه بمثابة الاب لتطبيق حتى
التعليم الاحسانى وذكر يشاء كبير مدرسة للتعليم
استاد في مدينة لانكاسير .

هكذا تكلموا في المدينة حتى أنهم راحوا ينصحون
لشركى باستصحاب الحرس الكافى لكي يؤمن وصول
القافلة الى مقرها سلام . ومع ان تشيتشيكوف شكر
لصاحبين نصيحتهم وقال بأنه سيكون مسرورا بلجوه
الى هذه الحيلة اذا اقتضى الامر ، الا انه اعلى ايضا
بان ليس هناك من حاجة ماسة للحراسة لأن الفلاحين
الذين انتاعهم قوم صالحون كل المسالمة ، وما أنهم
موافقون في الاصل على فكرة النقل فمما لا ريب فيه أنهم
سيسسبون القياد .

ومن النتائج الحميدة التى انبثقت عن هذه الدعاية
لشروعه ان أصبح يعد في عيون الناس من أصحابه
للملايين لا اكثر من ذلك ولا اقل ، وبناء على ذلك ،
دعا ان سكان المدينة قد احبوا بطلنا لأول وهمة
(كم مر بنا في الفصل الاول) ، فقد احبوه الآن اكثر
من اى وقت مضى . وقد كانوا في حقيقة الامر
معتبرا يتميزون تميزا فريدا بالهدوء والطيرة وسلامة
المزاج وكانت احاديثهم على هذا الشكل البسيط الوديع
«عزيزي الفاضل ، ايليا ايليتش» ، «اسمع ، يا اخ ،
انتيااتور زخارافيتش» ، «الآن يا عزيزي ايفان
غريغورييفيتش» . وكانوا يضيئون دائما لمدير البريد
المدعو ايفان انرييفيتش «شمريغين دى ديتش» ، يا

ينشغلون بأعمالهم . ائده كثيرون قائلين : «صحيح ،
يجب ان يعرف السيد ، ولو قليلا عن ادارة أعماله ،
وبقدر ان يميز بين الناس . وعند ذلك سيكون له
دائما وكيل أعمال جيد» . ولكن مدير الأعمال قال -
ياقل من خمسة آلاف لا يمكن ايجاد مدير أعمال جيد .
ولكن الرئيس قال - يمكن ايجاده وحتى بثلاثة آلاف .
ولكن مدير الأعمال قال : «أين تعده ؟ تحت أمث ؟»
ولكن الرئيس قال : «لا ، ليس تحت أنفي ، ولكنه في
هذا القضاء ولا ابعد منه . وبالذات بيتر بيتروفيتش
سامويلوف ، فهو مدير الأعمال اللازم للفلاحين
تشيتشيكوف ، وتفهم الكثيرون وضع تشيتشيكوف
يشكل جيد ، كما اوعيتهم للغاية صعوبة إعادة اسكان
هذا العدد الكبير من الفلاحين ، فآخذوا يبدون معاوهم
الشديدة من ان يحصل كل شيء ، وحتى العصيان . بين
أناس مشاعيين ، كعلاحي تشيتشيكوف . وبهذا الصدد
لاحظ مدير الشرطة ان لا خوف من العصيان ، وان
سلطه مأمور مركزها وولت إلا لتقمع هذا العصيان ،
وان مأمور هذا المركز ، وإن كان نفسه لا يخرج ، إلا
ان سيرسل بدلا منه قبضته الرسمية ، وهذه القصة
وحدها ستطارد الفلاحين الى حيث يقيمون . وعرض
الكثيرون آراءهم بخصوص كيفية استئصال روح التمرد
التي استوتت على فلاحى تشيتشيكوف . وكانت الآراء
من مختلف الاصناف ، ومن بينها كانت تقترح القسوة
المسكينة والصرامة الزائدة تقريبا . وبالمقابل ، كانت
هناك آراء تنم عن روح التساهل . وذكر مدير البريد

ايفان أندرويتش ٩» (أى «أنتكلم بالالمانية»)
 وباحتصار كانوا في جو عالي ممتاز . وكان الكثيرون
 منهم ليسوا بلا ثقافة تماما . ف رئيس المجلس المعني
 مثلا ، كان يحفظ عن ظهر قلب قصيدته «لودميلا»
 للشاعر جوكوفسكي التي كانت آنذاك في أول ديوعها
 فادما ما تلاها ووصل الى المقطع الذي يقول فيه «ان
 اليوم خيم على غابة الصبور» والوادي في هدوء» وكلمة
 «اصتوت» التي قلبي ذلك ، فانه يضع في القائه من
 الايقاع التأثيرى ما يجعل المرء يتصور ان السوم
 والهدوء قد حيا على الغابة والوادي حقا . ويبلغ
 التأثير ذروته في الحقيقة بالطريقة التي يسيل فيها
 اجفانه في تلك اللحظات . اما مدير البريد فقد كان
 اتجاهه اتجاها فلسفيا فكان يواظب على قراءة كتب من
 امثال «خواطر الليالسي» للكاتب يونسخ ، و«اسرار
 الطبيعة» لايكارتسهاوزن ، وكان يستشهد من الاخير
 بمقاطع عديدة لا يفهم سامعوه منها شيئا . ولما عدا
 ذلك كان ذكيا فصيحاً مفهماً يتميق الكلام وزخرفته .
 فيستعمل لهذا الغرض تعابير كالتالية - «يا سيدي
 العزيز» ، «الله اعلم» ، «هل عرفت» ، «هل فهم» ،
 «هل تصورو» ، «نسيئا» ، «مثلا» ، «وبالاضافة الى
 ذلك» ، «الخب» ، «الخب» - تعابير يستطيع ان يملأ منها
 اكياسا . ويستطيع ان يزخرف كلامه ايضا بطريقة
 اخرى ، وهي ان يسيل احد اجفانه فتصبح عيه بين
 الخضم والخضم حيلة كانت تضفي على تعليقاته
 السخرة اثرًا لاذعا . ولم يكن رعاؤه اقل منه المما .

كان احدهم مثلا ، لا ينفك يقرأ مؤلفات كرازين
 التاريخية ، وآخر لا ينقطع عن تصفح «جريدة موسكو» .
 وثالث لم يفتح كتابا ابدا . والبعض الآخر كان مما
 يدعى «البعوضة» اي ذلك الذي اذا اردت ان تنفضه
 فلا بد ان تنقره بشيء ما . والبعض الآخر كان تنبلا .
 قص عمره كله مستلقيا على جنبه ، كما يقول المثل ،
 بن روى العتب ان تجرب وتنفضه من مكانه . فانه لن
 يبارح مكانه في كل الاحول . اما من حيث المظهر فهم
 كما هو معروف ، اناس يصطحبهم عبيدهم ، ولن تجد ابي
 صوب بينهم . ومع انهم في حياتهم الداخلية ينادون
 من قبل نساءهم باللقاب مثل «ابو كرش» و«برميل»
 و«فار» و«عزيري» الا انهم كانوا في الواقع على قسط
 كبير من حسن التية وطية القلب دوى كرم حاتسي
 يفتحون قلوبهم لكل من شاطرهم الخبز والبلح او قصي
 معهم لمة في بعية الزوق ، وخصوصا لتشيتشيكوف
 الذي يعرف اسرار الفسة بدقة واحكام . لهذه الخصائص
 الطيبة التي كان يتحل بها اهل المدينة اصبح
 تشيتشيكوف موصع الاعجاب والتقدير ، بحيث عاد من
 الصعب عليه ان يترك البلد الذي ايسا حل فيه طلت
 في اديبه جملة واحدة لا تقيم وهي «ابق معنا اسبوعا»
 آخر يا بافيل ايفانوفيتش» . باختصار ، اصبح يحس
 بانه محاط بالقلب وريس له من الحرية ما يستطيع
 ان يعمل بها ما يشاء . ولكن الوقع المدهش حقا (وهو
 امر لا يخلو من الغرابة) هو ذلك الذي تركه
 تشيتشيكوف في قلوب السيدات . ولكي استطاع ان

أشرح هذه الظاهرة شرحاً وافياً عليّ أن أقول الكثير عن السيدات أنفسهن وأن أصف علاقاتهن الاجتماعية ومميزاتهن الروحانية وصفاً جليلاً في أوضاع الألوان . ولكن أمراً كهذا سيكون شاقاً عسيراً عليّ سببين - أولهما هو احترامي العميق لجميع نساء الموظفين المدنيين ، وثانيهما . . . أجل . . . أن الأمر نفسه صعب حقاً . على أية حال فإن نساء مدينة «ن» كن . . . لكن لا . . . لا أستطيع . . . إن قلبي سيخذلني . أن نساء مدينة «ن» يتميزن . . . لكن لا لا فائدة ، أن الريشة تأتي أن تتحرك على الورقة وكأنها انفتحت بالعديد . وما دام الأمر كذلك ، فسأكتفي بكلمة أو كلمتين عابرتين عن مزاياهن الطاغية وصفاتهن البارزة ، وكلمة أو كلمتين عن المظهر والمظهر ثم كلمة أو كلمتين عن مصطلحات الأمور . كانت نساء «ن» يتميزن أكثر مما يتميزن بالوساعة . ويمكن اعتبارهن من هذه الناحية نموذجاً لنساء المدن الأخرى ، أي الهن كن يعيشن على أصول اللياقة ويتمنّ قواعد الريشة ويتابعن الطراز الحديث بهتمام كبير . وهنّ فيما يخصن بهذا الشأن يتبرزن سيدات موسكو وبطرسبورج من حيث أن لهنّ ذوقاً رقيقاً في الملابس ولا يركبن في العربات إلا إذا كانت على أحدث طراز وإذا ما خرجن مصطحبن معهن العارس الذي يرتدى البدلة القصية وهنّ يقدسن بطاقات الزيارة . . . حتى لو كتبت لسبب من الأسباب على ورقة الأس الديباري أو الاتين الاسياتي . كانت هذه الأمور في موضع كبير من القداسة ، حتى أن صديقتين

حبيبتين جداً كانت تربطهما أخت متينة منذ أمد بعيد ، احتجت مرة من المرات وانقطع بينهما حل الوداد لأن أحدهما لم تردّ الزيارة للأخرى ! ومع أن الأرواح والأنايب تحسّلوا بين المتنازعتين لأصلاح ذات النبين . إلاّ بهم أدركوا آخر الأمر أن كل شيء في هذا العالم يمكن أن يفترق إلاّ هناك الزيارة . وهكذا بقيت كتابا اتسبتين تتبادلان النقاء على حد تغيير المجتمع انسي . وكانت بين الحين والحين تظهر مشاهد حول الإصليّة ولاسيقة بين النساء - مشاهد من ذلك النوع إندي أثار في قلوب الأزواج مشاعر الغروسيّة واندماجات حول الجنس اللطيف وحمايته إلاّ أن صاررة لم تحدث بينهم قط ، وودك لأن كل الأرواح كانوا موظفين في خدمة الحكومة . إلاّ أن الخصم كان يوقع بحصمه اذى شديداً كلما منحت له الفرصة ، وصر امر قد يكون أكثر اضراماً بالخصم من المبارزة . أما بما يخصن بالاحلاق فقد كانت نساء «ن» محافظات جداً ، وكانت مصيبتهنّ تبصهنّ يتميزون تحفظاً إذا ما سمعن عن حادثة من حوادث الرذيلة . لا ، حتى أبهن على مجرد الدين كن يسجنن سوطاً خالياً من الرحمة . أما من الناحية الأخرى ، نادا هنّ ذكر من يسمّى عدة «ياشخص اسائب» في حصة كنّ فيها ، فانه يمر بشكل لا يسترعى الانتباه وفي غاية الكتمان ، حتى لزوج الذي يسهه هذا الكلام يدنو وكأنه على أهبة الاستعداد ، مما يو رأى «الشخص الغائب» أو سمع عنه ، أن يقول بلطف وتعقل «وما شأن هؤلاء القوم بين الصديق

والصديق ؟» وبالإضافة الى ذلك ، يجب ان أقول بان
نساء مدينة «ن» يشبهن عالم السماء في مدينته
بطرسيبورج من حيث اغرقهن في استعمال التعابير
اللائقة وحرصهن على اختيار الكلمات الرقيقة . فلم تكن
سيدة متهم تقول «مخطت» أو «عزقت» أو «بصقت» .
لا ، أبداً بل كانت تقول مثلاً «زحمت الحب» عن أنفسي
باستعمال المندبل» أو ما شابه ذلك . وكان من المحذور
أيضاً ان تقول «هذه الكأس أو هذا الطبق ذو رائحة
كريهة» . حتى الإشارة الى كلمة كهذه كانت لا تليق
بتقار . ولكن التعبير المناسب في هذه الحالة هو ان
تقول «ان هذه الكأس أو هذا الطبق لا يبدو طيباً» -
أو أي تعبير آخر من هذا القبيل . وهن من أجل تهديب
اللغة الروسية تهديباً كاملاً ، حذرن نصف كلماتها ،
فكان عليهن والحالة هذه أن يبدآن الى اللغة الفرنسية ،
لأن الكلمات نفسها اذا قيلت باللغة الفرنسية كانت
شيئاً آخر مختلفاً اختلافاً كلياً ، ويستطيع المرء ان
يستعمل كلمات أكثر فظافة من تلك التي كانت موضع
اعتراض في الاصل . وإذا شئنا أن نحصر أنفسنا في
نطاق الملاحظات السطحية عن نساء مدينة «ن» ، فليما
قلناه الكفاية . ولا حاجة بنا الى القول بان التعمق
أكثر من ذلك سيكشف عن خفايا كثيرة أخرى . لكن
التعمق في ذنوب السيدات غير سليم العواقب . فلتلزم
السطحيات ادن ولنكمل الحديث . كان السيدات ما قبل
ذلك لا يعرفن تشيتشبيكوف اهتماماً خاصاً مع أنهن
يعترفن له بحسن السلوك ولطف المعشر . أما الآن وقد

سرت الشائعات القاتلة بأنه صاحب ملايين فقد أخذت
تبرر له صفات أخرى . ولم تكن تسيطر على كل
السيدات مصلحة ذاتية من وراء ذلك . انما الواقع ان
اسبب هو لقب «صاحب الملايين» لا مميزات الشخص
الذي يحمل اللقب فلهن هذه الكلمة اثر بلا حدود في
عوس العالم كله : المحترمين منهم والاندال ومن هم
لسوا بأولئك ولا بهؤلاء . وصاحب الملايين يعاني دائماً
من رزية الوضاعة في كل مكان - الوضاعة الحاصلة
بوجه انه ، الخالية من المصلحة . فكثير من الناس
يعصرون جيداً أنهم لن يستفيدوا منه قطميراً ، ولكنهم
مع ذلك يلاحقونه بابتساعاتهم ورفع قبعاتهم ويسعون
جههم لحضور الولائم التي يعرفون انه ذاهب اليها
بغية انتشرف بالمثول في حضرة صاحب الملايين . لا
يمكن القول ان هذا النوع من الوضاعة استولى على
سيدات مدينة «ن» بطبيعة الحال . ومع ذلك فانهن
يتهايمن في محاللات الاستقبال بأن تشيتشبيكوف إن
لم يكن آية في العمال فهو على الأقل كما يجب ان يكون
ارجل . ومن الاسوأ لوكان أكثر سمنة أو أكثر نحافة .
وهي هذه المناسبات كانت تصدو تعليقات جارحة عن
الارواح النحاف وتشبيهات تصفهم بأنهم يشبهون
مسواك الاسنان أكثر مما يشبهون الرجال - وتشبيهات
سوية مماثلة أخرى . وأخذت السيدات يبدن اهتماماً
خاصاً بملاسهن وزينتتهن . فانتقلت حاهيرهن الى
السوق حتى أصبحت مكتظة بهن مزدحمة ، واصطفت
عرباتهن فيها في صفوف طويلة جداً كأنها في موكب

تدعو تشيبتشيكوف الى الانطلاق معها في البراري وترك المدينة الى الابد نظراً لكابوس الضوضاء والحوادث الذي لا يكاد البرء يستطيع فيه التقاط انفاسه . وفي نهاية الرسالة تكشف الكاتبة عن ياس عميق مأسع سالي :

قهرية الوادي متبغى اعطى
وهديله النوح يهتف قائلاً

من قبرها يوماً وصفه تروها
عي لقد صابت لمرط وحدها واساها

احل ان البيت الاخير مكسور ، ولكن لا أهمية لذلك إطلاقاً ، فالرباعيات التي نظم الشعر على اساسها هي آخر طراز من نظم الشعر في تلك الآونة . وكانت الرسالة حلوا من التوقيع والتاريخ ، ولكن الحقت بها حاشية تقول بان قلب تشيبتشيكوف سوف يدله على شخصية كاتبة الرسالة ، وانها بالاصابة الى ذلك سوف تحصر الحلقة الراقصة التي سيقومها حاكم الولاية في منزله في الليلة القادمة .

كان اهتمام تشيبتشيكوف بهذه الرسالة كبيراً جداً . فقد كان فيها في الحقيقة كثير من التموض والغرابه مما جعله يسعد قراءتها مرة ثانية وثالثة ويقول اخيراً «كم كنت اتمنى لو اعرف من ارسلها» . خلاصة انقول انه احد ينظر الى القضية نظرة جادة ، وراح يفكر فيها اكثر من ساعة . وبعد لاي من الشرود ، تمتم بصبح كلمات

حافل . اما التجار فكانت لهم الفرحة الكبرى عندما راوا ان البضائع النفيسة العالية التي تكدمت لديهم منذ امد طويل دون ان تجد شاربياً يشتريها ، تصبح بجاناً موضع العجب وتنفذ في لمح البصر . وحدث مرة ان ذهبت سيدة الى الصلاة بثوب مفوش يكاد يحلأ قاعة الكنيسة بحيث اصطر ضابط الشرطة ان يطلب من عامة الناس التراجع الى المنزل مخافة ان يتلصوث ثوب السيدة . حتى ان تشيبتشيكوف نفسه لم يستطيع بيه ويبس نفسه الا ان يترك الاهتمام العظيم الذي اثار . وقد رجع مرة الى البرل فوجد رسالة معنونة باسمه . ولم يجد سبيلا لمعرفة المصدر الذي جاءت منه او معرفة الشخص الذي اتوصلها ، لان خادم البرل قال له بان حامل الرسالة رفض ان يذكر شيئاً . كانت الرسالة تبتدى راساً بالكلمات التالية «يجب ان اكتب اليك» ثم تستمر فتقول بان هناك رباطاً روحياً وثيقاً يربط ما بين نفسيين متماثلتين . ولتأكيد هذه الحقيقة وضعت بعدها قطعاً كثيرة جداً تملا عدداً من السطور يكاد يقارب نصف سطور الرسالة . وتلا ذلك بعض التأملات الفكرية الصادقة جداً بحيث لا اجد بدءاً من ان اضمح لتقاري بنصها . قالت كاتبة الرسالة «واني لأتمناى ، ما هي حياتنا ؟ انها ليست غير وحدة من الثبور . واتسائل ايضاً ما هو العالم ؟ انه ليس الا جمهرة من البشر لا يفكرون» . ومن ثم تقول بانها ذرفت دموعاً غالية على ذكرى امها العزيزة التي توفيت قبل خمسة وعشرين عاماً ، ومن ثم فان الكاتبة (وهي ما عرضناه في البدء)

عن اسلوب الرسالة اليراق تم طواها وبضعها في صندوق المراسلات ومعها تذكرة للمسرح وبطاقة دعوة الى حفلة زواج كانت تقيم في هذا الموضع من هذا الصندوق مبد سبعة اعوام . وبعد هتية من الرمن وصلت دعوة الى حفلة حاكم الولاية للراقصة التي مر ذكرها . ويمكن ان نذكر على معنى الكلام ان حفلات من هذا القبيل هي ظاهرة عامة في مدن الاقاليم . فعين يوجد حاكم الولاية لا يد ان تكون حفلات تبهت في قلوب النبلاء مشاعر الحب والاحترام .

وبعد تلك الحفلة طرح تشيتشيكوف جاسا كر فكر آخر ، وجعل همه الاستعداد للمناسبة المقبلة . اما هذه المناسبة المثيرة فقد حصلت تشيتشيكوف في الحقيقة يكرس العناية بهشامه وثنا لم يكرسه انسان منذ بدء الخليقة . اصاح ساعة كاملة في قاهر وجهه في المرأة عندما وقف امامها يدرس ملامحه لمختلفة من الانفعالات استعمله بدا اول الامر باسباغ امارات العظمة والاهمية ، على علامه ثم اسخ عليها امارات لتوضع الوقور المختلط بسعة من التهكم ، ثم امارات لوقار الحاضر الذي لا يحاطه شيء . ويالتى ، احد يقوم بسلسلة من الانحناءات تتلام مع نوع اللامع الظاهرة على وجهه ، ويتمم بكلمات يقصد منها ان تشابه التماثيل العرمنية في وقها في السمع (مع ان تشيتشيكوف لم يكن يعرف كلمة واحدة من تلك اللغة) . واخيرا ، قام باجراء سلسلة اخرى مما يمكن ان نسميه «علامات الاستغراب» كهمس العاجيين ورم

اثنين وتحريك اللسان حركات مختلفة شتى . وحلاصة القول ، انه عمل كل ما يحتمل ان يجعله انسان عندما يكون وحيدا وعندما يتأكد من انه وسيم الهيئة ومن ان احدا لا يتفحص عليه من ثقب من الثقوب وفي النهاية ربت بيده على ذقنه تريبنا خفيفا وقال «مكدا نكون الرجوة» . وعلى هذا المستوى من الصنويات «بالية ظن» اناء ارتدائه ملابسه استعدادا لحفلة فكدن وهو يعدل حاملة السراويل ويربط ربطة العنق يحرك قدميه حركة لا نستطيع ان نقول عنها بثقة انها الرقص . ولكن يمكن ان نسميها حركة الاستعداد للرقص . ولم تكن هذا العمل نتائج وخيمة جدا ، فكل ما حدث هو ان ضرب باب حراة التياب ضربة جعلتها توثق على الانقلاب وزلقت فرشاة من على المتضمة وانخطت على الارض .

وكان لدخوله صالة الرقص فيما بعد ، اثر لا يبرزه اثر آخر . وهرع كل الحضور الى ملاقاته ، وبفضهم يحمل أوراق اللعب في يده . حتى ان احد الرجال قطع حديثه عند نقطة هامة جدا - عند النقطة التي كان يقول فيها ان «دائرة الاراضي المحلية احابة على هذا . . .» فقد طرح المتكلم جواب دائرة الاراضي جانيا ورعى كل تفكير آخر في الهواء وهرول الى تحية بطيما . «بايسل ايغانوفيتش ! آه ، يا ربه ، بايسل ايغانوفيتش ! يا باغل ايغانوفيتش الكريم - بايسل ايغانوفيتش المبجل يا وحي ، يا باغل ايغانوفيتش . ها انت هنا ، يا باغل ايغانوفيتش ! ها هو ، عريضا

بافل ايفانوفيتش ! اسمح لي ان احضنك . يا بايسل ايفانوفيتش هاتوه هنا ، لأقبله لأقبل عزيزي بالير ايفانوفيتش قبلة حارة » . وانهالت كلمات الترحيب على تشيشيكوف من كل حذب وهبوب واحس بأنه غارد في بحر من العناق . فلم يكد ينتزع نفسه من ذراعي رئيس المجلس المحلي حتى وجد نفسه محتضاً بقوة بين ذراعي رئيس الشرطة الذي سلبه بدوره الى مفتش دائرة الصحة وهذا بدوره سلبه الى مدير الجبهة وهذا أيضاً عهد به الى مهتدس المدينة . حتى حاكم الولاية الذي كان واقفاً في تلك الآونة بين جمع من النساء ، يعمل في إحدى يديه عليه من الحلوى وفي الأخرى كيباً صغيراً ، رمى من يديه في تلك اللحظة عليه الحمى والكلب الصغير (وقد صدر من الكلب تأوه لهذا العمر) واشترك في معاقبة الصيف مع بقية الجمع . ونفس الحقيقة ، لم يكن يبدو وجه واحد لم ترقص عليه نشوة السرور ، أو على الأقل انكاس نشوة السرور الظاهرة على وجوه الآخرين . هذه النشوة تراها أيضاً في وجوه صغار الموظفين عندما يأتي إليهم المدير الجديد ويرفع من تعتيشه الدقيق ويبدأون ينتشلون أنفسهم من وحدة الرعب التي لفتهم اول الامر ، ويرزون ان ما يوجب انشاء والمديع قد وجد وان باستطاعته الآن ان يلقي عليهم كلمات الدعاية ويمنحهم ابتسامة الرضى . عندئذ يستجيب كل موظف من هؤلاء بابتسامة لها قوة مضاعفة ، وقد يكون البعض منهم لم يسمع من المدير الجديد كلماته بشكل واضح ، حتى العارس البعيد

اواقف بالباب - والذي ربما لم تمر على شفتيه ابتسامة قط ، فهو لا يتقن غير صرب الجماهير وتوزيع ابتسامات - حتى هذا العارس يصدر قهقهة فائسة ، منه انبثاق بالشميق الذي يصدر من الرجل عندما يوشك ان يطس بعد ان يكون قد استنشق كمية غير قليلة من السموط . واخذ تشيشيكوف يوزع الابتسامات والانحناءات وهو راض عن نفسه تمام الرضى فاحتى رأسه مرة الى اليمين ومرة الى الشمال احداً جانبية كان محتضاً بها ولم تحب يوماً في فتنة من يراها . اما النساء فقد تجمعن حوله اسراباً مشرقة تعبق بالعطور من كل لون - الورد والخراس وينفسج الربيع . كانت الروائح العطرية كثيفة جداً حول تشيشيكوف حتى انه بين الآونة والأخرى كان يرفع رأسه بقبضة استنشاق الهواء . اما ملابس السيدات فكانت تعرض حليطاً معتلاً جداً من الانواع والادواق ، الموسليسن والدمقس والشميون من الالوان الباهتة العصرية التي لا يمكن حتى ان تجد لها صفة تمتعها بها (الى هذا الحد وصل الذوق الرهيف) . وكانت العنقصر والاشربة وياقات الزهور ترفرف على الفساتين هنا وهناك في أزمن فوضى ، رغم ان الذهن المنظم اشتغل كثيراً في حق هذه الفوضى . وكان غطاء الرأس الخفيف لا يمسده غير الادنييس ، وبدا وكأنه يقول «آه» ، ساطير ، وبؤسفتي فقط . ان لا ارفع معي هذه الجسنا . وكانت العصور مشدودة بشدات قوية ، فتلوح للعيون في ابهى شكل . (يجب التنويه بأن سيدات بلدة «ن» كلهن

عموماً بدينامات قليلة ، ولكنهن كن يشمدن انفسهن
بمغف كبير ، ويتخطرن بعبودية كثيرة ، حتى يتغير
على المرء ان يظن الى بدانتهم . كان كل شيء بهن
مدروساً ومحسباً بديارية فائقة : كانت الرقصات
والاكتاف مكتسوفة الى الحد الضروري لا اكثر ولا اقل
وكل واحدة قد عرفت محتركاتها ، بالقدر الذي كانت
تشمع ، حسب اعتقادها ، بانه قادر على العتك بارجح
اما اليقية فقد اخفتها كلها بدوق غير اعتيادي : ربيب
خفيف من الاشرطة ، او لفاع اخف من القشدة لجملة
المعروفة باسم «قبلة» . كان يطوق الضيق بشكل انبيري
وقطع هداية صغيرة من نسج الباتيسته النجيس
معروفة باسم «المحتشمات» تطلع من تحت الكنفين ،
من تحت العسائين . وكانت هذه «المحتشمات» تملط
من الامام ومن الخلف ما لم يصده يقدوره ان يهلك
الرجل ، بينما كانت توحى بان ما تطلعه هو دلائل
الهلاك بيسه . ولم تكن القطارات الطويلة ملبوسة
حتى الردين . بل كانت تترك الاجزاء المثيرة في الزواجر
الى الاعلى من الكوع عارية عن نية مقصودة ، وهذه الاجزاء
لدى بعض السيدات على قدر من الامتلاء يحسد عليه
حتى ان قصارات جلد الجنى قد تفتقت على بعض الادرج
وباختصار كان كل شيء ينطلق بصوت عال : هذه
العاصمة . هذه باريس ، وليست ولاية من ولايات
الاقاليم ! لانه في بعض الاماكن كانت تظهر بجاء
فلسوسة لم تر الارض مثلها شكلاً ، او ريشة كثيرة
الشبه بريش الطاووس ، وذلك على الضد من كل

موصة ، وحسب ذوق لا يستها لا اكثر . ولكن ذلك لا
يدمه . لانه طبيعة سكان الاقاليم . ولا بد ان تظهر
بنسك من الاشكال . ولما وقف امامهن تشيتشيكيوف
احد يسأل نفسه قائلا «اي هؤلاء العائتات هي كاتبة
لرسالة ؟» ورفع راسه للمرة الثانية وشتم الهواء
ولكنه حوبه على مقربة من افعه مجموعة طيبة من
الاكواع واررار الاكام واطراف الاشرطة والشالات
انمطرة والفساتين . رقصة القلوب المرحلة في اوج
احتدامها الجميع نهضوا . وانطلقوا يرقصون زوجة
مدير البريد ، وامامو المركز ، ومسيدة تضع ريشة
رداء ، واخرى يريشة بيضاء ، والامير الحورحسي
تسبحا يحييبيديف وموقف من بطرسبورج ، وآخر من
موسكو ، والفرنسي كوكو ، وبيرجوبوسكسي
وبيريبيدوسكي .

وقال تشيتشيكيوف ، وهو يتراجع الى الخلف .
- يا ا ا ادارة الولاية كلها منطقة في عملها !
وعندما عادت السيدات الى مقاعدهن ، اخذ يحاول
للمرة الثانية ان يعرف (من التمايير والظنرات) ايهن
هي الشاعرة المجهولة . ومع ان التمايير والنظرات هي
هذه الحالة كانت مضللة غير كاملة الوضوح . في كل
مكان ثمة ما يشي بكون الصدور ، بشي مراوغ لا
يمسك . وحدث تشيتشيكيوف نفسه : «اوه ، مراوغ
جداً - النساء موضوع . . . - واكتفى بهن ذراعاً لإكمال
الجملة - شي واضح تماماً . حاول فقط ان تصف
او تمقل مايرف على وجوههن ، كل تلك الايماضات

والتلميحات ، وتستجد نفسك هاجراً عن التمييز عنها بالكلمات . عيونهن وحدها دولة لا حدود لها ، إذا دخلها شخص ضاع وغرق ، ولن تستطيع أن تتفقه بشخص . حسناً ، حاول مثلاً ، أن تصف طريق العيون وحده ، البليل ، المنخل ، السكري ، والده يعلم أي شيء هو أيضاً ! قاس ، ناعم ، وحتى دأكي لمغاية . أو كما يقول آخرون ، في رساء أو بلا رساء أسوأ من الرشاء - فهو يقتصر قلبك ، ويلعب بروحك كله . وكأنه قرص كمان - أكيد ، لا يمكنك أن تعد الكلمات النصف الزيني من الجنس البشري ، وهذا كل ما تستطيع أن تقول . »

أرجو الملاحظة ! يبدو أن كلمة سوقية أفلتت من مبطنا . ولكن ما السبل ؟ هذا حال الكاتب في روسيا ! بالمسابقة إذا وقعت كلمة سوقية في كتاب ، فليس الدنس على الكاتب ، بل على القراء ، وقراء مجتمعه الراقي ميل غيرهم ، لأنك لن تسمح منهم كلمة لائقة واحدة بالروسية ، بينما هم كما اعتقده ، يغربوك بالكلمات الفرنسية والألمانية والانجليزية بحيث تضجر . وهم يطلقون بها مصطلح على كل طرائق النطق المتاحة : يخنون ويلصقون إذا تكلموا بالفرنسية ، ويشردون بالانجليزية كما يشرد الطير ، بل ويقلبون سخناتهم كما يفعل الطير لدى تفريده ، بل ويضجرون من الذين لا يجراون على محاكاة سخنة الطير - ولكنهم لا يستطيعون أن يغردوا بأي شيء روسي ، إلا إذا استعينا بتد بيت ريفي لهم على الذوق

الروسي . هؤلاء قراء اجتماع الراقي ، ومن خلفهم كل يدس يشربون أنفسهم من اللغة الراقية . ومع ذلك فما أطول ناعم في التؤمت ! إنهم يصرون على أن يكتب كل شيء بلغة ملتزمة بدغاية سقاة روية ، رباحصار العبارة يريرون أن تنزل اللغة الروسية بمسها من النساء مصاغة كما تنمي الصياغة ، وتخط عملي السنتهم . بحيث لا يكون لهم إلا أن يديروا أقوالهم ، ويطبقوها ، وطبعي أن النصف اللطيف من الجنس البشري يصعب فهمه ، ولكن يجب الاعتراف بأن قراءنا المحترمين أكثر صعوبة على الفهم أحياناً .

وخلال ذلك كان تشيتشيكوف في حيرة تامة من التاكيد من صاحبة الرسالة . حاول أن يدقق النظر ، وراى من الجانب انساني ايضاً ما يعبر في آن واحد عن الأمل والألام العذبة لقلب إنسان قاتم مسكين . حتى أنه قال أخيراً : « مستحيل أن أحزرو أبداً » . إلا أن عفة كهذه لم تكن تنقص من معنوياته العالية . وتبادل مع حداثه كلمات البساطة الغريبة بكل سهولة وقبول ، ثم قارب من أخرى بطول متبخره كتلك التي يقوم بها القصور الطامن في السن الذي يتسكع قرب لميدات . وكان إذا ما دار - بغير قليل من لئحة والرشاقة - إلى اليمين أو إلى الشمال ترك إحدى ساقيه تجرّ تليلاً وراء الأخرى ، كالفاسفة في الحروف أو كالدبل الصغير . كانت هذه العيلة موضع إعجاب السيدات . موجز القول ، أنه يدان يرين فيه لا موضع اللطف والجاذبية وحسب ، بل أخذن يلحن في وجهه

نوعاً من الهيئة العسكرية كذلك التي تبدو في وجه هادس اله الحرب - وهو شيء ، كما نعرف ، لا يسب أبداً في أرضاء عيون النساء . وقد أخذ بعضهم يشاورني عليه ، ولما رأيته يقضي معظم وقته قرب الباب سارع بعضهم في احتلال اقرب الكراسي اليه . وفي الواقع كاد ينشب صدام بين سيدتين سبقت أحدهما الأخرى اليه وكاد يحدث مشهد مؤسف جداً ، مشهد كان سيقتصر مثلاً معجماً على الوعامة وصفاقة الرجل في نظر الموابي كنّ يتمنين لو قمن اسمعهن بالعمل نفسه .

وكان تشيتشيكوف غادراً في الحديث مع معطارداته العنرات ، أو نستطيع أن نقول بأن المعطاردات الحسناوات كنّ قد أوعن تشيتشيكوف في حبالهن وأمسكن به بأن أحسن يلتقن عبده عدداً لا نهاية له من الإحاجي الصمقة التي جعلت تطرات العرق تتصنّب عن جبينه في محاولته حلّها ، بحيث نسي أن يؤدي فروض التحية وواجبات الاحترام الواجبة عليه قبل كل شيء لربة البيت . ولم يتذكر هذه الواجبات في الواقع إلا عندما سمع زوجة حاكم الولاية التي كانت وافعة أمامه منذ بضعة دقائق تبدله بالكلام . وفات بصوت خافت لا يختم من العجب «صا نحن قصد رأيك أخيراً يا نافييل ايغورفيتش» . أما ما تلا ذلك من كلامها فلا أستطيع أن أثقله إلى القارىء بالنص ، لأنه من نوع الخطاب الذي يدور بين الفرسان والسيدات في الطبقة الراقية والذي نجد مكتوباً في القصص الشهيرة التي كتبها ككتاب هم أربع مئة في وصف حياة الطبقات

الراقية واكثر اطلاعاً عليها . قالت زوجة الحاكم بأنها تامل أو آت لها وطيد الأمل ، بأن يكون قد بقي شيء من تشيتشيكوف زاوية - حتى ولو كانت زاوية صغيرة جداً - لأولئك الذين قد جاور عليهم بالهجر والسيار ، أو ما هو بهذا المعنى ، فالتفت اليها تشيتشيكوف لكي يرد عليها بحجاب كان من المنتظر أن لا يقل بحال من الأحوال عن أجوبة الأبطال الروائيين من أمثال زوسكي وليسكي وتيدين وهرميس فسي ظروف ماثلة ، ولكنه ما إن رفع عينيه حتى أطلقها وكان صاعقة هزت على أم وأسه .

لم تكن ربة البيت وحدها التي بقى أمامه أمسا كانت تمسك بفتاة - القصر الذهبي ، والقسمات الانيقة الرقيقة ، والوجه البيضوي المساحر - الوجه الذي يحذر به أن يكون أشموزج اصباح لبريم العنزة - والجمال الذي يندر أن يمرّ البرء يشله في روسيا ، حيث كل شيء ، مهما يكن ، يتخذ ، كما يبدو ، اعداداً كثيرة سواء أكان ذلك جبلاً ، أو غابة أو سهباً ، أو وجباً أو شعبة أو قدماً ، ذلك الجمال الذي يكون كمل جزء فيه من قمة الرأس إلى أخمص القدم في ذروة لأمان ، هذا الجمال كله كان ما رآه في العربة أثناء الاصطدام عندما كان هارباً من نوزديف حين اصطدمت عربةها بشكل غريب سواء أكان ذلك حماقة من السائقين أو الخيول ، وتشربكت عدة الخيول وتبرع الصم ميتايي والصم ميتايي بفكها وقد ارتفعت حرارة عواطفه إلى درجة أصبح معها لا يستطيع أن يلاحظ حرفاً

واحدًا ، وراح يشتتم بكلمات لا يفهم معناها غير الشيطان ، كلمات لا تصدر قطعاً عن شفقي بطل من أبطال القصص العظيمة .

وقالت ربة البيت «أظن أنك لم تقابل ابنتي قبل الآن . فهي حديثة عهد من التخرج من المدرسة» .

فاجاب بأنه كان سعيداً أن قابليها من قبل في ظروف لم تكن متوقعة ، وعندها حاول أن يضيف الى هذا الكلام شيئاً آخر خافه لسانه وألقى عليه . فقلبت زوجة حاكم الولاية كلمة او كلمتين أخريين وسارت بابنتها لتحدث الصيوف الأخرى . ووقف تشيتشيكوف مسرعاً في مكانه ، كالرجل الذي يخرج من بيته مرحاً طرئاً فيذكر فجأة أنه نسي في البيت امرأً حطيراً . واذا يقف في منتصف الطريق ليتذكر ما هو الامر الخطير تختفي من وجهه بشائر المرح وكان هشاشة تقطعي عينيه فلا يرد يرى امامه شيئاً . ويحدد ان يتذكر ما نسيه . رب الصديق ؟ ولكن المندبل في جيبه ، او ربما النقود ؟ النقود أيضاً في الجيب ، كرسى في مكانه كما يبدو ، ولكن روحاً غير مرئية تهمس في أذنه أنه نسي شيئاً . وما هو واقف ينظر بدهول ونشئ الى الجمهور المتحرك امامه ، والربات المتطلقة ، وإلى قصات الفرج البار العسكرية وبنادقه ، وإلى لافتة . دون ان يستطيع رؤية أي شيء بشكل جيد . وعلى هذا النمط أصبح تشيتشيكوف غالباً عن كل ما حوله . بيد أن السنة السيدات العذبة ما فتئت تصب في مسامعه من أسفلتها وغزائنها ما لا عداد

له أسئلة وغمزات توحىها الرغبة في الاستيلاء على قلبه «هل ما نحن المتطلعات أن نجرؤ على السؤال عما تذكره ؟» . «هل لك أن تتركهم وتغبرنا عن الأفكار التي يقول فيها حيالك ، لأن ؟» «هل لما أن نسال عن اسم لسميدة الحذاء التي جعلت تسبيح في هذا الحبال اللطيف ؟» ولكنه كان يستقبل هذه الاسئلة بأذن صماء ، وكأنها صيحة في واد . وقد وصلت جلاوته في الزاوية ذروتها عندما سحب نفسه من بينهن وساد يبحث عن المكان الذي استقرت فيه زوجة حاكم الولاية وبنتها . ولكن السيدات لم يكن ليركضه بهذه السهولة . فحدث كل واحدة منهن قبذل قصارى جهدها وبعد بذات أفكارها للبقاء عليه . ويجب أن نلاحظ ان بعض النساء - وانا اقول لبعض النساء ، وهذا يعني ليس لكلهن - موطن ضعف صغير ، وهو أنهن لو لاحظن فيهن شيئاً مميزاً في حسنهن ، أي جبهة ، او عاً او يدين ، يتصورن أن الجزء الأحسن في وحوهن هو اول من يمتع نظر الجميع فهن ، وبأخذ هؤلاء يتحدثون فجأة في صوت واحد : «انظروا ، انظروا اي أنف اغريقي رائحة لها !» او «اي جبين متناسق ذات !» ومن لها كتفين يديتان تكون متاكدة مسبقاً بأن الشباب جميعاً سيكونون معجبين كئياً ، وكلما مرّت بهم سيكروون «آه» ما ايدع كفتيها ؟» ولأن يفتروا نظرة الى وجهها ، وشعرها ، وأظفارها وجبينها . واذا نظروا فكانهم ينظرون الى شيء لا يخصها . بهذا الشكل تفكر بعض النساء . وكل امرأة قطعت على نفسها عهداً بأن تكون

أدنى ما يمكن في الرقص ، وتظهر كل الق ما تتميزه
تفوقاً فيها ، فزوجة مدير البريد أمالت رأسها لى حائب ،
حين كانت ترقص الفالس ، حتى لاح في حركتها هذه
شيء لا يمت الى الأرض بصلته . لم تصطبغر سيدة
مهذبة جداً لم تات لمرص الرقص مطلقاً بسبب ، ما
وصفته «ايتكوموديته» * على شكل مسمار في قفصها
اليمنى جعلها تضطر الى لبس جزمة مسطحة ، وقامت ،
رغم ذلك ، ببعض الدورات في جزمته المسطحة ، حتى
لا تفرق زوجة مدير البريد بالوهج اكثر من اللازم .

ولكن ذلك كله راح هباءً لأن تشميتشيكوف لم
يعرهن* ادنا صاغية واحد يعف . على اصابع قدميه -
حتى حين ابتدا الرقص - ويجول بعينه في القاعة
ليعرف مقر الفتاة الساحرة ذات الشعر الذهبي* وينظر
من فوق رؤوس جيرانه واكتافهم حتى رآها آخر الامر
جالسة بجوار امها التي كانت تضع على رأسها عمامة
شرقية بريشة . وبدأ عليه عندئذ انه قد صمم ان
يجتاح هدفه اجتياحاً كما فعل العاصفة العاتية ، فقد
اندفع الى الامام اندفاعاً شديدة بتصميم اليأس حتى
أن كوعه ضرب مدير العباة ضربة جعلته يترنح* على
قدميه وكان سينكفي على الارض لا محالة لولا صف
الضيوف الذي دعه من المؤخرة . اما مدير البريد فقد
سارع وأخل له الطريق ، لكنه التفت اليه محدقا فيه
بنظره فهكم واندهاش . لكن ذلك كله لم يكن يسترعى

* بالروسية تلفظاً ، وتسمى هنا واعتلال . المترجم .

انشاء تشميتشيكوف ، فلم تكن ترى عيناه غير ذات
اجبال الاشقر . كانت في تلك اللحظة تلبس في يديها
معداً طويلاً ، وما لا ريب فيه انها كانت تفتها لغرض
حبه الرقص حيث كان قد أصبح فيها اربعة أزواج
ينسجون خطوات المازوركا . وكان بين الراقصين
بإدات صابط باللباس العسكري* منهمك روحاً وحسباً
ويدين ورجلين يقوم بإداء خطوات لا عهد لانسان بها
من قبل حتى في الاحلام . مهما يكن من امر ، فقد احتاز
تشميتشيكوف الراقصين وكاد أن يدوس على كعوبهم
حتى اقترب من المكان الذي جلست فيه السيدة
وانتهى . لكنه اقترب منهما بكثير من التعصب حالياً
كل الخلو* من سالف التبحر والرح . لا ، بل كان
يصطرب حين كان يسير ، وكل حركة من حركاته تشير
الى عظيم ارتباكها .

ومن الصعب علينا أن نقول لينا اذا كان الشعور
الذي تار في قلب بلينا هو الحب* . فمن الامور المختلف
عليها هو أن يكون الرجال اصحاب هذه البنية* - أي
ليسوا بالسمان ولا بالنعاف - قادرين على الإحساس
بشيء من هذا القليل . ومع ذلك فان شعوراً غريباً جداً
قد طغى عليه لم يستطع له تفسيراً . فقد لاح له أن
قاعة الرقص بما فيها من لفظ وضجج قد أصبحت
شيئاً بعيداً جداً ، وأن الفرقة الموسيقية قد انسحبت
لى ما وراء إحدى التلال وان المنظر كله أصبح مبهماً
كالصورة التي رسمها الفنان بغير اعتناء ومن خلال
هذا المنظر المبهم يتألق شيء واحد فقط هو وجهه

العادة الثالثة : وجهها البضوى المدور ، وقوامها
الاهيف الرهيف التي تتميز به الفتيات خلال الأشهر
الاولى من نحرهن من المدرسة وثوبها الأبيض السعد
تقريباً لمحرك بنمّة وبداعة على اطرافها الهيماء الفتية
في كل مواضعها ، حتى يرزق بخلوطها النقية . ولا ادرى
كيف صور له خاطره بأن قوامها انشائي شديد التنبه
بنمية من العاج تبدو رقيقة بيضاء شفافة وسعد الزحام
المهم انيليد .

نرى هنا ظاهرة ليست قليلة الوجود ، الظاهرة التي
يصبح فيها تشتميكوفات هذا العالم شعراء ولو ل
حين ، ولكن كلمة «شاعر» ستكون مبالغة كبيرة . على
اية حال ، فقد شعر تشتميكوفنا لفترة قصيرة من
الزمن انه أصبح شاباً مرّة أخرى ، هذا اذا لم يكن
ضابطاً في الجيش . وه ان رأى كرسياً فارغاً بجوار الام
وابنتها حتى سارع الى احتلاله . ومع ان الحديث ابتدأ
فاتراً بليداً الا ان لاجل تجسست بالتدريج واحد
يستعيد الثقة بالنفس شيئاً فشيئاً عند هذه النقطة
أخذ نفسي متردداً في ان اتشعب في موضوع الحديث
لاقول بث الرجال دورى النيام الكبير والمناصب العالية
عندما يتحدثون الى النساء لا يكون لهم وزن ولا قيمة ،
بينما الصباط الصغار - أي من كانت رتبته اصغر من
رتبة رئيس على الاقل - فهم دائماً أكثر نجاحاً ، إما كيف
يستطيعون ذلك ، فادله وحده أعلم . فاداً طغروا بهمة
فارعة تجد الفتاة التي تحس بجوارهم تهتّر ضحكاً ،
اما اذا دخل وجيه في الحديث مع سيادة وقال لها مثلاً

بأن الاميراطورية الروسية واسعة الارزاء ، أو قال لها
مجامعة تدلّ على تسط كبير من الذكاء ، (مهما فاجت هذه
المدمنة برواح الكتب) ، فانها تقع موقفاً يارداً حاداً -
حتى السكة اذا قالها فانه يصحك هو نفسه عليها اكثر
ما تضحك السيدة الممتعة اليه . وقد حشرت هذا
التعليق في حديثي هنا لكي أقصر للقارئ السيب
بدي من اجله - عندما بدأ بطلنا الحديث أخذت الفتاة
تتدب . لكنه على اية حال ، كان أعنى السنين عن هذه
الحقيقة ناطقاً يقص عليها مغامرات شتى وقمت له
في نقاع مختلعة من العالم وبالتحديد في ولاية
سيميرسك في بيت سرفرون ايتانوفيتش بمسيتشي ،
بحضور ابنته اديلايد سورونوما ، وأخوات زوجها
الثلاث ماريا غرييلوفنا ، والكسندرا غرييلوفنا ،
وإيلفيدا غرييلوفنا ، وفي ولاية ويران في بيت فيدور
غيدورفيتش بيريكروف ، وفي ولاية يينزا في بيت
غول ماسيليفيتش بوييدووسنى ، وفي بيت أخيه
بيتر فاسيليفيتش بحضور أخت زوجته كاترينا
ميديلوفنا وإبني عمها روزا غيدوروفنا وإمينا
غيدوروفنا ، وفي ولاية فياتسك في ست بيترو
نارسونفيتش بحضور أخت زوجة ابنه بيلاغيا غوروفنا
وابنة أخيه صوفيا روستيسلافنا وابنتي زوجة أبيها
صوفيا الكسنروفنا وماكلاثورا الكسندروفنا

وغني عن الذكر ان بقية السيدات قد استأن استيه
عميقاً لهذا السلوك . وقد ماروت أهداهن متبشرة
أمامه لكي تشعروا بهذه الحقيقة وفي الوقت نفسه مست

بنته حاكم الولاية يكتم قسستها وجعلت طرف اللع
يلامس وجهها . اما السيدة التي كانت تجلس خلفهم فقد
رسمت بشفة من استمسح وبتمليق لادع قتال ومع
هذا . مما ان يكون قد سمع عن سماع الطليق او
تظاهر بأنه لم يسمعه . ولم يكن هذا منه من الحكمة
في شيء . لأن افعال آراء السيدات لا يليق أيدياً . وقد
شاء له القدر ان يتعلم هذا الحقيقة . ولكن بعد ان
سبق السيف العذل .

مربع القول . ان الامتياز بدأ يملو وجوهاً عديدة
بمهما كان تشيتشيكوف على المقام في المجتمع . ومهما
كان يملك من الملايين المتقطرة وكانت ملامحه تدل على
العظمة التي لا حد لها والروح العسكرية المتوثبة . الا
ان هناك اموراً لا تستطيع ان تغتفرها سيدة مهما كان
الرجل الذي صدرت عنه هذه الامور . وهناك حالات تحدث
فيها المرأة . وعلى رغم كل ما في طبيعتها من ضعف وعجز
بالعياض الى الرجل . تصبح صفة أشد فسوة ليس من
الرجل تعمل . بل ومن كل شيء في الدنيا . والاستحمام
الذي ابدعها تشيتشيكوف . وهو استحقاق غير مقصود
تقريباً . اعاد بين النساء حتى الوفاق الذي كان من
قبل على حافة الانهيار . حين بدأ التناقص على المقصد
الى جانب . بعد وجدن ليزا لادعة في كلماته لجافة
الاعتيادية التي انقأها عرضاً . ونحن نعرف عدة من
الحصور في حفلات حكام الولايات الراقصة يؤلفون
اشعاراً ينتقمون الرقصين فيها . اما في حالتنا هذه
فقد نسبت الاشعار كلها الى تشيتشيكوف خلاصة

القول . ان الامتناع اخذ يعم ويزداد حتى أصبح من
المعوم ضمناً ان السيدات قد أصغرن مرسوم
الاعدام بحق الاثنين . بطننا والعماء الصغيرة
المسكية .

ولكن مفاجأة العين من هذه كانت في انتظار بطننا .
حينما كانت الفتاة تتناوب وتشيتشيكوف يقص عليها
احدى مذكراته الصائفة . حتى ذكر اسم الفيلسوف
البرناني ديوجين أثناء الحديث . اذ باب غرفة معاورة
يفتح ويظهر منه نورديف . ولا يعلم احد فيما اذا كان
قد جاء من المقصف او خرج من غرفة جانبية كان يدور
فيها لعب القمار . وهل خرج بمحض اودته او قذف به
اللاعبون عطروداً . لكنه عن أية حال . عندما دخل قاعة
الرقص كان في نفسية عالية جداً . وكان يتأرجح ذراع
المدعي العام . ويظهر انه كان يجره مدد احد بعيد لأن
المسكين كان يتلفت من ناحية الى اخرى كما لو كان
يخشى عن وسيلة تنقذه من هذه الرحلة البهيمية . ومما
لا شك فيه انه كان في وضع لا نطاق لأنه ما كاد
يخسب نورديف كاسين من الثماني مع شيء من
الرؤم . حتى بدأ يكذب عليه دون شعقة او رحمة .
ومرآه تشيتشيكوف عن بعد حتى عزم عن التصحية
نفسه أي انه عزم على ترك وجهه الحالي ابدى
يحمد عليه ويتسل على جناح السرعة . لأنه أدرك ان
لقائه مع القادم الجديد أمر لا تحمد عقباه . ولسوء حظه
ن حاكم الولاية آنذاك امسك به طالباً منه ان يكون
حكماً بينه (أي بين حاكم الولاية) وبين سيدتين . كان

موضوع الخلاف هو هل ان حب المرأة يدوم او لا يدوم . وفي اللحظة نفسها انقضى نوزديف على بطلنا بحمته العنيفة ، فابتسم ابتسامة حميت حديد الصريخ الاحمرين حمرة الورد يرتعشان ، واخذ يصيح قاصدا «ايه يا ملاك خارسون العظيم ؛ هل مر عليك عهد طويل وانت تتاجر بالانفس التي انتقلت الى واحة الله ؟» ثم التفت الى حاكم الولاية وقال «اطل ان سعادتك لا يعرف ان هذا الرجل يتعاطى شراء الانفس الميتة» . ثم الى تشيتشيكوف «اسمع يا تشيتشيكوف ، اني اموها ل بروح الصداقة المخلصة ، ان كل الموجودين هنا يحبوك - حتى سعادة حاكم الولاية . ولكن الامر لو كان بيدي بشقتك اى والده ، اني لافعل» وبلغت خيبة تشيتشيكوف اوجها .

واستمر نوزديف يقول «وهل تصدقنى يا صاحب السعادة ؟ ان هذا الانسان قد طلب منى ان ابيعه ما لدى من الانفس الميتة . وقد كاد الضحك يقتضى ريا للضحك ما اكاد اصل الى هذا البلد حتى اسمح انه اشترى انفسا بثلاثة ملايين روبل لكي ينقلها ؟ طعاً لكي ينقها ، لقد ساءلنى على انفسى الميتة ا اسمح يا تشيتشيكوف ، انك خنزير ا نعم والله انك خنزير صرف اليس كذلك يا صاحب السعادة ؟ اليس كذلك يا صديقي المدعي العام ؟

ولكن الدهشة التي اعترت حاكم الولاية والمدعي العام وتشيتشيكوف كانت اكبر من ان تجعل احدهم ينطق ببسمة . اما نوزديف النشوان فلم يكن ينتظر منهم

حرايا . راسا راج متدعماً في هنوء ، يقول «ايه يا سيدى العظيم اى ادعك هذه المرة تفت من بين يدي . لا ، الا اذا علمت ما هو معنى شراء النفوس الميتة هذا . استمع الي» . يجب عليك ان تجعل من نفسك نعم ، اقول هذا لاني من اوصي الاصدقاء اليك» . ثم التفت الى حاكم الولاية وقال «هل تعلم يا صاحب السعادة انسى وهذا الرجل لم تكن تترك ابدا . ولو جئت تسألنى يوماً وقلت «استحلكت بشرفك رسا نوزديف ان تعبرنى ايهاا تحب» اكثر اباك ام تشيتشيكوف» . قلت لك «تشيتشيكوف والله ا» ثم قال «هيا هيا ايها الصديق الحميم ا دعنى اطبع على خديك قبلة او قبليتين انت تسمح لي طبعاً ان اقبله يا صاحب السعادة . اليس كذلك ؟ لا ، لا نقاومنى يا عزيزي تشيتشيكوف دعنى على الاقل اطبع قبلة واحدة على خديك الابيض» . ودفعه تشيتشيكوف عنه انهاء محاولاته لطبع القبلة عنوة على خده حتى كاد يقع نوزديف بطوله على الارض . واروى بعد ذلك كل فرد الى ناحية واصم اذنيه عن سماع زيادة في الهرج . ولكن الكلمات التي وردت عن ابتياع الانفس الميتة كانت قد رشت في ارجاء القاعة بأعلى صوت كانت تصيحها فقهاء مدوية اثاثوا اختباء من هم في اقصى اطراف القاعة ، الواقفين منهم والجالسين . كانت العكزة غريبة جداً طريقة جداً بحيث وقف الجمع وليس على وجوههم غير امارات الدهشة المتجمدة الغرساء . بيد ان بعض السميدات (وهذا ما لاحظته تشيتشيكوف) اخذن

يتبادلن ابتسامات ساحرة وعمرات حييثة ذات صان ،
 مما زاد في بديته . كان كل انسان بالطبع يعرف ان
 نورديف كذاب اشتر ، ولن يشترى احداً اذا فجع
 اسفاره السحيفة الرعناء . ولكن الرجل الغامى يصعب
 في الحقيقة . حتى ان تفهم من أي شيء مخلوق . اذ هذا
 يكن الحب الذي يطلقه ، ولكن لكونه حياً لا غير ، لا
 بد ان يتقله الى فان آخر ، على الأقل يقول « انظر أي
 كذبة اسبقوا » . فيميل هذا الغامى الآخر اذنه اليه
 يارتياح على الأقل لقول فيما بعد « نعم » هذه كذبة
 رحيصة تماماً لا تستحق أي اهتمام اذ وفي اثر ذلك
 وبمس لساعة يتوجه ليبحث عن فان ثالث ، ليحدث
 بها . وليهتف مبه بعد ذلك بسخط نيل : « أية كذبة
 رحيصة هذه ا » وهكذا وبال تأكيد ستجوب الكذبة المدينة
 كلها . وستحدث بها جميع الفانين ، مهما تكن كثرتهم ،
 حتى يشعروا منها لا محالة . وبعد ذلك سمعته يروى بأها
 لا تستحق أي اهتمام ، ولا تساوي التحدث
 عنها .

ونطبيعة الحال يلع الحق من بطننا أشده . مهما
 كانت الكلمات التي تصدر من لسان المجهول سحيفة ،
 فهي كافية لكي تروع بذور الشك في عقول العاقلين .
 فاحس بطننا احساس الرجل الذي يستل حذاء مدهوشاً
 دهاناً فاحراً حين يجد نفسه فجأة يعمى في افتر
 الاوحال . وقد حاول أن يطرح الامر جانباً وأن يبسط
 من نفسه وأن يستمتع مرة أخرى . لا ، بل حاول أن
 يشترك في نوبة الوست . ولكن ذلك كله كان عبثاً .

فقد ظلت اموره معوجة ليس الى تعديلها من سبيل .
 وقد اخطأ في اللب مرتين ، واصبح رئيس المجلس
 المحلى في حيرة شديدة من أمر صديقه باعيسل
 اينافويتش اللاعب الحاذق الماهر من قبل ، كيف يرتكب
 خطأ جسيماً ويرمي الملك المستوني الذي كان يعتمد
 عليه اعتماداً عظيماً ، او حسب تعبيره نفسه « كاعتماده
 على إله » . وطبيعي أن مدير البريد والرئيس وحشى
 رئيس الشرطة رخوا ، كما جرت العادة ، يسرون مع
 بطننا ويسألونه : هل هو عاشق ، ويقولون إنهم
 يعرفون ان قلبه مصاب ، ويعرفون التي أصابت قلبه
 بسهمها ، الا أن كل ذلك لم يصل عنه ، مهما ضحك ،
 ورد مزاحهم يمزح . وحتى عند تناول طعام العشاء كان
 كل شيء على غير ما يرام ، على الرغم من ان القوم الذين
 جلسوا معه الى المائدة كانوا من لطف المعشر على قسط
 كبير ، وعلى الرغم من ان نورديف كان قد اُبعد لأن
 السيدات قد وجدن سلوكه القاضح لا يحتمل لا سيما
 وقد جلس آخر الامر على الأرض وأخذ ينتش ملايس
 الرافصين والراقصات . كان العشاء بهيجاً جداً ، وجميع
 الوجوه التي مرقت امام الشمعدانات الثلاثة لرؤوس ،
 والزهو ، والحلويات والزجاجات متألقة باتياع غاية
 في الطلاقة . جميع الضباط والسيدات وسترات
 الثراك وكل شيء صار مهذّباً الى حد العتيق . كان
 الرجال يشربون من مقاعدهم ويرعون لياخذوا الاطباق
 من الخادم ، ويقفونها للسيدات بخفة غير اعتيادية ،
 قدّم ضابط برتبة عقيد لاحدى السيدات صحن الصلصة

على طرف سيفه المسلول . وكان الرجال ، كبار السن ، الذين كان تسميتشيكوف يجلس بينهم يتجادلون بأصوات عالية ، يمثلين كل كلمة ركيئة مع قطعة من السك أو لحم البقر ممثلة بالجردل بشكل لا يرحم ، ويتجادلون في مواضيع كان دائماً يشارك فيها ولكنه كان يبدو كرجل تصب هذه سفر طويل ، ولا يدخل شيء في عقله . ويحجز عن الاهتمام بأي شيء ، حتى وجد نفسه في وضع مزعج جداً ، ولهذا وضع حداً له بأن ترك غرفة الطعام حتى قبل نهاية العشاء وعاد الى الفندق قبل موعده المعتاد بوقت طويل .

وفي غرفته الصغيرة ذات الباب المفتوح يستلجق يفصلها عن الغرفة المجاورة ، وذات الزوايا التي تطل منها الجدران السوداء بين الحين والآخر ، جلس على كرسي متدحرج مضطرب مثل أفكاره المتخلخلة المضطربة . كان قلبه ينبض بالكأبة الزلّة وكان يحتاجه احساس من الغم والكدر ، ويشعر براغ خفق يكاد يطبق على أنفاسه .

وأحد يناجي نفسه قائلاً «سبحاً لمن اخترع الحفلات الراقصة ! ماى انسان يمكن ان يشعر فيها بالبهجة الناصقة ؟ العوز والغافة ماتلان في كل بقعة من هذه الولاية . والسام يقيمون الحفلات الراقصة ! هؤلاء النسوة السخيفات اللواتي يرتدين بأذخ الملابس ان كل واحدة منهن لا تحصل اقل من ألف روبل على كتفها ، ألف روبل جاءت من عرق الفلاح الثقيل عبثه بالاضرائب ، او ما هو العن من ذلك ، على مصصاب

سبير الجار . نعم ، قالكل يسرف لماذا تنتشر الرشوة ، وبماذا تلتوى نفوس الرجال : ليحصل الواحد منهم لروبوته على لفاع او اقمشة من مختلف الانوع لها اسماء لا يمكن ان تضبطها . فلام كل هذا ؟ وما القصد من ورائه ؟ لكي لا تقول «صديقة» زوجته ان زوجة مدير البريد تلبس احسن من ثوبها -- ولذلك اضطر الرجل المسكين ان يدفع ألف روبل ثمناً لثوب جديد ! ان الصرخة التي تدوى في هذه البلاد هي «السروور والحفلات الراقصة . السروور والحفلات الراقصة !» والحفلات الراقصة ما هي الا جنون محض ! اننا لا نتفق والروح الروسية او الاصلالة اروسية . ولا يعلم الا الشيطان سبب وجودها في هذه البلاد . فالكهل السامع دو المنهر الصلب والحلة الرسمية السوداء ما يكاد يحلو الى الحبة حتى يأخذ بهز قديميه ، ورجل آخر قد يكون منقسماً في الحديث مع زميل له حول شأن من شؤون الاعمال الخطيرة ما يكاد يخوضها حتى يجده ينهب تارة الى الصين وتارة الى اليسار كالحشرة الحرقاء ! انه التقيد الاعشى ، ولا شيء غير التقليد الاعشى ! اذا كان الفرنسي وهو في الاربعين مثله وهو في الخامسة عشرة ، اصبحنا نقصور أننا يجب ان نكون مثله . لا ، ان الحفلات الراقصة تترك دائماً في النفس شعوراً بارتكاب الخليفة ، ولهذا لا يجب الانسان حتى ان يفكر فيها . انها تترك عقل المرء فارغاً كلياً ، تماماً كما يفعل المتحدث الى ابن هذه الحياة . ابن الحياة كثير الثروة ، واذا تحدث فهو يطرق كل موضوع يختل

على البال ، ويتكلم بأسلوب ناعم وجمل بصيغة اختارها من الكتب دون أن يشرق حقيقة معناها ، بينما إذا تحدث إلى رجل تاجر مثلاً يدعى بموضوع واحد المأمور صيحاً فنتيجة تعريته ومراسه قاتك متخرج منه بفائدة عظيمة تزيد عن تلك التي تخرج بها من ألف من التزارير . وما هي الفائدة التي يجنيها المرء من الحفلات اراقصة ؟ ولو حاول كاتب ما أن يصفها على حقيقتها ، فمما لا شك فيه أنها ستبدو سخيفة غير ذات معنى ، كأرواح التي تقوم عليه في هذه الحياة . وهل هي من الاخلاق في شيء ؟ الشيطان وحده يصمم . وليس على المرء الا أن يصدق الكتاب بأصقا » .

يمثل هذه الافكار اساطير كانت تملقها تشميتشيكوف على الحفلات عموماً . وقد كان مسخطه ، على أية حال ، ينبع من مصدر آخر . فلم تكن شخصيته الرئيسية صد الحفلات عامة كما كانت ضد تلك الحمة الخاصة بأنداد التي افترض فيها أمره . وعرف الناس أنه يلعب لعبة غامضة غريبة . وبطبيعة الحال ، عندما أعاد النظر في هذه العادة المؤسفة على ضوء العقل السليم وجد أنها لم تضر شيئاً ، فبضع كلمات دابة لا قيمة لها ما دام الهدف الرئيسي قد تم بلوغه . ولكن الانسان مخلوق غريب . إذ أحد الالم ينشئ فلسف تشميتشيكوف لهذا الاعراض الذي تويل به حسن طائفة لا يكن لها أي احترام ، طائفة ادان هو بنفسه غرورها وضحالة تفكيرها . وعندما أعاد النظر في الامر مرة أخرى وارسعه تفكيراً زاد مسخطه الا وجد أن

السبب في هذه الكارثة يقع عليه جزئياً ، ولكن البطلان القوي بالاً ، فلم يكن مسخطه هذا على نفسه . لأن التكرار هنا يمكن فيه هذا البطلان البسيط ، الذي يتلخص في أن يستغني نفسه من ارتكاب الاخطاء وأن يبدل مصارى جهده دائماً في التفتيش على مخلوق يسعي عليه باللائمة ويلقي عليه التبعة وقد يكون هذا المخلوق خادماً أو موشطاً صغيراً أو زوجة ، وأخيراً على كرسي صادق أن طار في اللحظة غير المناسبة حتى ارتطم بالسبب بعنف فاتفخ عنه ذراعه وظفره ولم يرفق إلى أي حد يصل الغيط . وبالمثل ، فقد فشلت تشميتشيكوف على ضحية يلقي عليها تبعة مما اسماه . وكان كبش اللداء في حالتها هذه توردريف . فقد صيب عليه جام غضبه وشرع يصربه من كل حدب وصوب دون شفقة أو رحمة كما يفعل النقيب أو حش الجنرال عندما يشتم عمدة القرية أو النجوى مجاوزاً أصول التثائم الكلاسيكية المتعارف عليها ، ليضيف إليها قسماً كبيراً جداً من بنات افكاره . خلاصة القول ، أن بورديف قد وضع على العشرة ودرس حسبه وسببه ، فكان على اسوأ ما يكون انسان .

ولكن بينما كان تشميتشيكوف جالساً في كرسيه غير المبطن تضخيمه الافكار والأروق ، ويكيل بالصاع والذراع لوزدريف ولكن امله ، وشعلة الودك تشعب امامه ، لأن فشلها قد تغنى بقبة سخام سوداء مهدداً بين لحظة وأخرى بالانطفاء ، والليل الأعشى القاتم يظل عليه من النافذة ، وهو يتنهد للذوبان من العجز

المقرب ، وفي البعيد تصابحت ديكمة منفردة ، وفي مكان ما من البلدة الهاجسة تماماً ربما سار رجل يحقن في مبطه الخشن ، بالنس من طبقة أو رتبة مجهولة لا يعرف (واستفاه) غير الطريق التي دكتسه كثيراً أقدم الصعاليك الروس - وهي هذه الآونة ، كان يدور في طرف المدينة الآخر حادث قدر له أن يزيد في كبر بطنا واحراج مركزه . ففي أزقة المدينة وشوارعها كانت تفرق عربة من الصعب أن تعطى لها اسماً ، فهي من نوع خاص قائم بذاته تشبه أكثر ما تشبه بطيخة كبيرة تكشمت فشرتها ، تحملها أربعة عجلات - وخدا هذه البطيخة ، أقصد بابها الذي كان يحملان آثار طلاء أصفر ، كانا ينقلان بشكل سيئ جداً بسبب سوء حالة المقايض والاقفال التي كانت هشوددة بجمال في بعض الأماكن والبطيخة نفسها كانت مملوءة بالمخندات من القطن على شكل أكياس التبع ، والمساند والمخندات الاعتيادية ، ومحموة بأكياس الخبز ومختلف أشكال الككت المصنوع من العجين المسلووق وطانر الدجاج والمحموة بالحنطة السوداء تطل حتى الى فوق . ومرقى العربة الخلفي يحته شخص يشعب الى الخدم ويرتدي سترة من نسيج يدوي زاهي اللون ، وجهه غير حليق وخطه الشيب ، وباختصار شخص يعرف عندنا باسم «الصمير» . ايقط الصمير والزريق اللذان ترسلهما الكلايب الحديدية والبراقى للصدلة شريطاً في الطرف الآخر من البلدة ، فرغ مظهره ، وصاح بكل ما لديه من قوة ، وهو بين اليوم والليظة «من القادم ؟» ولكنه

حين لم ير أحداً قادماً ، ولم يسمع إلا دويكة بعيدة ، اصعد على يافته حيواناً مقترساً ، وتقدم من الفانوس ، وأعلمه بأن قصصه تحت الظفر . وبعد ذلك ترك المطرد وغدا من جديد وفق ميثاق فروسيته . وكانت الشبول تقع ، بين الحين والآخر ، على قولها الامامية ، لأن حراقها لم تكن ذات حدود ، بالاضافة الى انها كانت قليلة المعرفة بجادة البلدة المرسوفة الهادئة . سار هذا الشيء العجيب من شارع الى آخر حتى انطفأ أخيراً الى ذئاق مظلم ماراً بكنيسة القديس نيقولاى الصغيرة وتوقف . عند باب بيت تسكن فيه زوجة كاهن هذه الكنيسة وقلزت منه فتاة ترتدي سترة قصيرة . ونضع على رأسها شالا ، وأخذت تفرع الباب مرعاً شديداً يحسده عليها أى رجل (فيما بعد سحب الصغير ذو السترة الزاهية اللون من رجليه ، لانه كان يغط في نوم أهل الكهف) يرحة غير قليلة من الزمن حتى أثار كلاب الحي نباحاً . وانفتح الباب أخيراً ليدخل فيه هذا الشيء العجيب السمع الى فناء البيت الصيق المزحوم بالاششاب ، وخن الدجاج ، ومخند الاقفاص الصغيرة . عندئذ نزلت من العربة السيدة الملاكة وإذا بها مدام كورويوتشكا ! كان سبب قدومها المفاجئ هو انشغال يالها على ثروة تشيتشيكوف فطلت بعد تركه إياها ثلاث ليال متتالية لا ينمض لها جفن . وبناء على ذلك ، وعلى الرغم من أن خيولها غير ذات حذاء ، انطلقت الى المدينة لتسأل قبل كل شيء عن سعر النفس الميتة السارج في تلك الآونة ، ولتعرف فيما إذا لم تكن قد

باعتها - لا سمح الله - بثلاث ألمن الحقيقي مثلا .
وسيعرف القاري نتائج رحلتها من حديث دار بين
سيدتين ، نحتفظ له به في الفصل القادم .

الفصل التاسع

في صبيحة اليوم التالي ، قبل موعد تبادل الزيارات
المعتاد ، برزت سيدة بمطف صموي تسين ، من راج
بيت خشبي ، يرتقي اللون ذي مخزن علوي صمير
وصف من لاعمد الزرقاء ، وبرز معها تابع بمطف طويل
معدن الحواشي ذو قبعة لمعة مزينة بالاشرطة الذهبية
وبسرعة وكبرياء صعدت السيدة السلم التي أنزل اليها
من عربة كانت واقفة امام المدخل . وما تم ذلك حتى
أقبل التابع خلفها الساب ورفع السلم الى موضعه
وامسك بالنطاق الجلدي الموجود في مؤخرة العربة
وصاح بالسائق «هيا انطلق» . وسبب هذا كله ، هو
تلف من الاخبار كانت هذه السيدة تتحرق شوقا للاضاء
بها الى صديقة لها . وحدث تنظر بين القينة والاخرى
من نافذة العربة قري والحق بالغبغابة منها اشدها انها
لم تتجاوز منتصف الطريق بعد . بدا لها ان واجهات
البيوت كانت أطول مما هي عليه في العادة ، وعلى
الاحص واجهة المستشفى الحجري الابيض ذي صفوف
النوافذ الضيقة فقد لاح انها لا تكاد تنتهي . وصرخت
السيدة بعد لاي تقول «اي لهذه البناية اللعينة ! انها
عديمة النهاية قطعا !» ثم رفعت من صوتها تحت السائق

قائلة «اسرع يا اندووشكا . فيم هذا التباطؤ الشديد في
مطلع النهار ؟» وتم البلوغ الى الهدف اخيرا ، ووقفت
عربة امام بيت خشبي من طابق واحد ، ذي لون رمادي
غامق ونقوش بيضاء محفورة على الشبابيك ، وقام امام
الاحيرة سباح خشبي طويل وحديقة ضيقة فيها بمصم
شجيرات نعلية يذب بحلة بيضاء ناشرة اكتستها من
عبار الطريق . وكان في نوافذ الناية ايضا بعض
الاصم ذات الزهور وببطاء في قفص ترقص على أرضه
نارة وتعلق بمفارها في الحلقة الدلاة من سقفه
نارة اخرى . وكان امام الباب ايضا كلبان البان نالمان
تحت اشعة الشمس . في هذا البيت كانت تسكن صديقة
السيدة الحميمة . والمؤلف يجد صعوبة فائقة في ان
يسمى كلتا السيدتين ، بشكل لا يسبب غضب الناس
عليه مرة اخرى ، كما حدث من قبل ان اطلاق لقب
عالي مختلق عليهما شره خطر . فان اي لقب تختلقه لا
بد ان يكون له وجود حقيقي في ركن من أركان دولتنا ،
يسبب سعتها . وسيلغضب حامل هذا اللقب حتما غضبا
يهون دونه الموت . وسيقول ان المؤلف جاء الى بلده
سرا وعن نية مقصودة ليصرف من هو ، واي معطف
يلبس ، ومن هي اغرافنا ايفانوفنا التي يزورها
بامتياز ، واي الاطعمة يحب . واذا سماها برتيهما ،
فالعايد بالله ، الامر خطر . فان جميع الرتب والفتات
عنده الآن في حتهى الحسامية ، بحيث يتصورون ان
كل ما يضمه كتاب مطبوع بمسهم شخصيا . مثل هذا
الموقف شائع ، كما يبدو . يكليك ان تقول ان في

البلدة الغلانية يوجد شخص أحق ، حتى يقولوا : عدا
يعني . فتعاجبا بأن يصرخ عليك شخص مبتدع الحياة
«أنا أيضاً شخص ، إذا أنا أحق أيضاً» وباختصار ينص
الى حقيقة الامر . وبهذا السبب ، وحنرا من كسل
الملايسات ستمسى السيدة التي وصلت اليها الضيفة
كما كان أهل مدينة «ن» يسسونها بالاسراع تقريباً : أي
السيدة اللطيفة من كل النواحي . وقد اكتسبت هذه
السمية بطريقة شرعية ، لأنها بالفعل لم تكن تسمى
بشيء لتيقى اللطف في أرقى درجاته ، ولو كانت
تتمرب ، من خلال اللطف ، خفة نشطة من لنوع
الانثوى ، فقد كان يطل ، وإن لم يكن دائماً ، طرف
ديوس لاذع . والله يساعد المرأة التي يتفرز في قلبه
هذا الديوس . إذا بادرت موقفك امامها بشيء ما ، وعلى
نحوها . ولكن كل ذلك كان مخلصاً ، بأدب آداب
السلوك المتاحة لبلدة اقليلية . كانت كل حركة تقوم
بها تنم عن ذوق ، بل وكانت تهوى الشعر ، وأحياناً
كانت تجيد حتى التطلع برأسها حاملة - وكان الجميع
متفقين على أنها بالنسبة سيدة لطيفة من كل النواحي .
أما السيدة الأخرى ، أي الزائرة ، فلم يكن من خلقها
هذا التمدد في النواحي ، ولهذا ستمسيتها : امرأة
لطيفة فقط . أيقظ قدوم الزائرة كلبين ، صغيرين
كانا نالعين في الشمس وهما أدليل الاشعث الذي كان
يتشربك بشعره دائماً ، وبوبوري النحيل القوائم .
واندفع كلاهما نائحا ، وقد دور ذيله ، الى الرواق
حيث كانت الزائرة تخلع عنها عباءة السفر ، وتطلع في

مستان عن البوصة في ثقبه ولويه ، وذبول طولته
تخرج من رقيبتها وامتلأت الحجرة كله بمطر
الياسمين . وحالما علمت الصديقة اللطيفة من كسل
النواحي المذكورة بقدم الزائرة هرولت توكض الى
القاعة واشتبكت السيدتان في العناق والتقبيل . وزعنا
كما دحرق طالبتان ثلثيتان بعد تفرجهما من مؤسسة
مربوية بوقت قصير ، قبل أن تلتق أم احدهما أن
تبلغ ابنتها بأن أبا صديقتها اققر وأقل مرتبة من
بيها . كانت القابلة تصدر صداحة ، لأن الكلبين عدا
يشعان من جديد . وضربا بالتمديد جزاء على ذلك .
واسمجتا الصديقتان بعد ذلك الى غرفة الاستقبال
الرقاء ، بالطبع فيها أريكة ومنضدة رردية بيضوية ، بل
وحاجر له ظليقة من اللبلاب . وجرى وراءها أدبل
الاشعث يولول ، وبوبوري الطويل ذو القوائم النحيلة
بالت ربة البيت وهي تجلس ضيفتها في ركن الأريكة
«هت ، تعالى هنا ، في هذا الركن» وحشرت وراء ظهرها
معدة طرز عليها بالصوف فارساً ، بالشكل الذي يرسم
فيه الفرسان دائماً على الطنافس : الاف بارز كالدرج ،
ولشمتان مرمستان . وقالت الصديقة اللطيفة من كسل
النواحي «كم أنا مسرورة لرؤيتك ! عندما سمعت صوت
عربة قادمة عجت مني قد يزورني في هذا الوقت
البكر . وقالت لي برأشا إن الزائرة يجب أن تكون
روجة وكيل حاكم الولاية ، فجمعت أن أبلغهم بأن يقولوا
بها إنني غير موجودة في البيت لكي أخلص من
أزعاجها» .

وكان بود الضيفة أن تقوم بمهمتها بالأعضاء بما لديها
من أخبار ، إلا أن صيحة استغراب مفاجئة من ربة البيت
حولت مجرى الحديث مؤقتاً الى ناحية أخرى .
صاحت وهي تنظر الى رداء الأخرى «ما الطف هذا
القماش !»

فاجابت الزائرة «أجل انه لطيف ، ولكن براسكوب
فيروقتا تظن أن من الأفضل لو أن المربعات أصغر ،
والرصعات وزرقاء سماوية ، لا بنية . وقد بحثوا لاحتيا
قطعة من هذا القماش ساحرة جداً ، يستحيل وصفها
بكلمات . تصوّري : خطوط تحيلة جداً لا يستطيع أن
يتمثلها إلا الخيال البشري . والخلفية سماوية اللون ،
وبين خط وخط رصعات وحلزونات ، رصعات
وحلزونات . . . باحتصار ، من غير مثيل أو يمكن القول
بلا تردد : لم يصفه العالم لها مثيل» .

«يا عزيزتي ، هذه زركشة» .

«لا ، ليست زركشة» .

«آه ، زركشة !»

ويجب أن نذكر أن السيدة اللطيفة من كل النواحي
كانت مادية بعض الشيء . ميانة الى الرخص والشك ،
وكانت ترفض أشياء كثيرة جداً في الحياة
وعند ذلك أوصحت السيدة اللطيفة فقط أن هذه
ليست زركشة إطلاقاً ، وهتفت :
«ولكن ، اهنتك : بطلت كشكشات الغسائين مسن
المرشمة» .
«كيف بطلت ؟»

«حلت محلها الفسطونات» .

«أوى ، الفسطونات ليست جميلة» .

«نعم ، الفسطونات ، كلها فسطونات ، الرشاحات
كلها من الفسطونات ، وعلى الأكمام فسطونات ،
والكتفيات من فسطونات ، وفي الأسفل فسطونات ،
وفي كل موضع فسطونات» .

«غير لطيف ، يا صوفيا إيفانوفنا ، إذا كان كل شيء
فسطونات» .

«لطيفة ، أنا غريغوريفنا ، إلى آخر حد ، تخاط
بفردتين . فتحات أكمام عريضة وعن فوق . . . ولكن
لا بأس ، سترين وتندهلين ، وبعد ذلك ستقولين
أنه . . . طيب ، تندهلين ، تصوّري . حمالات الصدر
صارت أطول ، تلتقي في المقدمة على شكل بروز ،
والتوء الأمامي تجاوز كل حدود . والتنورة تدور كلها
حول الجسم ، كما كان ذلك في قبة التورات القديمة ،
بل ويضعون بعض العطن في الحلف ، يجموك «بيسل»
فام» • كاملة» .

«أوه ، ذلك فوق كل حد» - قالت السيدة اللطيفة
من كل النواحي ، وادت برأسها حركة احساس
بالكرامة .

ردت السيدة اللطيفة فقط «بالضبط ، فوق كل حد» .
«على كل حال ، لن تجدينني أحلكي هذه الموضة . ولك
أن تقول ما تشائين» .

• الجملة . كلمة قولية كتبت في الأصل بالحروف
الروسية . المتروجم .

«أنا أيضاً . . . الحقيقة ، إلى أي حد تصل المرضة أحيانا . . . اعجوبة لا مثيل لها ، طلبت من أخي ميلاب أن ترسل لي تفصيلا لمرجه الزواج ، وقد بدأت ميلاب في خياطته» .

«أذن ، عندكم تفصيلا ؟» - صاحت السيدة البطيئة من كل النواحي ، وصوتها لا يخلو من انفعال .
«بالطبع ، وأرسلتها أختي لي» .

«يا وحي ، أعطيتها لي بحق كل مقص» .
«آه ، وعدت بها براسكوفيا فيدوروفنا» - «ألا إذا كان بعدها» .

«ومن سيلبسها بعد براسكوفيا فيدوروفنا ؟ سيكون هذا مستغربا جداً . من ناحية ، إذا كنت مستغصلين الغربيات على أقاربك» .

«ولكنها هي أيضاً من قريباتي» -

«قريباتك من بعيد طبعاً ، من جهة الزوج ، لا ، يا صوفيا إيفانوفنا ، هذا لا أستطيع حتى أن اسمع منك . يعني تريدن أن تتولي بي هذه الاحالة . . . الظاهر أنني أضجرتك ، الظاهر أنك تريدن أن تقطعي أية علاقة بي» .

ولم تعرف صوفيا إيفانوفنا المسكينة ماذا تفعل . وشعرت بين أية نارين شديدتين وضعت نفسها ، هذه نتيجة طلقان اللسان ، وكانت مستعدة أن توخر لسانها الاحتمالي بالار عقاباً على ذلك .

وتخلل ذلك قالت السيدة البطيئة من جميع النواحي :
«طبيب ، كيف حال هاتلك ذاك ؟»

«وهو تعرفين ما الذي دفعني إلى المجيء هنا ؟» - قالت الزائرة وأخذت تلهث أنفاسها بسرعة شديدة وظهران مريدان من الكلمات كانت تحوم فوق شفثتها كما تحوم الصقور استعداءاً للانقضاض على الفريسة . ولا يصادق انساناً قلبه على مقاملتها وهي في حالتها هذه إلا الذي يخلو قلبه من الشعور الانساني بوصفه «صديقاً حقيقياً» . وكانت ربة البيت صديقة من هذا النوع نهماً ، فبدأت حالا تقول :

«أبي لأعجب كيف يستطيع المرء أن يتمدح هذا الرجل أو يعجب به . وفي رأيي أنه سافل وطبع في أدنى درجات السفالة والوصاعة . ولو رأيته لقلت له هذا الكلام في وجهه»

«نعم ، لكن استمع لي لما سأقول له لك» .

«أجل ، أتي أعرف أن بعض الناس يرون فيه الجمال والسحر ولهذا يسمونه ساحراً . أما أنا فإني أرى أنه ليس من هذا في شيء . ألم ترى شكل أنفه الغريب ؟»
«دعيني» - «دعيني فقط أن أحدثك ، يا وحي ، يا أنا غريغوروفنا ، اسمحي لي أن أحدثك . إنها حكاية ، فاهمة ، حكاية فاضحة ، «سكوبابل استوار» - قالت الصيفة وهي سحنتها ما يشبه القنوط ، وصوتها ضارح تماماً . ولا ضير في أن نذكر أن في حديث كلتا السيدتين ، الكثير من الكلمات الاجنبية ، والعبارة الفرنسية الطويلة جداً أحيانا . ولكن مهما كان تقدير المؤلف للمنافع المتقدمة التي تقدم اللغة الفرنسية لروسيا ، ومهما كان تقديره لعادة مجتمعنا الراقى

الحميدة في التعبير عن نفسه بهذه اللغة طيلة ساعات اليوم ، مدفوعاً ، طبعاً ، بشعور الحب العميق لزوجته ، فإنه رغم كل ذلك لا يستطيع أن يحمل نفسه على أن يدخل عبارة بأية لغة أجنبية كانت إلى قصيدته الروسية هذه . فلنتابع القول الآن ، باللغة الروسية .
«ها هي هذه الحكاية؟»

«أنا لا أستطيع أن تصورى حالتى النفسية بعد زارتني زوجة الاب كيريل هذا الصباح - أنت تعرفينها . ليس كذلك ؟ وهل تعلمين حقيقة واترنا الظريف ومن تبيّن أن يكون؟»

«نعقول أنك تريد أن تقول : كان ينازل زوجة الكاهن كيريل؟»

«أوه ، لا يا عزيزتي ! لو كان هذا كل ما في الامر لما كان شيئاً . اسمع ما قالته لي زوجة الاب كيريل . قالت أن سيدة حلاكة اسمها مدام كورويوتشكا وصلت الليلة السابقة الى بيت الكاهن . وصلت شاحبة اللون وهي ترتقى هلعاً وراحت تعدّها عن أشياء يقف لها شمس الانسان رعباً احوادث لا يستطيع المرء تصديقها بغير جهد جهيد ، وكأنها من نسج الخيال ا ففى هذه الليل وبعد أن أوى الناس الى مضاجعهم ، سمعت دوى قرع خفيف على الباب ، وصوت انسان يصرخ قائلاً : «افتحوا الباب والا تسمروا» . تصورى ! وكيف بعد هذا يستطيع المرء أن يقول عنه أنه جذاب؟»

«وما هو شأن مدام كورويوتشكا في الموضوع ؟ هل هي في مقبّل العصر أم على قدر من الجهالة؟»

«أوه ، لا يا عزيزتي ! انها عجوز بلغت من العمر مئتين» .

«يا للفرية ! ادن هذه هي طبيعته ؟ ان اللعنة تحقّ على ادواق السيدات اللواتي وقس قسّ جنته» .

«أجل ، ولكن القصة لا تقف عند هذا الحد . اتعربين ؟ لقد دخل على هذه العجوز وهو مدجج بالسلاح من ثمة رأسه الى اخصى قدمه ، وقال لها بيبيتي ، الأنفس التي ماتت لديك اخيراً ؟ . وكان جواب مدام كورويوتشكا ياطبع معقولاً جداً . فقد قالت له «كيف امك هذه الأنفس وقد فارقت الحياة؟» ولكنه احبب «لا ، لا انها ليست ميتة هذا ما اقول لك . فانا الذي اعرف حقائق الامور . واقسم لك انها ما تزال حية» . خلاصة القول كان شهيداً غريباً جداً ، وتراكنى اهل القرية وتخاص صراح الاطفال وصياح الرجال ، ولم يفهم احد حتى الآن سبب ذلك كله . وما سمعت بنفسى هذا الكلام حتى كاد يشفى على من اهلح ، ورحت ارتجف ارتجافاً لا تستطيع تصوره . حتى ان وصيفتى ماشكا قالت لي «انظري الى وجهك في المرآة يا سيدتى اسريزة ، ل ترى كم هو شاب» . فاجبتها «لا وقت لفي» لذلك اذ يجب أن اذهب الى صديقتي آنا غريغوريفنا واحمل اليها هذه الاخبار . ولم اطلع لحظة واحدة في طلب العربية . غير اننى عندما جلست فيها وسألني السائق عن الجهة التي اتجه اليها لم استطع النطق بكلمة واحدة ، ووقفت احدث في ذاخلة ولا ريب انه ظن بى

مساً من جنون . ايه يا آنا غريغورييفنا لو تملسين
ملخ اضطرابي !»

فعلقت ربة البيت تقول «اية قصة عجيبة هذا ! ومادا
يعنى الرسل بالامس الميتة ؟ ان هذه الكلمات تعدنى
ادراكي . ومن الغريب ان الحديث عن الانفس الميتة احد
يدور بين الناس للمرة الثانية . كان زوجي يقول لي بان
نرذريك يكذب ولكن يجب ان يكون في كذبه شيء
من الحقيقة» .

«تصوري حاتي اذن عندما سمعت هذا كله وقب
قلت كورويوتشكا لوزجة الكاهن انها أصبحت ضائعة لا
تدري ماذا تفعل . لان الرجل دمي لها خمسة عشر روبلا
واجبرها ان توقع ورقة ما . تأملي المرأة الصغيرة التي
لا حول لها ولا قوة والتي لا تعرف شيئاً من شؤون
الاعمال ، يروغها هذا الانسان على بيع نفوسها الميتة !
تصوري مشاعري عندما اسمع ان قصصاً كهذه لا تزال
تحدث في هذه الايام ! تصوري» .

«لا بد ان يكون هناك شيء اكثر من النفوس الميتة
التي تبيع للحيات» .

فوافعت الاخرى قائلة «لا بد ان يكون كذلك» . ولكن
ملاحظة صديقتها هذه وقمت في بعض موقع الدهشة
والاستغراب واتارت فيها حب الفصول فدادت ان
تعرف ما الذي يمكن ان تسجل عليه كلمة «اكثر» .
ولذلك راحت تقول «وما الذي تظنيم وراء هذا كله ؟»
«الا ، اخبريني اولاً ماذا تظنين اني» .

«ماذا اظن ؟ اني حائرة لا أدري من الامر شيئاً» .

اذن اخبريني بماذا تفكرين» .

واصطرت الزائرة ان تعترف بانها مشتتة الفكر لا
تستطيع ان تعمل فكرها باتزان ، بل انها تخشى على
نفسها مساً من الجنون ولذلك فهي بحاجة الى الطبيب
والصيحة .

وقالت ربة البيت «اذن ، اليك ما اعتقده شمس
للموس الميتة» - فرصت الصيغة اذنيها حالاً ، (او
بالأحرى ارتفعت الاذان بنفسهما) وأحرت بعض التعديل
على وضعها بحيث كادت تصبح جلستها سودجية ، وعلى
الرغم من انها ذات وزن لا يستهان به الا انها اتحدت
مظهر الريشة الطائرة في عيب الرياح .

تماماً مثل سيد روسي متحمس للصيد والتقنص ، اذ
يقترب من غايه يتوقع ان يقفز منها بين لحظة وأخرى
ارنب بري اهيكته الكلاب المطاردة ، فيتحول كله مسح
حذائه وسوطه الطويل المرفوع الى محطة جامدة ، الى
بارود ، على وشك ان تقرب انوار حته . فبرز عينيه
في الهواء المصيب ، وهو يوشك ان يلحق قنصه ،
ويشويه قبل ان يذبح ، وغير خائف ان يثور ضده
السهم النلجي السامع كله ، ويشتر هجومه القضية على
شفقيه ، وشازويه ، وعينييه ، وحاجبيه ، وفي قبعته
الرائية .

وابتدأت ربة البيت بالقول «النفوس الميتة . . .»
فتساءلت الصيغة بأفعال شديد : «هي ماذا ؟ هي
ماذا ؟»

«هي ، هي . . .»

«تكلّمي . اشيريشي يعني السماوات» .

«هي بقعة تغطي وراها أمراً آخر . فضاية ارحس الحقيقة هي - هي أن يهرب بأية حاكم الولاية» .

كان هذا الاستنتاج غريباً غير منظر أبداً على الرائحة اللطيفة فحدث عند سماعه قطرة من الدهشة الأصيلة لشاحبة المتجمدة . وصرحت وهي تضرب يداً بيد : «يا الهي ! ليس في طاعتني أن اتصر هذا !»

«هذه هي الحقيقة . وقد عرفتها في الساعة التي فتحت فيها فمك بهذا الحديث» .

«ذن كفي النكات تملياً في لمدارس ها هي اية حاكم الولاية قد تعلمت . فانظري النتيجة !»
«أى والله ! وقد قيل لي انها تشلفظ بكلمات أحمق من أن أرددها على مسامحك» .

«إن قلب الدهر لم يتصر أسى عندما يرى التدهور الخلقى الذي وصلنا اليه في هذا الزمان» .

«دعني أراهم من أن بعض الرجال اشاعوا عقولهم في هواها فهي تافهة في كل صفاتها لا تستحق الذكور . وأزديك علماً أن طباعها لا تحفل» .

«آه . يا حياتي . يا أما غريغوريينا . انها تمثال وجهها خا من أي تعبير» .

«أى نعم . متصنعة . ومتصنعة جداً . يا ربي . كم هي متصنعة ! لا أعرف من علمها ذلك . ولكنني لم أرا أية امرأة لها مثل مباحاتها» .

«انها تمثال . يا روحي . وشاحبة كالصوت» .

«آوه . لا اعتقد . يا صوفيا ايدلويينا . تحسّر وجهها بشدة» .

كيف هذا منك . يا آنا غريغوريينا . انها مبهتة كالطيشورة . تماماً كالطيشورة» .

«ذات مرة حسبت تريي . يا عزيزتي . الدرة يسك الأصبع . وتتساقط من وجهها قطعاً كما يتساقط ملاط ليجدران . امها عمتها . فهي نفسها هجبة . ولكن ابتها مستفرون عليها» .

«طيب . تمضي . اخلفي انت ما تشائين من عين . ولكنني مستعدة في هذه اللحظة أن أحرّم من اولادي وروحي ولكن ضيقتي . اذا كان لها ورو قطرة . وحتى درة . وحتى ظل من حمرة» .

«ما هذا الذي تقولين . يا صوفيا ايدلويينا !» - قالت السيدة اللطيفة من كل الواحي . وصريت كلاً بكف . فغابت السيدة اللطيفة «آه» . انت تدهشيني حقاً . يا أما غريغوريينا - وضربت كلاً بكف أيضاً .

وبكى أوجو الا يستغرب القاري من أن السيدتين كلتيهما لم تتفقاً فيما بينهما على ما رأته كلتاهما في وقت واحد تقريباً . ففي اصنام . بالعمل . اسماء كثيرة لها هذه العاصية . وهي اذا نظرت اليها سيدة لاحت بيضاء تماماً . واداً نظرت اليها سيدة أخرى لاحت حمراء كالفراولة .

تأبّيت السيدة اللطيفة تقول :

«طيب . اليك دليلاً آخر على انها شاحبة الوجه . اسأ تذكر . وكأنا حدث ذلك الآن . انني كنت جالسة قرب

مانيلوف ، فاقول له «أنظر ، كم هي شاحبة !» صحيح يجب أن يكون الانسان أبله مثل رجالنا حتى يعجب بها . أما نظريتنا . اه . كم يبدو لي مرفقا ؟ لا يمكن أن تتصورى . يا آنا غريغوريفنا ، إلى أي درجة يبدو لي مرفقا» .

«نعم ، ومع ذلك فهناك سيدات أبدين له بعض الاهتمام» .

«أنا ، يا آنا غريغوريفنا ؟ لم يمكن أبداً أن تقول ذلك عني . لن ، ولن !» .

«ولكننى لا أعنيك ، وكأنما لم يكن أحد غيرك» .

«لا ، ولن يا آنا غريغوريفنا ! اسمحى لى أن

أنتبهك إلى ألقى أعرف نفسي جيداً . إلا إذا كان ذلك

يخص بعض السيدات اللواتي يمثلن دور المحصات» .

والآن ، أغريتنى ، يا صوفيا أيفانوفنا ! واسمحي

لي أن أقول لك لم تحصل مى مثل هذه الفضائح . مع

الأخريات ممكن ، ولكن ليس معى . ماذا ما أرجو أن

أقوله لك» .

«ولماذا أزعجت بهذا الشكل ؟ فقد كانت هناك

سيدات أخريات ، بل وكانت هناك من تدافعن ليأخذن

مقاعد قرب الباب ، ليجلسن أقرب اليه» .

وبعد هذه الكلمات التي تفوهت بها السيدة اللطيفة ،

كان لا بد أن تعقبها عاصفة ، ولكن من الغرابة الشديدة

أن كلتا السيدتين هدأت فجأة ، ولم يعقب ذلك شيء .

تذكرت السيدة اللطيفة من كل الواحى أن تفصيلنة

المستند الجديد ليس فى حوزتها ، والسيدة اللطيفة

فقط فعلت إلى أنها لم تتعرف بعد على أية تفاصيل عن
هذه الاكتشافات انذى جعلته صاحبة مخلصه ، ولهذا حل
السلام بينهما بسرعة . وعلى الموم لا يجوز القول أن
أياماً من السيدتين كانت فى طبعتهما تميل إلى ابتلاء
الانس ، وخلقهما ، بشكل عام ، حال من أى شئت ، بل
مجرد أن رغبة صغيرة قد تولدت أثناء حديثهما لا
شعورياً ومن تلقاء نفسها فى أن تلتصق أحدهما
الأخرى . لمجرد أن أيأ واحدة منهما تجد قليلا من المتعة
حين تعوب للأخرى كلمة جديدة لأذعة ، وكان تقول
«هاك ، حذى ، تسلمى ، كلمى» ذلك لأن رغباتهن
مختلف الاشكال تظهر فى قلوب الرجال والنساء على حد
سواء .

«لكن أكثر ما يحيرنى هو كيف يمكن لرجل مثل
تشيستشيكوف الطارىء على الولاية أن يتورط فى عمل
كهذا العمل . لا شك أن له شركاء فى الجريمة» - قالت
السيدة البطيئة فقط .

«هذا لا شك فيه ، واستطيع أن أقول أن نوزديف

هو أحد هؤلاء الشركاء» .

«أكيد ؟»

«لا مرأ فى ذلك . فقد عرفت عنه مرة أنه جرب أن

يبيع أباه أو على الأقل فقد قامر عليه فى اللص» .

«حقاً ما تقولين ؟ لقد أثرت كوامن استغرابى . لم

أكن أتصور أن لنوزديف دوراً فى هذه القصة» .

«أما أنا فقد كنت دائماً أفتبأ بهذا» .

«ولكن أن تتصورى . صحيح ما أكثر الأشياء التى

٢٢٧

تحصل في هذا الدنيا ! ولكن هل كان من الممكن التنبؤ ،
عند ذلك ، أنت تذكرين ، وتشتيتشيكوف قد وصل ان
بلدتنا لثروه ، بان يحدث مثل هذه الضجة المريبة من
مجتمعنا ؟ أه ، يا أنا غريفرديفا ، ليتك تعرفين كم
ارتجبت ! لو لا مودتنا وصدقتنا . . . لكنت . . . لكتب
حقا على حافة الهلاك . . . والى أين المهرب ؟ ما سنا
ترائي شاحبة كالصوت ونقول في «مولاتي العزيزة » ان
شاحبة كالصوت . . - عاقل «لم اعد اهتم بذلك الآن »
تلك كانت الحال . وما أن دخل بوزدريف ، اوه ، حتى
لا ادري ماذا اقول .

كانت السيدة اللطيفة تود كثيرا أن تطلع على المزيد
من التفاصيل عن الاختطاف ، في أي ساعة حصل ، وما
الى ذلك . ولكن ما اكثر ما تود . اعلنت السيدة
اللطيفة من كل الواحي صراحة بأنها لا تعرف شيئا . ولم
تكن تجيد الكذب . شي- آخر ان تفترض ، ولكن حتى
الافتراض ، في مثل هذه الحال ، يجب أن يبني على
اقتناع داخلي . ولو كانت تشعر باقتناع داخلي فانها
ستقدر أن تدافع عن نفسها . وعندها ليجرب أي محام
كبير مشهور بموهبته في قهر آراء الآخرين أن يتنازل
في هذه القضية ، فيعرف ما هو الاقتناع الداخلي .
وما اقتنعت به كلتا السيدتين أخيرا ، بشكل كلي ،
في ان ما كانت تفترضانه سابقا لم يكن الا مجرد
افتراض ، لم يكن شيئا غير اعتيادي . ونحن ومن على
شاكلتنا ، من الناس الاذكياء ، كما نسمى انفسنا ،
نصرف بهذه الصورة تقريبا ، نعتبر جدالاتنا العلمية

دليل اثبات . في البداية يعالجها العالم معالجة كرجل
مترلف . يبدأ بتهيب واعتدال يبدأ بسؤال في غاية
الودعة : اليس من هناك ؟ ألم يأخذ هذا القطر اسمه
من ممطقة معينة ؟ أو الا تعود هذه الوثيقة الى عهد آخر
اقدم ؟ أم هل نحن متأكدون من أنهم يسمون بهذا
الاسم شعبا آخر مختلفا ؟ وسرعان ما يستشهد هؤلاء
وغيرهم من الكتاب القدامى ، وما أن يرى أي تلميذ أو
مجرد ما يراه تلميذا حتى يمتلئ صهوة جواده ، ويتشجع
ويتناظر مع الكتاب القدامى ببساطة ، ويطرح عليهم
الاسئلة ، بل ويحيب هو نفسه عنها ناسيا كليا انه بدأ
بافتراض متهيب . فقد صار يتصور الآن انه يراه
ذلك . وان ذلك واضح ، وينتهي النقاش بهذه الكلمات
«هذا حصل بشكل نهائي ، والشعب الغلاني يجب أن
يعني الشعب الغلاني ، ومن وجهة النظر هذه يجب أن
ينظر الى الموضوع » وبعد ذلك يعلى عن الملا من
على المنبر . وتدبح الحقيقة المكتشفة حديثا في العالم ،
جامعة حولها المحققين والأتباع .

كانت السيدتان ما تزالان يتجادلان بحدة وصياح ،
عندما دخل القرفة عنيهما المسعى العام - بحواجب كثرة
وعيمين رامشتين وقسمات لا حراك فيها ، فسارعتا فور
المسارعة لأطلاعه على ما يديهما من انباء ، بالإضافة
الى تفاصيل وافية عن شراء الانفس المينة وعن مشروع
هروبه مع ابنة حاكم الولاية واربكتاه كلب ، بحيث انه
لم يستطع أن يفهم شيئا ، مهما اطال وقفته في مكانه
لا يريم . راهشا بعينه اليسرى ، عاربا لحيته بضديله

ليزج عنها ذرات التيج . وبعد هذا اسلقتا الى المدينة
لتحوير اهلها . وكانت بحاجة الى ما يزيد قليلا عن نصف
ساعة لمقابلة هذه المهمة على الوجه الاكمل .

كانت ابليدة في هيجان شديد ، وكل شيء فسى
فوران . ويا ليت أحداً استطاع ان يفهم شيئاً ما .
الميدات لم يكن قادرات الا على احداث الجلبة بين
الجميع ، ولا سيما بين الموظفين الذين ظنوا ذاهبين
مضوقين لبعض الوقت . قعدا متكل كل فرد من طائفة
الموظفين كمثل تلحيد المدرسة ، وقد اغتنم الفرصة
رفاقه آخرون استيقظوا قبله ، فدرّوا في عينييه
قيمة من السعوط وهو ما يزال ثائلاً . وعندما استنشق
السعوط متمملاً بكل قوة اسنان نائم ، استيقظ ، وب
من سريره ، وحق كالايله ، محلقاً عينييه في كل
الجهات . ولا يستطيع ان يفهم أين هو ، وماذا حصل
له ، ثم يتميز بعد ذلك الجيران الغاضب بشعاع الشمس
المائل ، وضحك زملائه ، المختبئين في الزوايا ،
والصباح الطلع المظلم من المافدة ، بالمعابة المستيقظة
الصداء بالالوف من اصوات الطيسور ، والجداول
المُسَقَّفة الصائق بتعرجاته هنا وهناك بين القصب
البحيل ، العرقط كلبية باجساد الاولاد الصراة الداعين الى
السباحة ، وبعد ذلك ، أخيراً ، يشعر بأن في أنفه
سحوطاً . تلك بالضبط كانت سائلة اهالي البليدة
وموظفيها في الزهرة الاولى . كان كل واحد منهم يتوهم
محلقاً عينييه كالخروف . كانت الانفس الميتة ، وابة
حاكم الولاية ونشيتشيكوف يختلطون ويتشربكون في

رؤوسهم بفرابة غير اعتيادية وفيما بعد فقط ، بعد
الصعقة الاولى ، صاروا وكأنهم يحزنون بينهم ،
ويصلون بعضهم عن بعض ، وأحدوا يطالبون بإصلاح ،
ويعضون ، وهم يرون الامر يُعزَّز على كل إصلاح . ما
هذا الغمز ، في الحقيقة ؟ ما لزم هذه النفوس الميتة ؟
لا يوجد أي منطق في النفوس الميتة ، ثياغ وتشري .
واي احمق سيشتريها ؟ وبأي نقود مسسوحة سيشتريها ؟
ولأي غرض وفي أي عمل يسكن ان يجتر هذه النفوس
الميتة ؟ وما علاقة ابنة حاكم الولاية في هذه القضية ؟
ماذا كان يريد ان يأخذها ، بما حاجته لشراء النفوس
الميتة ؟ واذا كان يريد شراء النفوس الميتة بما حاجته
لأخذ ابنة حاكم الولاية ؟ هل يريد أن يهدي لها هذه
النفوس الميتة ؟ وما هذه السخافة التي تسرى فسى
البليدة ؟ واي اذاه هذه ، اذا كنت ما اس تلحق ان تدين
راسك ، حتى تجد ضائعة قد شاعت . ويا ليت لو كان
لها معنى . . . ولكنها شاعت ، ومعنى ذلك كان هناك
موجب ؟ . . فما هو الموجب في النفوس الميتة ؟ لا يمكن
ان يكون لها موجب . يسى مجرد سخافات ، سخافات ،
ترشرات حقى ! والله أعلم أي شيء آخر ! وباختصار
كلام في كلام . وأحدث المدينة كلها تتحدث عن النفوس
الميتة وابنة حاكم الولاية ، عن تشيتشيكوف والنفوس
الميتة . وعن ابنة حاكم الولاية وتشيتشيكوف . رطلح
كل شيء الى الخارج . والبليدة التي كانت تبدو حاجبة
هاجت كازومعة . وخرج من مهاجمهم كل التنايصة
والكسالى الذين ظلوا عدة سنين منطرحين في اربابهم

السنزلية ، ملقن اللوم على الاسكاف الذى صبح لهم
 حرمان صبيقة لا يستطيعون السير فيها ، او على
 الحياط ، او على حوذهم السكير ، كل الذين قطعوا هذه
 زمان كل صبيقة ، ولم يكونوا يعرفون غير صبيقة المانيك
 سرحان ، اذا صبح السكير ، والمالك تاتم ، وهما اسمان
 معروفان مشتهران من الفيلين "سرح" و"تام" الواسى
 الانتشار عندنا فى روسيا ، مثلما تسمى عبارة "الغناء"
 بريارة السيد لجامى والمعيد شامخ" القاطن فى نومى
 اهل الكهف على جتيه او على قفاه وهى كل الاوضاع
 الاخرى المصحوبة بالشيخوخة وتغير الانتم والبرام
 الاخرى كل الذين لم يكن فى الامكان اغراؤهم بالخروج
 من البيت حتى فى دعوتهم الى عارية حساء سمك المعنى
 النقيص الذى يكلف مائتى روبل ، مع شرائع من هذا
 السمك البسم الصبح وكل انواع القضاير التى تذوب فى
 الفم ، وباختصار ظهر ان السلسلة كثيرة السكان
 كبيرة ، وماهولة بكل انواع الاعددين . ظهر شخص
 يدعى ميسينوى ، بنفوتيفيتش وآخر باسم مكدوناند
 كارلوفيتش ، وهما شخصان لم يسمح بهما احد من
 قبل ، وصار يتردد على غرف الصيوف رجب طويل جداً
 ذو ذراع مصابة . اطول حتى من اى شخص رآته
 العين . وظهرت فى البوارع مركبت مغلقة وعربات
 وحلات من شتى الانوع ، واحتلظ العابل بالذيل .
 ان شحات كده ربما ما كانت تستثير اى اهتمام ، اذا
 كانت قد وقعت فى وقت آخر وهى ظروف اخرى ، ولكن
 بنده "ن" ، لم تكن قد تدقت اية اخبار ، منذ زمن بعيد ،

بل ولم يحصل فيها ، خلال ثلاثة اشهر ، ما يسمنه فى
 الموسم "كوميراجيه" * . وذلك ، كما هو معروف ،
 بسبب وجوب اغذية فى الوقت المناسب ، بالنسبة
 للسيدة ، وظهور فى حضم تفسيرات البدة وراى مجدداً
 تبعاً . ونقصت المسائل الموضوعة على بساط البسة
 الى قسمين - مسألة الانفسي الميتة ، ومسألة ائنة
 احكام . وتشكل تبعاً لذلك فريقان - فريق الرجال
 وفريق النساء . اما فريق الرجال ، وهو اقرب الفريقين
 احساساً بلا جدال ، فقد حصر اهتمامه على الانفس
 الميتة . بينما شغل فريق النساء نفسه فقط فى القضية
 المرومة عن خلف امته الحاكم ، ويمكن ان نذكر هنا
 مصالح النساء ان فريقهن كان ابرع خطة واشد حيلة
 من الفريق المنعفس ، وقد يكون مسبب ذلك انهماكهم
 الدائم فى ادارة الميوت وتدبير امورها . وبهذا سرعان
 ما اتخذت انقصية عند السيدات شكلاً محدداً واضحاً ،
 وتلورت بجلاء لا يدحض ، وتبدت لا يتوهم من الريب
 شائبة . وقال مضمون ان تشيتشيكوف كان غامقاً لى
 حب العتاة منذ امد طويل وان الاثنين كانا يلتقيان فى
 ضوى انكر . وان حاكم الولاية كان على وشك القبول
 لا سيما وقد رأى ان تشيتشيكوف غنى "كهردى" ، بولا
 عقبة اكتشفها فى الطريق وهى ان تشيتشيكوف كان
 قد عجز زوجة له (اما كيف توصلت السيدات
 المحترمات الى ان يعرفن انه كان مثروجاً ، فهذا لا

* من الكلمة الفرنسية "le comérage" أى الاكوابيل .

يراء غامضاً حتى الآن) وأن السدة المهجورة السادة الذكر - وقد استأجر زوجها الغائب حيناً - أرسلت كتاباً مؤثراً جداً لحاكم الولاية ، ولما رأى تشيتشيكوف أن الأب والأم سوف لا يمتنعانه القبول صمم على اختطاف البنت . وفي حلقات أخرى كانت القصة تروى على شكل آخر . فقد أكد قسم منهم أن تشيتشيكوف لا زوجة له ، لكنه كرجل حنكة ودهاء رأى أن يطلب يد الفتاة بأن يوقع أمها في حباله أولاً ويوقع بيده وبينتها عري لا تنقسم ثم يقدم بعد ذلك بطلبه المشهود . ولكن الأم ، مخافة أن تقترف الخطيئة في دينها وإحساساً منها بوجع ضميرها ودت على تشيتشيكوف برفض صريح . وبعد ذلك كله فكر تشيتشيكوف بالخطف المزعوم ، وقد أصيبت طبعاً ، حواشي محتفة من البراهين والإيضاحات تتناسب مع مدى ما وصلت إليه القصة في أرجاء المدينة أو المجتمعات الواطئة في روسيا مغرمة جداً في الحديث عن المضائق التي كانت تحصل في المجتمعات الراقية ولهذا أحدثت الاحاديث تجري عن ذلك في مساكن حقيرة لم يقع بصر أهلها على تشيتشيكوف ، ولم يعرفوه ، وحصلت أصافات وإيضاحات أكثر ، وأخيراً ، وحصل الخبر بما عليه من تهديدات إلى إذن روجة حاكم الولاية نفسها . وطبيعة الحال بلغ استيازه أشده لدى سماعها هذه القصص ، ولها الحق أن تعمل بوصفها أما لعائنة وأول سيدة في المدينة وربة بيت به يتطرق إليها الشك يوماً من الأيام هذه الأشياء . وكان على

بنتها الصغيرة المسكينة ، نتيجة ذلك ، أن تتحمل - على براءتها - أقسى تقرير سمعته فتاة في السادسة عشرة .

وأعمرت سيول كبيرة من الأسئلة والاستجابات والتريعات ، والتهديدات ، والتصنيفات ، والاستمالات ، حتى أن الفتاة انفجرت تبكي ، وراحت تتحب ولم تستطع أن تفهم أي كلمة ؛ بينما تلقى البواب أمراً بأن لا يسمح لتشيتشيكوف مطلقاً بدخول البيت

وبعد أن أنهى فريق السيدات مهمته مع روجة حاكم الولاية ، انهل على فريق الرجال بغية اقتاعهم بوجهة نظرهم وكسبهم إلى ناحيتهم ، مؤكدة أن النفوس الميتة ما هي إلا احتراع لتحويل الأنظار حتى تنجح مهمة الهروب بالفتاة . وقد تحول في الواقع أكثر من رجل وانضم إلى فريق النساء ، على الرغم من أن هؤلاء المشفقين قد تعرضوا لشتائم من رفاقهم السابقين مثل بنتها العجوز الشمطاء (وايتها الانثى) وألقاب أخرى سيئة للرجال .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقاما حاول الرجال أن يسألوا أنفسهم وأن يتقدموا الطليعة إلى الميدان فانهم لا يستطيعون أن يصاهاوا النساء في التنظيم وترتيب الصفوف . وقد كان كل أمر عند الفريق الأول عتبقاً متوشحاً غير مسجح لا معنى له أو في غير موضعه وعلى أسوأ ما يرام . ولم يكن يملأ رؤوسهم غير الخلافات والتفاهات واللبلة والغوضى في التفكير . خلاصة القول ، تجلّت عندهم كل صفات الرجال عامة

المحتال أن يكون تشيتشيوكوف مندوباً للحاكم العام لا أكثر ولا أقل ، أرسله ليقيم بتعليقات سرية ؟ وبما عل ذلك ، أسر «أى مدير الدائرة الطبية» بطلته هذا الى رئيس المجلس المحلي الذي كان عارماً أول الامر ان يقول «هراء» ، إلا أنه شجب قبالة جميعاً فكر في نفسه يقول «وكيف فيما لو كانت النفوس التي اشتراها تشيتشيوكوف ميتة حقاً ؟» - تفكير عرعب ، لا سيما وقد سمح بتسجيل البيع وقام بنفسه بدور الوكيل عسبن بلوشكين ، ما الذي سيحدث اذا وصلت هذه الاحبار الى اذى الحاكم العام ؟ وذكر هذا لبعض اصداقائه الذين انقلبوا يدورهم صغر الوجوه ، لأن الرعب أسرع انتشاراً من الطاعون واشد منه فتكاً . وغداة اكتشاف الجصع في انفسهم ذوبوا لا وجود لها . وكانت كلمة «نفوس ميتة» تحمل اليهم اصداً غامضة ، حتى احدثوا بتصويرون انها تنطوى على ايماءات الى جنتين دفنتا على عجل نتيجة حادثتين وقعت في وقت ليس بالبعيد الحادثة الاولى رفعت لبعض التجار من سولفيتشيوفوسك وقعدوا الى البينة للاشتراك في سولها . وبعد ان باعوا بضائعهم اقاموا مائدة صغيرة لاصدقائهم تجسار «وستيسيسولسك» مائدة اقامتها على اساس رسمي بتحسينات المانية - شراب اللوز ، البونس ، البيرم وغيرها . وانتهت المائدة بمرآة ، كما هي العادة . اتخنوا السولفيتشيوفوسكيون في زملائهم «وستيسيسولسكيين الى حد الموت ، ولكن دون ان ينجز هم من كلمات في الضلوع والصدور دلت على

من حشوة وغدظة عاجزة عن تدبير البيت او المبادرة الى الاستنتاج ، طبيعة تظل دائماً وابداً كسولاً عديمة انق مليئة بالشك والتهيب الدائم فقد أعلن فريق الرجال مثلاً بان القصة هراء كلها وان حرب ابنة حاكم الولاية هو اقرب ما يكون الى تأليف رجل آثم من رجال العيش وان السيدات يكدن عندما يتهمن تشيتشيوكوف بهذا العمل ، وان النساء مثل كيس النقود يحتفظن بأى شيء تضعه فيه ، وان لموضوع الذي يستحق الاهتمام من الحقيقة هو النفوس الميتة - الشيء الذي لا يعلم معناه الا الشيطان إلا ان هناك شيئاً ما غير مالوف فسي طبيعة الامور . سبب واحد جعل فريق الرجال يتأكد من ان النفوس الميتة هي شيء غير مالوف في طبيعة الامور - وهو انه كان قد تعين حديثاً حاكم عام . حدث اثار القلق العظيم ، طبعاً ، في نفوس الموظفين المدبرين جميعهم لما يترتب على ذلك من تنقلات واحكام تاليفية . كما يترتب عليه من ولام رسمية يتفحصها الحاكم العام عادة بتشريف موظفيه بالحضور اليها . وكان يدور في تفكير هؤلاء المواطنين ما يلى «يسا للهول ! انه لو علم بالوقائع التي تدور الاحاديث الآن عنها في المدينة فسقيم الدنيا ويقعدها وينزل على رؤوسنا البلوى التي لا نستطيع بعدها سماع نهاية هذه الاحاديث» . وعلى الاخص ، مدير الدائرة الطبية ، قد شجب لونه اذ تصور ان الحاكم لحدود قد يظن ان «النفوس الميتة» تدل على مرضى في المستشفيات المحمية قتمتهم الحمى لقلة العناية بهم . ليس من

الحجج المائدة لقبضات الذين أسلموا الروح . بل أن أحد المتصرين تهشم "عريبه" على حد تعبير المقاتلين ، أي أن أنفه قد سحق ، حتى لم يبق منه عي وحده إلا ما يزيد عرصه عن نصف أصبع ، وأعترف التجار في المحكمة بدينهم ، موضحين أنهم أساءوا التصرف قليلا . وسرت شاعات بأنهم عرضوا أروسة آلاف روبل على كل رأس مدني . والقضية كلها ، بشكل عام غامضة جداً . وقد ظهر من كشوف التحقيقات الرسمية أن تجار أوستيسيسولسك قد توفروا بسبب غازات الفحم ، ولهذا دفتوا باعتبارهم محروقين . أما الحادثة الثانية التي حصلت قبل مدة قصيرة ، فكانت كالآتي : وجهت إلى فلاحى الحكومة من قرية «أم القفل» بالتعاون مع نفس الفلاحين من قرىتي «الخزير المتخى» و«المشاكس» تهمة استئصال شاة شرطة الرئيس مشنة بالمختار دروبياجكي الذي أكثر التردد على قريتهم بشكل زائد ، وهو أمر كان أسوأ من التحمي الحبيثة في بعض الأحيان . والسبب في هذه الزيارات ، هو أن الشرطي الضعيف القلب أزاء الجبس الآخر كان يمازل نساء القرية وقتياتها . لا شيء مقطوع بصحته ، وليسو أن الفلاحين في أغادانهم ذكروا بوضوح أن هذا الشرطي كان فاجراً كهر ، وأنهم حردوه مرات عديدة ، بل وطردوه ذات مرة عارياً من بيت تسمل اليه . وبالطبع كان الشرطي مستحقاً للعقاب على نسروات قلبه الضعيف ، ولكن لا يجوز في نفس الوقت التماح مع فلاحى «أم القفل» و«المشاكس»

على تصرفهم الكيفى ، إذا كانوا قد ساءموا ، فعلاً بالقتل . ولكن القضية كانت غامضة ، وقد وحدها الشرطي في الطريق ، وسهرته الرسمية أسوأ من حرقة . أما وجهه فقد تعير جداً ، بحيث لا يعرف به . وتنفقت القضية بين الحاكم ، ووصلت أخيراً إلى المحكمة العليا ، حيث قد أجمعت الآراء في بادي الأمر على ما ساء : لما كان غير ثابت بالاصط من الذى اشترك في اغلحين نفس القتل ، والملاحون كثيرون ، ودروبياجكين قد فارق الحياة الآن . وإن ينتفع ، حتى ولو حكمت للمحكمة لصالحه - بينما الفلاحون ما يزالون أحياء ، ومعنى ذلك أن قرار المحكمة لصالحهم سيكون ذات أهمية كبيرة بالنسبة لهم ، وقد تقرر تبعاً لذلك . أن المختار دروبياجكين نفسه هو المسؤول ، بفرصه مضايقات محقة بحق فلاحى «أم القفل» و«المشاكس» ، وقد توفى اثر نوبة صرع ، وهو في طريق العودة على زلاجة . وبمدت القضية ، وكانها قد سددت ، ولكن الموظفين ، بسبب مجهول ، أخذوا يتساءلون عما إذا كانت لمفوس البية الآن علاقة في تلك القضية . ولزيادة متاعب الموظفين أيضاً ، حدث في تلك الآونة بالذات أن وقع في يد الحاكم المحلي وثيقتان في غاية الأهمية . كانت أولهما تقرير إلى أن هناك في تلك الولاية ، حسب الدلائل والتقارير ، مزيف للنفود يتستر تحت أسماء مختلفة . ولهذا يجب البحث عنه بكل جدٍ ونشاط . أما الوثيقة الأخرى فكانت كتاباً من حاكم ولاية مجاورة بشأن شرب أئيم نشر الرعب في تلك الولاية ، ونفى

فعدوه في هذا الشأن - طمأ - كورويوتسكا . الا ان المدهومات التي أحدها من هذا المصدر كانت صنيعة جداً . كانت مجرد رواية عن انه اشترى منها بعض البفوس بخمسة عشر روبلا ، ووعدنا بأن يشتري منها كمية من الريش وبصانع أخرى في المستقبل لأنه سمعده الشحوم للحكومة ، وهذا أمر يدل الى حد ما على ان الرجل سافل خاصة وأن هناك شخصاً آخر مماثلاً اشترى كمية من الريش الا أنه غش " كل من عاملوه ، وغش روحه الاب بالذات بمبلغ أكثر من مائة روبل . وما حالته فيما بعد كان تكراراً تقريباً لما قالته وكانت نتجة التحقيق النهائية مع السيدة أن القنع الموظفون بأبها عجز عبية ثرثرة . أما مافيلوف فقد اجاب بأنه يستطيع ان يتكلم عن تشيتشيكوف كما يتكلم عن نفسه وأنه مستعد للتضحية بكل ثروته في سبيل ان يحوز على عشر المواهب التي يحورها بافيسيل ايدانوفيتش . وأخيراً ، قُطِب حاجبيه بحدة والقي خطاباً يمح فيه تشيتشيكوف بأحسن التمايز بالخلافة داعماً اقربائه بعشاعر شتى من الصداقة والموظف بورجه عام . وكان خطابه في الحقيقة كافياً للدلالة على الاحاسيس العاطفية الجياشة في قلب المتكلم ولكنه لم يمر السبيل أمام ساليبيس في الموضوع الذي يشعرون . أما سوباكفيتش فقد اجاب بأنه يعتبر تشيتشيكوف انساناً ممتازاً وأن البفوس التي باعها له كانت حية بكل ما في الكلمة من معنى . ولكنه لا يستطيع ان يحيب عما قد يحدث لها في المستقبل ،

لهجة الكتاب ما يوحى بالتعذير بأنه اذا ظهر في مقاطعة مدنية «ن» أي شخص مشتبه به لا يستطيع ايراد وثيقة أو جواز سفر ، فيجب القاء القبض عليه حالاً . وقد القت هاتان الوثيقتان الرعب والفزع في قلب كل الناس ، لأنهما أثارتا كل الاحتمالات والتفكيرات السابقة . وبالطبع لم يكن في الامكان الافتراض بان ذلك اشاره الى تشيتشيكوف على نحو ما : وعندما استعرض كل صهر الوضع حسب وجهة نظره تذكر ان لا أحد يعرف من هو تشيتشيكوف ، بينما كان كلام تشيتشيكوف عن نفسه وتمايزه الفاضحة ، اجل - تمايزه الفاضحة تدل على انه قاسى كثيراً في سبيل الحقيقة عندما كان في خدمة الحكومة ، وأن له اعداء يطلبون حياته . وكانت استمادة هذا الكلام غذاء لتفكير الموظفين . وربما كانت حياته حقيقة في خطر ؟ وربما كان هناك حقيقة من يسم عنه ؟ وربما كان قد قام حقيقة بعمل ما ؟ أمّا في واقف الامر ، من هو ؟ لم يكن يبدو عليه انه مزيف بقود . بله لاه ، لأن مظهره العارضي كان في أعلى درجات الاحترام . لكن من هو ؟ وأخذ هؤلاء السادة الموظفون يطرحون على انفسهم هذا السؤال الذي كان يجب ان يوجهوه في البداية ، أي في الفصل الاول من قصيدتنا هذه . وأخيراً ، صمم الموظفون على اجراء تحقيق مع اولئك الذين اشترى منهم البفوس حتى يتسنى لهم الاطلاع على الاقل على ماهية المشتريات وما وراها . وربما اذا كان قد أوضح لاحدهم - عرضاً - عن مآربه الحقيقية او اطلع احدهم على هويته . وكان اول من

وان اى كادنة قد تحك بالنفوس اثناء تغلبهم سوف لا تكون غلظته لأن الله سبحانه وتعالى هو رب الجميع ونى يده مقادير الامور . وان الحميات والمواصر المميتة الاخرى كثيرة جداً فى هذا العالم ، وهناك امثلة على قرى هلكت هزمتها بالأوبئة والامراض . وبعد هذا كله . وجد الموظفون انفسهم مضطرين الى اتباع طريقة اخرى . ومع انها لا تستماع الا انها تستخدم غالباً - الا وهى ارسال خدم بكل حدوده كى يتصلوا بغيرهم الشخص الذى يطلبون المعلومات عنه ، وان يعرفوا منهم (اى من الخدم) بعض التفاصيل عن حياة سيدهم السابقة وماضييه . ولم يستطيعوا الحصول حتى من هذا المصدر الا على النزر اليسير لأن بتروشكا تكرم على سائليه فقط برائحة غرفته . واقتصرت اجريسه سيليفان على أن سيده كان فى خدمة الدولة ، واشتمل ايضاً على الجمارك . لهذه الطبقة من الناس عادة غريبة للغاية . اذا سالت احدهم سؤالا مباشراً عن شىء ما . لم يتذكر شيئاً ، ولا يلم كل شىء فى ذهنه . بل يكفى بالرد انه لا يعرف ، واذا سألته عن شىء آخر أخذ ينسج . ويتحدث بتفاصيل لا تريد أن تعرفها باختصار . كان المجموع الكلى للمعلومات التى حصل عليها الموظفون هو جمل هوية تشيتشيكوف . لكنه يجب أن يكون انساناً ما . وعلى ذلك فقد قرر أن يعقد اجتماع للبحث النهائي فيما يجب عمله . وفيمن يمكن أن يكون تشيتشيكوف ، وفيما اذا كان شخصاً يحسن جانبه ويجب اعتقاله لأنه انسان لا يستحق الاحترام .

او فيما اذا كان شخصاً يستطيع أن يرهبهم ويعتقلهم لانهم هم انفسهم الذين لا يستحقون الاحترام . وقرى الراى على عقد الاجتماع فى بيت رئيس الشرطة الذى يعرف عنه القراء انه أب وراعى للمدينة .

الفصل العاشر

وما أن اجتمع الموظفون فى البيت الذى سبقت الإشارة اليه . حتى واى كل واحد منهم أن الآخرين قد اصابهم الهزال فاصبحوا ارقاً عوداً من جراء هذه المتاعب المنيرة . اجل . فان تعيين الحاكم العام الجديد ، والاشاعات المندلعة ، ووصول الوثيقتين الخطيرتين السالفتين - كل هذه الامور تركت آثاراً جلية على ملامح كل فرد من الحضور . واصبحت بعض المناطق كبيرة على لابسها . وذوت بعض البنى مثل نية رئيس المجلس المحل ومدير الادارة الطبية والمدعى العام . حتى ان شخصاً باسم سيمون ايفانوفيتش (ولم يكن يدعى باسم عائلته ايداً لسبب ما ، انما كان يلبس فى الاصبع خاتماً اعتاد أن يبهى به ابصار صديقاته السيدات) صغر حجمه حتى كاد يسقط خاتمته من اصبعه . لكن كان هناك عدد من الامراء الواقفين - كما يحدث دائماً فى شذائد كهذه - استطاعوا ان يحتفظوا بكامل قواهم الجسدية والعقلية ، وان كانت الاخيرة لا تزيد حجماً عن الذرة البسيطة . وكان مدير

البريد أحد هؤلاء . كان معتدل المزاج . وفي مناسبة كهذه كان يقول «لقد عرفناكم ايها الحكماء الكبار ، وقد رأينا متحكم ثلاثة أو أربعة يأتون ويذهبون ، بينما نحن نجلس على هذه المقاعد منذ ثلاثين عاماً» . وكان موظفون آخرون يرددون على ذلك عادة «وضعك جيد ، شيريسى زى ديتش يا ايفان اندريتش . أنت مسؤول عن البريد تتلقى وترسل الطرود . الا اذا تتحايلى فتصلق المكتب لئلا الموعد بساعة ، أو تأخذ رسماً أكثر على استلام رسالة من تاجر جاء متأخراً عن الموعد المقرر ، أو تحصل طرداً ممنوعاً - وبالطبع ، كل انسان هنا سيكون قدسياً . ولكن قد يتردد عليك كل يوم شيطان لا يفتأ يدس في يدك شيئاً ، وأنت لا تريد أن تأخذه ، ولكنه يفسده لك . بالطبع لست مثقلاً بالإعياء ، فأنت والد ابن واحد . ولكن هناك ، يا أخ ، هذا وذاك من الناس ، يمن الله عليهم كل سنة باين أو ابنة . ونفتمته تختنف عن نفستك» . بهذا الشكل كان يتكلم الموظفون . ولكن ليس من شأن المؤلف أن يحكم فيما اذا يجب أن يقف الانسان ضد اغراءات الشيطان أم لا . الا أن الميزة الطاغية في هذا الاجتماع كانت غياب مسا يعرف عادة «بالذوق» . ومن الروس ، بوجه عام ، لا تظهر بالمظهر اللائق في الاجتماعات الجادة ابتداء من اجتماعات الفلاحين في القرى الى مختلف أنواع اللجان البلدية وغيرها لاننا مالم نعد قائداً ذا سلطة معنوية يسيطر بها على الباقين فان الامور دائماً تتقلب الى فوضى . لماذا يجب أن يكون ذلك كذلك ؟ لا يستطيع امرؤ أن يجيب . على أية حال ،

بحادثنا تتجلى في الاجتماعات التي يكون موضوعها الولام والصفات - أي الاجتماعات التي تعقد في النوادي والبطاعم ذات الادارة الالمانية . ولكننا مستعدون ، على ما اظن ، لكل شيء . في كل لحظة . ومثل هبة الريح ستر فجأة الجمعيات الخيرية والتشجيعية ، وما نشأ من الجمعيات . وقد تكون الغاية نبيلة ، ولكن لن تضر شيئاً أبداً . ونمل مرجع ذلك اما لشعر بالرضى عن انفسنا فجأة ، ومنذ البداية ، ونعتبر كل شيء قد اتجر . مثلاً فنشئ جمعية خيرية للمفقرات ، ونعتبره مصالح كبيرة ، ونقوم على الفور تكريماً لهذه المكرمة بمادية غداء لجميع الموظفين الكبار في المدينة ، ونفلق فيها ، بالطبع ، نصف مجموع المبالغ التي تبرعنا بها . ونصرف النصف الآخر على استئجار مقر فاخر للجنة الجمعية ، فيه تدفئة وحراس ، وبعد ذلك لا يبقى للمفقرات من كل المبالغ غير خمسة روبلات ونصف ، وحتى هذا الصلح لا يتفق جميع أعضاء اللجنة على وجوبه افاقه ، ويأخذ كل عضو بتزكية أحد أقرابه . مهما يكن من أمر ، فان اجتماعنا الحالي لسم يكن من هذا النوع . اما هو اجتماع دعيت اليه الضرورة لبحث الكارثة التي تهدد كل موظف من الحاضرين . وبالتالي عليهم أن يكونوا أكثر تلاحماً وولاماً ولكن ما حدث كان العكس . والاضافة الى التباين العظيم في الآراء ووجهات النظر التي طرحت آنذاك ، فقد كانت تظهر على جميع المتكلمين موجة طاغية من التردد والحيرة جعلتهم يؤكدون أموراً في لحظة معينة ثم يعودون الى نقضها في اللحظة التي

تليها . الا ان امرأ واحداً على الاقل لاح انهم اتفموا عليه . وهو ان مظهر تشيتشيكوف وحديثه كانا على درجة من الاحترام لا يمكن ان يكون معها مزيفاً او نصفاً مستتراً . اقول ، لاح اهم كلهم متفقون على هذه النقطة من البحث حتى ظهرت صيحة فجائية من مدير البريد الذي كان جالسا منذ مدة مضت مستغرقاً في التفكير .

صاح يقول «استطيع ان اخبركم من ممر تشيتشيكوف ا»

فاجاب الجميع في هياج شديد «من اذن ؟»

«انه ليس غير الكابيتين كوبيكين»

«ومن يكون هذا الكابيتين كوبيكين ؟»

فتشقق نشقة من السعوط (فعل ذلك وغطاء العلبة مفتوح نصف فتحة مشافة ان يتدخل غريب فيدخل اصابعه المتسخة فيها) وراح يقص القصة التالية .

قصة الكابيتين كوبيكين

«بعد انتهاء حملة نابليون عام ١٨١٢ ، ارسل انصار جريج الى بيته ، اسمه الكابيتين كوبيكين . وكان هذا الشاب غنيداً جريداً يتدرب حيوية ويصفى حيويته هذه على كل شيء امامه سواء كان في العمل ام كان في السجى . ربما انه فقد ساقه وذراعه في معركة

كراسنى او معركة لايزيغ (لا يهم ايها) ، ولم يكن في تلك الايام تمويزات للجنود الجرحى ولم يصمد قادراً على العمل بيده اليسرى فقط ، لذلك انطلق ليري اياه في امر تدبير قوته . ولم يكن في قدرة الاب ان يعيل ابنه لسوء الحظ ، واطلع الابن على ذلك . فحسم الكابيتين على الذهاب الى بطرسبرج وطلب المساعدة منها نظراً الى انه خاطر بحياته في سبيل وطنه واهرق الكثير من دمه في الدفاع عن بلاده . ولكم ان تتصوروه في عربة الشحن التي اقلته وهو يطر على العاصمة - العاصمة التي لا تشبه لها في مدن العالم وابسطت امام عبيه صور الحياة كلها ، صور كأنها الف ليلة ليلة قام يتكويس اعرانها نيمسكى بروسبكت وشارع حوروحاايا والبروج الملطفة التي لا حصر لها والجسور التي لا تستند الى شيء - نيتوى اخرى كانت في الواقع مبسطة امام عيشيه . وتنقل يفيض استنجاار مروض للسكن يستقر فيه لكنه وجدها كلها تزحجر بالسنائر والسجاد المعجم وفاخر الاثاث ، وراى ان استنجاارها يعنى استهلاك القسم الاكبر من ماله . حقاً ان المرء اذا سار في شوارع بطرسبرج فانه يختل اليه انه يشم الروبلات بالآلاف ، ولكن جيب صديقه كوبيكين كان خالياً الا من بضع قطع ندية وقليل من الفضية لا تكفي لشراء ضيعة على اية حال . واخيراً ، تمكن من ايجاد مأوى له فيها يشبه الحانة حيث تكون حصة النازل منه طاساً من حساء الكرتب وقشرة من خبز ، هقاب دويل واحد في اليوم . ولما شعر بانه لا

يستطيع أن يقيم طويلا على حصة كهذه ، استشار
الناس فيما يفعل . فقالوا له «ماذا تفعل ؟ الحكومة
ليست هنا ، انها في باريس ، ولم ترجع الجيوش من
الحرب بعد . لكن هناك لجنة مؤقتة ومن الأفضل ان
تذهب اليها وترى ما يمكن أن تفعل لك» . فقال
«صنفا ، سأذهب الى اللجنة وأقول لها انى اهرقت
دمي وضحيت بحياتي في سبيل وطني» . واستيقظ
مبكرا صباح ذات يوم وحلق لحيقته بيده اليسرى (لان
تكاليف الحلاقة غير ذات بال) وانطلق يصاقه الخشبية
ليقابل رئيس اللجنة . ولكنه سال أولا عن محل سكني
الرئيس فقيل له ان بيته في «كورتيش القصر» . ولم
يكن البيت كوح فلاح طيبا ، انما كان يعج بالشبابيك
المتألقة والمرايا الضخمة والتماثيل والعموم ومقابض
الايواب النحاسية . انه في الواقع من ذلك النوع من
المحلات التي لا تدخونها الا بعد ان تشتروا قطعة
رحيصة من الصابون وتغسلوا أنفسكم بها ساعتين
كاملتين . وقام على المدخل ايضا يواب ضخيم بهراوة
في يده وباقية مطرزة على عتقه كانه كلب سمين
أفطس الالف أنغم أكلا . مهما يكن من أمر
فقد تمكن صديقنا كوبيكين من الوصول بنفسه
وبرجله الخشبية الى صالة الاستقبال وانروى
في إحدى الزوايا خشية أن يصدم كوعه الصيني
المذهب . وجلس ينتظر وهو مقتبط جدا لوصوله قبل
أن يغادر الرئيس قراشه وقبل أن يقدم الخدم له
الطشت العتيق اللصاع لسيل وجهه . ومع كل ذلك فقد

انتظر أربع ساعات حتى جاء خادم الصباح يقول «سيكون
الرئيس هنا حالا» . كانت الغرفة عندئذ تجم بالناس
وكانها خبيثة النحل . وما غادر الرئيس غرفة الاطوار
ودخل ان صالة الاستقبال حتى حمل معه . . . اية ا . .
اية عظيمة واية فضيحة ، انها ايكة العاصمة كلها ! وأخذ
يتنقل بين الحضور من شخص الى آخر وهو يقول «ماذا
تريد ؟ ماذا تريد ؟ ماذا أستطيع ان اعمل لك ؟ ما
شاك ؟» واخيرا وقف أمام كوبيكين ، فقال كوبيكين
له «اسى اهرقت دمي وقتلت سائقا وذراعاً في سبيل
بلادى ، ولا قدرة لي الا ان على الفصل . فهل لي أن
أجرؤ اذن وأطلب القليل من المساعدة اذا كانت القوانين
تسمح بها ؟ او منحة او ماضيا تقاعديا أو أى شيء
من هذا القبيل ؟» عندئذ نظر الحاكم فرأى أن احدى
سائقيه كانت حقا خشبية وان الكم الايمن المعلق لسي
مطعمه كان فارغا . فقال له «حسن جدا ، أرجع لي
مرة ثانية في غضون بضعة أيام» . فشمع كوبيكين
سرور لدى سماعه هذا الكلام ، وقال في نفسه «الآن
فمت بمهمتي» ولكن ان تصوروا كيف راح يعرج على
الرصيف ، وكيف عزج على حانة في الطريق واحتسى
كاسا من الفودكا ، وكيف طلب ضلع خروى وعصير
البرتقال وأشياء أخرى للفداء ، ثم كيف طلب زجاجة
من الخمر وكيف ذهب الى المسرح في المساء باحتصار ،
أعطى نفسه حقها على خير ما يرام . وبالتالي ، رأى في
الشوارع فتاة انجليزية كائنا الاودة في ثيها ، فاندفع
يصدر خلفها برجله الخشبية . ولما رأى انه لن يلحق

بها قال لنفسه «لكن ، لا . لنذهب هي وأمنا لها الى الشيطان ! سأتظر حتى اتسلم تقاعدى . فقد كفى ما قمت بصره حتى الآن» . وذهب بعد يومين او ثلاثة ايام لمقابلة رئيس اللجنة مرة ثانية . وقال له «يسرى ان اعرف ان كنت تستطيع الآن ان تعمل لي شيئا لقد دمي الذى اهرقت والامراض التى عانيت والهجوع التى بها اصببت في خدمة الوطن والعيش» . فقال له الرئيس «يجب ان احريك أولا ان قصيتك لا يمكن البت فيها دون مصادقة من الحكومة العليا . وبغير هذه المصادقة لا نستطيع ان نعمل شيئا . وانت ترى ان معظم الامور تبقى معلقة حتى رجوع الجيش من الحرب . كل ما يمكن ان اتصحت به هو ان تنتظر عودة القيصر وان تتجمل بالصبر اثنا ذلك . وتأكد انهم عندئذ لن يعضوا الطرف عنك» . على اية حال بهذا ما لم يكن يريد كوبيكين ، فقد كان ينتظر ان يتسلم منحة مقدارها الف روبل في الثو والساعة . وبدلا من «اشرب وامرح» كانت النتيجة «انتظر ماوقت لم يحن بعد» وهكذا . مع ان راسه كان مليئا باطباق الحماس وشرائح اللحم والفيتات الانجليزية . الا انه هبط السلالم الآن مطاطا الاذلين خاضعي الدين وعظمه في الواقع كسفر الكلب الذى كب عليه الطباخ سطل ماء . فتروا ايها السادة ان حياة بطرسبرج قد غيرت تغييرا ليس بالقليل منذ ان ذاق طعمها لأول مرة . فلا يعرف غير الشيطان كيف سيعيش بعد الآن . وازدادت الامور في وجهه تعقيدا اذ تصور انه لن يتمكن بشيء حلو بعد

الساعة . ويجب ان تذكروا دائما ان للرجل في عموام شابه شهية الدلب . واذا مر صاحبنا بطلمس رأى حادما ترسسيا بوجه مستدير وقبض هولابدى ومصطف ابصر كالنلج يحضر طبقا غائرا جدا من الطعام يكاد يأكل نفسه ، واذا مر امام حائوت للفاوكه رأى الطبيات مائة لمجابين من الناس تطلب منهم ان يشتروها منه روبل للجنة الواحدة . تأملوا على اذن حالته ! ويسكا ان يقول انه رأى سمك (السالمون) والبطيخ في «حبة والمبلغ الزولم الذى سيدقعه للخدمة مقابلها في «حبة اخرى . وفكر في نفسه قائلا «دع اللجنة تعمل بي ما تشاء ، ولسوف اذهب اليها واقبى صجنة كبرى ، وساخبر كل موظف فيها ان لي الحق بان افعل ما اريد» . ووجدت وقاحة هذا الرجل الجراء في العودة الى اللجنة بالعمل . وقال له الرئيس «ماذا تريد ؟ ما الذى جاء بك للمرة الاخرى ؟ فقد أعطيتك التعليمات التى يجب ان تتبعها» . فاجاب يقول «اجل معي التعليمات ولكنى لن اتبعها . اني اريد شيئا من الطعام» . فقال الرئيس «بعض الحلم» ، ايها الكايتين . ان الشيء الحقيقي الذى تريده (اذا سمعت لي بذكرك) هو بعض الصبر . ستقبض مكافأة مناسبة ، فلا يلىق ان يتترك في عز من ضحى في خدمة الوطن» . ولكن ان تصوروا ان هذه الكلمات دخلت من احدى اذنى كوبيكين وخرجت من الاذن الاخرى .

ما الذى يجب عمله مع شخص مثل كوبيكين ؟ ورأى الرئيس ان اتخاذ اجراءات حازمة أصبح أمرا حتميا .

وقال له «حسنًا جدًا» ، إذا كنت ترفض لقناعة بما أعطيت وترفض أن تأتي هادئًا في انتظار البت في قضيتك ، صلي» إذن أن أجد لك مأوى . أيها الشرطي حد هذا الرجل الى مكان سكنه» . فتقدم شرطى كان واقفاً يالباب طوله ثلاثة أذرع وعلى كتفه بندقية - شرطى لديه المؤهلات لكي يحرس مصرقة هالكة كبيراً ، ووضع صديقنا في عربة الشرطة . ففكر كوبيكين في نفسه وقال «على الأقل سوف لا ادفع هنا أجرة الركوب . وفي هذا بعض السلوى» . وبعد أن سادت بهما العربة قليلاً قال لنفسه مرة أخرى «لقد قالوا لي في اللعنة أن ادعب وأفتش عن وسائل أخرى أمثـع بها نفسي ، وما أنا بعمل» . مهما يكن من أمر ، فملاحـد يعلم الآن ماذا حدث لكوبيكين ولا الى أين قاده المصير . لقد غرق على حد قول الشاعر في بحر النسيان ، واندمت أعمانه في أعماقه . لكن اسمعوا لي أيها السادة أن المـ شئت القصة . فقد ظهر بعد شهرين من هذه الحادثة عصابة من قطاع الطرق في غابات ريازان . ولم يكن رئيس هذه العصابة غير - «فقاطعه وليس الشرطة قاتلاً» لكن اسمع لي ، لقد قلت ان الكاتبين كوبيكين فقد دراعه وسائله ، بينما تشيتشيكوف . . .»

لم يكن هناك داع لزيادة في القول ، إذ ضرب مدير البريد جبهته برأحة يده ، ودعا نفسه مجنوناً أصنام الجميع ، ولم يكن في مقدوره أن يفهم كيف لم يختر هذا الأمر في ذهنه منذ بداية القصة ، واعترف بصحة المثل القائل «الروسي ذكي بعد فوات الأوان» . مع أنه

قد جرب أن يصحح خطأه ذاك بقوله أن علم الميكانيكا في إنجلترا قد وصل الى درجة تصنع فيها السيقان الخشبية بحيث يمكن لابسها إذا ما شغط عبي لولب أن يعفيه عن الاضطرار .

ولكن الجميع كانوا في شك من أن تشيتشيكوف كان الكاتبين كوبيكين بالفعل ، واعتقدوا أن مدير البريد قد سرح به الخيال . وهم بالنامية لم يقتصروا ، من جديهم ، ومضوا احد متأثرين في فطائه مدير البريد . وبد بعثت نظريات مختلفة أخرى . منها أن تشيتشيكوف هو نابليون وأن الانجليزى منذ قديم الزمان يحسد روسيا على كونها بلاداً كبيرة شاسعة . بل وطبعت عدة صور كاريكاتورية يصور فيها الروسي يتحدث مع انجليزى كان يسك حلقه كلها من مقوده ، وهم يعنون به نابليون ، والانجليزى يقول «حذار ، إذا لم يصحني شيء ما ، فسأطلق عليك الكلب»

ولعلمهم الآن قد أطلقوه من جزيرة هيلانه . وهو الآن يتسلسل الى روسيا ، وقد يكون تشيتشيكوف في حقيقة امره ليس شخصاً بهذا الاسم . وبالطبع لم يصنفك الموظفون بذلك ، بل جعلهم ذلك يفكرون في الأمر . على أية حال ، وفي خضم تفكيرهم هذا ، اقتنع كل واحد منهم بأن تشيتشيكوف ، اذا ادار وجهه جانباً ، تشيبيه تماماً صورة نابليون . بل أن مدير الشرطة الذي كان في الجيش أثناء حملة نابليون عام ١٨١٢ ، ورأى نابليون شخصياً لم يكن في وسعه الا أن يقر أن نابليون ليس أطول قامه من تشيتشيكوف في كسل

في الجريمة يوماً ما ليمارس السلطة الكبرى على العالم .
 وسجن النبي جزاءً على نبوته ، ولكنه قد ترك تأثيره ،
 على كل حال ، وأثار التجار كلياً . وظلوا زمن طویل ،
 حتى أثناء عقد الصفقات المرحمة ، وتوجههم الى الحانات
 لتسيتها بالنساء يتعدون عن المسيح الدجال . ووجد
 الكثيرون من الموظفين ونبل القوم أنفسهم يمتكرون في
 ذلك أيضاً ، واصيبوا بصدى الصورية التي كانت
 رائجة ، كما هو معروف ، وعلى النوضة . ودارا على
 الحروف التي يتألف منها اسم نابليون معنى خاصاً
 يعادل رقم ٦٦٦ أي اسم إبليس الذي تنبأ به سفر
 الرؤيا . ولهذا فلا عجب اذا وجد الموظفون أنفسهم
 متقادين الى التفكير في هذه النقطة ، الا أنهم سرعان ما
 صحوا ، وقد فطنوا الى أن حياتهم تمادي اكثر من
 اللازم ، وأن الأمر ليس كذلك تماماً .

وصمم الموظفون أن يسألوا بوزدريف ، كأخ ملاذ
 يلوذون به ، إذ لم يكن هو أول من ذكر الانفس الميتة
 وحسب ، بل كان يبدو أنه على علاقات متينة مع
 تشيتشيوكوف . ومعنى ذلك أنه يعرف بلا شك شيئاً من
 ملاسبات حياته ، فلتحاول مرة أخرى ما سيقولنه
 بوزدريف .

غريباً هؤلاء السادة الموظفون ، ومن ورائهم جميع
 البراتب الأخرى . فقد كانوا يعرفون جيداً أن بوزدريف
 كذاب ، ولا يمكن التصديق بكلمة واحدة . مهما تكن
 تافهة من أقواله ، ومع ذلك فقد لجأوا اليه بالذات .
 وما غريب مخبوف في لدينا من النسان لا يؤمن بالرب ،

الأحوال . وأن نابليون في هيئة جسمه لا يمكن أن يقال
 أيضاً أنه سمين جداً ، ولكنه ليس انخيف بشكل
 ملحوظ . ولربما يصف كل هذا بأنه غير مستحب ،
 والمؤلف أيضاً مستعد ، لارضائهم ، بأن يمت كل من
 بهذه الصفة ، ولكن من سوء الحظ أن كل ذلك حصل
 كما يترى ، والأعجب من ذلك أن البلدة لم تكن في
 الانحاء القصية من البلاد ، بل على العكس ، لم تكن
 بعيدة عن كلتا العاصمتين ، وعلى أية حال يجب أن يذكر
 أن حادثة هذه القصة قد وقعت بعد أن طرد الفرنسيون
 من روسيا بسنوات غير عديدة . وفي ذلك الوقت انقلب
 كل مالكي الأراضي عندئذ ، والموظفين ، والتجار ،
 والباة في المغازن ، وكل المتعلمين ، بر وحتى الاميون
 الى سياسيين عتاة لمدة ثمانية سنوات على الأخص .
 وصارت جريدة «قوانع موسكو» وجريدة «ابن الوطن»
 تترآن بحماس غير قليل وتداولتهما الأيدي حتى كانتا
 تصلان الى القاري الأخير مرة لا تصلح لأي استعمال
 وبدلاً من الأسئمة المعتادة «بكم يست كليل الشوفان»
 يا عم» أو «كيف استفدت من الثلج الذي سقط الباردة»
 صاروا يقولون «اذا تكتب الصحف ، ألم يطلنوا سراح
 نابليون من الجريمة مرة أخرى ؟ وكان التجار أشد
 الناس خوفاً من ذلك ، لأنهم كانوا يؤمنون كلياً بثني
 ثبي كان قد أمضى ثلاث سنوات في السجن . وقد وصل
 هذا النبي من مكان غير معلوم ينتعل هذا من ليف
 ويلبس فروة تلوح برائحة سمك فاسد قوية ، وذكر
 أن نابليون هو المسيح الدجال وسوف يهرب من سجنه

ولكنه يؤمن بأن أفعاله حكمة ، صميمية لا محالة
ويتعامل عن راحة شاعر واضحة كالنهار ، منية قلبه
على الانسجام وحكمة البساطة الرفيعة ، ولكنه يتهاون
على ما يكتبه طائش يشوش ويدفق ويعلم ويفسد
الطبيعة ويعجب هذا العمل ، ويظل يصيح « انه معرفة
حقيقية لأسرار القلب » وطوال حياته لا يحدهم معلم
الجد ، ويؤول أخيراً الى اللجوء الى امرأة من العوام
تعالج بالتمتعات والبصقات ، او في أحسن الاحوال
يتكرر هو نفسه مستخلصاً من قاذورات يتصور لسبب
لا يملكه الا الله . انه يشغلي سره سببي من
الممكن أن يضر السادة الموظفين بقدر ما سبب
وهمهم الصعب بالفعل . فالناس تقول العريق يشغيت
بالقشة الصغيرة . وهو في الوقت ذاته لا يفكر في أن
الدباية وحدها يمكن أن تركب قشقه ، بينما ورثه أنقى
بما لا يقاس . ولكنه في تلك اللحظة لا يستطيع أن
يتصور ذلك ، فيتشغيت بالقشة . وبهذا الشكل تشغيت
سادتا بوزدريف . وينا ، على ذلك أرسل رئيس
الشرطة مذكرة بيد مأمور خاص فخرج هذا في نفس
اللمحة بعزمته الطويلة العنق ، وخده متوردان ، ممسكاً
بحسامه متجهاً الى مسكن نوزدريف . كان نوزدريف في
ذلك الوقت منهمكاً في عمل هام جداً ، هو من الاهمية في
درجة جعلته يلزم غرفته أربعة أيام متتالية ، وكان
يتناول طعامه من الناعمة ولا يقابل زائراً أبداً . والعمل
المشار اليه كان يتكون من وضع علامات سرية على
عدد كبير جداً من أوراق اللعب بحيث يتمكن من الاعتماد

عليها أكثر مما يعتمد على صديق حميم . وبقي من العمل
ما يستغرق اسبوعين على الأقل ، وكان على بوزدريف
طول هذا الوقت كنه أن ينظف صرة جروكلب حراسة
ضمم بفرشاة خاصة ، ويفسله ثلاث مرات في اليوم
باصابون . ولم يكن يحب بطبيعة الحال أن تنزى
عرائسه ، وبدأ أول ما بدأ بإرسال المأمور الى
الشیطان . لكنه حالما علم من الرسالة المرسلة اليه
أن هناك صبيماً عند مدير الشرطة حديث العهد باللعب ،
رأى أن زيارة كهذه لن تكون عديمة الجدوى . فلانست
عريكته . وفتح باب غرفته ورمى على كتفيه أول رداء
وقع بين يديه وشرع في الرواح . وكانت افادات
بوزدريف وشهاداته وعقراضاته متعارضة مع استراضات
السادة الموظفين حتى أوقعت الاضطراب حتى فسمي
تحييتهم الأخيرة . لقد كان بالتأكيد رجلاً لا يسود
للسكوك عنده أبداً . فقد كان له من التصميم والثقة
بقدر ما لافتراضاتهم من خليلة والتعجب . وقد اجاب
على كل سؤال سألته اياه الموظفون بشيات وحزم . وقال
يا تشيشيشيكوف قد اشترى حقيقة انفساً حية بمبلغ
عدة آلاف من الروبلات . وفي الواقع أنه (أي
بوزدريف) باعه بعضها ، وما زال يرى أن ليس هناك
ما يمسحه من أن يفعل . وبالتالي اجاب بالايجاب على
سؤال بشأن ما اذا كان تشيشيشيكوف جاسوساً أم لا ،
وأضاف يقول بأن تشيشيشيكوف كان يصرّف منذ أيام
المدرسة التي قضاه معها « بالمعبر » ، وقد دق رفاقه
عنه مراراً لهذا السبب حتى اضطر لوضع هاتين

رفض بادی' ذی بدء اجراء مراسم القرائن حتی هذه تشيتشيكوف بأنه سيفضع الحقيقة التالية ، وهي انه (ای الکاهن) كان قد زوج ميخائيل (وهو يائع حيوب في لمدينة) من قريته . وحزم ايضا بان تشيتشيكوف كان قد هيا عربة لنقل العروسين وعدداً من حيول لمواصلات هي مراكز تبديل القبول على الطريق . لا ، بالرواية التي رواها توردريف وصت حداً من التفصيل راج يذكر فيه اسماء بعض الحوذة ١ وبالنائي سبر لموظفون غوره في ما اذا كان من الممكن أن يكون تشيتشيكوف هو نابليون ، ولكنهم ما لبثوا أن تنموا على خطواتهم هذه ، لأن توردريف راج يهذر هذراً طائشاً لا عود لهم بمثله من قبل . وأخيراً ترك معظم المستمعين العربة وهم يبق غير رئيس الشرطة (أملا أن يجمع الريد من المعلومات) . حتى هو اضطر آخر الامر الى تكذيب استكلم بايامة تقول «الشیطان وحده يعلم ما الذي يقوله هذا الانسان» وعرف الموظفون أن المراء لا يمكن ان يعنى من الشوك العنب . وبقي الموظفون في وضع أسوأ من ذی قبل ، وكانت النتيجة أنهم لم يستطيعوا ان يعرفوا قط حقيقة تشيتشيكوف . واصبحت واضحة طبيعة انسان . انه حكيم ذكي ومدبر في كل الاشياء التي تخص الآخرين ، ما عدا . يسدي التصالح الرشيدة العازمة في ظروف الحياة الصعبة ١ يصبح الجمهور «رأس داهية ١ أي طبع صلب له ؟» ولكن ما أن يقع هو في مصاعب حياتية حتى يتلانس هذا الطبع ، ويرتبك هذا الرجل الصنوب ، ويتبين بيه

واربعين عتقة على صدفه ، أي انه كان يريد أن يقول أربعين ، ولكن مانتين جادسا على سبانه من ثلقاء نفسها . وأجاب الشاهد بالإيجاب على سؤال فيما اذا كان تشيتشيكوف مزيفاً للنقود أم لا ، واستشهد بقصة تدل على مهارة تشيتشيكوف استثنائية في هذا الصار . وهي ان السلطات علمت ذات يوم ان في بيت تشيتشيكوف مليوني ورقة مزيفة من ذوات الروبر وبناء على ذلك ختمت ابواب البيت بالشمع واحاطته من كل ناحية بالحرس المسلح . فما كان من تشيتشيكوف الا أن ذهب في ظلمة الليل وغير الاختام الشمعية بأخرى جديدة ورقب أموره بحيث لما فشر البيت وجد أن النقود المزيفة كانت تقوداً صحيحة أصيلة ١ وبالإضافة الى ذلك ، لما سئل عما اذا كان تشيتشيكوف قد أعد خطة للهرب بامنة الحاكم ، وعما اذا كان صحيحاً أنه (أي توردريف) شرع في مساعدته وأغوائه على هذا العمل ، اجاب الشاهد بأنه لو لم يشرع في ذلك لما كان في الامكان تنفيذ المشروع وعهد هذه لنقطة نهض الشاهد اذ أدرك أنه قد كذب كذبة يمكن ان تسبب له الكثير من المتاعب . ولكنه لم يكن يستطيع مقاومة لسانه - فالتفاصيل التي كانت تتارجع على طرف هذا اللسان كانت حلاية جداً حتى انه راج يذكر اسم القرية التي كانت تقع فيها الكنيسة التي اتفق الاثنان على عقد القرائن فيها واسم الكاهن الذي سيجرى العقد ومقدار الاجر الذي سيدفع له (خمسة وسبعين روبلا) . وحزم أيضاً بما يلي - أن الكاهن

جيان بانس ، تانه ، طفل هزيل او مجرد مباح ، كما
ينسبته نوردوف .

كل هذه الاقوال والآراء والشائعات اثرت ، بسبب
مجهول ، في المدعى العام ، اكثر من غير . وكان
تأثيرها فيه من القوة ، بحيث انه ، حين وصل الى
بيته ، اخذ يفكر ، ويفكر ، حتي مات بلا سبب ولا
علة ، على حد التعبير الشائع ، لا احد يعرف هل اصاب
بالقايح او بشي آخر . الا انه ما ان فقد ، حتى انكأ
من الكرسي على وجهه ، وصاحوا وصغفوا يدا بيد على
حكم العادة «آه ، يا رب !» وارسلوا في طلب الطبيب
ليجسم له ، ولكنهم اكتشفوا ان المدعى العام ما هو الا
جثة بلا روح . وعنده ذلك فقط عرفوا ، بحسرة ، ان
المرحوم كانت له روح بالفضل ، ولو انه لم يكن يظهرها
قط ، بسبب تواضعه . ومع ذلك فقد كان مجي الموت
مرعباً للصغير والكبير على حد سواء . فالرجل الذي كان
الى وقت قصير يتحرك ، ويلعب الورق ، ويوقع مقتطف
الاوراق ، وكان مرحواً جداً بين الموظفين بحاجبيه
الكثمين ، وعينه الرامشة ، هو الآن مسجى على طاوله ،
وعينه اليسرى لم تعد ترمش ، ولكن احد حاجبيه كان
مرفوعاً قليلاً في تساؤل . والله وحده يعلم عم كان
المرحوم يضام ، ولماذا مات . ولماذا عاش .

الا ان ذلك لا يقبده العقل ، على كل حال ، ولا يتفق
مع اي شيء من المستحيل ان يفرغ الموظفون انفسهم
بهذا الشكل ، ويغلقوا هذه السخافة ، ويبتعدوا عن
الحقيقة بينما حتى الطفل نفسه يعرف ما هي المسألة !

وسيقول ذلك الكثيرون من القراء ، ويؤنون لمؤلف
على مجانيته للاحتمال ، او يصيرون الموظفين المساكين
بالمقاي ، لأن الانسان كريم في استخدامه لكل كلمة
«احسن» ومستعد لان يلقبها بجاره عشرين مرة في
اليوم . يكفيه ان يكون نائب واحد من جوانب خلقه
العشرة احق ليوصف بالاحق على حساب الجوانب
السبعة الجيدة . ومن السهل على القراء ، وهم ينظرون
من ركن عليانهم الهادي ، حيث الآن مكتوف بهم ،
ان يحكموا على كل ما يجري في الاسفل ، حيث لا يرى
الانسان غير الشيء الغريب منه . وفي المدونات
العالمية لتاريخ الشرية الكثير من القرون الكامدة التي
يبدو شطبها ومحوها ممكنين ، لاهي غير ضرورية .
فوناك الكثير من الفضلات في عالم تبدو الآن لا يمكن
ان يقوم بها حتى الطفل . فكم من الطرق المعوجسة
المسدودة الصيقة ، المنبعة المتفرقة بعيداً اختارتها
الاسانفة في سعيها للوصول الى الحقيقة الاربعة ، بينما
كان مفتوحاً امامها الطريق المستقيم ، كالطريق
المؤدي الى هيكل عظيم مخصص ليكون مقراً للقيصر !
هو اوسع الطرق كلها ، وانفرد بها ، متواً بالشخص
ومضاه طوال الليل بالانوار ، ولكن الناس تجاوزته ،
وسارت في الظلام الدامس . وكم من مرة ، حتى بعد
ان تزودوا بالرسالة المنزلة من السماء ، زاغوا
واحرفوا سواد السبيل ، ووقعوا من جديد وفي وضع
النهار في مغارات ثائية مسدودة ، وانزلوا من جديد
غشاء الحمى على عيون بعضهم البعض ، متجذبين الى

السراب الخادع ، ووصلوا الى حافة الهاوية ، ليسال بعضهم بعضاً فيما بعد : أين المخرج ، أين الطريق ؟ ان الجيل الحالي ، يرى كل شيء الآن بوضوح ، وتدهشه الضلالات ، ويضحت من مخافات سلفه . ولا يرى ان تلهب النار السماوية تلك المدونة التاريخية ، ليصرخ كل حرف فيها وليشار اليه بالبنان من كل مكان ، يشار اليه ، الى الجيل الحالي ، ولكن الجيل الحالي يضحك ويبدأ بثقة في النفس واعتداد في سلسلة من الضلالات الجديدة ، سيضحك منها الخلف أيضاً فيما بعد .

هذا ، ولم يكن تشيتشيكيوف يعلم من الامر شيئاً . فقد أصابته قشعريرة خفيفة والتهاب في الحلق جعله يذم غرفته ثلاثة أيام كان فيها يفرغ حلقه باللبن وعصير الليمون وقد اكل الفاكهة التي استخرج منها العصير ، ووضع على عنقه كمادة من البايوتيج والكافور وكوسيلة لقضاء الوقت اخذ يعمل قوائم مفصلة جديدة عن الانفس التي اشتراها . ثم راح يطالع كتاب «الدوة دولا فالير» * ويتبش في حقيقته ويقلب الأوراق والأدوات الأخرى التي وجدها في صندوق المراسلات ، وقد وجد ان كل شيء من هذه الأشياء على ما يرام من الترتيب . ولم يستطع ان يملل لماذا لم يزره أحد من أصدقائه الموظفين للسؤال عن حالة ، لا سيما وقد رأى قبل مدة بسيطة عربات مدير البريد والمدعى العام

* والدوة دولا فالير - رواية الكاتبة الفرنسية م . جاليمس (١٩٤٦-١٩٨٣) . الناشر .

وليس المجلس المحل واقفة امام الفتلق . فتعجب ثم اردد عجباً وهو كتعبه وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً . ولم يلبث ان شعر بالتحسن الملحوظ واحس برغبة في الخروج الى الهواء الطلق مرة أخرى ، فحلقت كمية غير قليلة من الشعر الناعم على وجهه وليس بهمة كادت تشق سراويله ورش على نفسه ماء الكولونيا ، ولف نفسه بالبنسة دافئة وربط خده وانطلق عسى اشوارع . وكان اول ما عزم عليه هو الذهاب الى بيت احاكم . وراحت تحوّم في رأسه افكار خاصة بشأن اية الحاكم حتى نسي نفسه وأخذ يبتسم مداعباً أفكاره .

وما ان وصل الى البيت بهمّ بغلق لفاعه حتى حياه البواب بقوله : «لدي» أوامر تمنعني من السماح لك بالدخول» .

فبهت تشيتشيكيوف وصاح مندحشاً «ماذا ؟ ألا تعرفني ؟ انظر اليّ مرة أخرى لتعرف من أنا» . فأجاب البواب «أنا أعرفك طبعاً ، وقد رأيتك أكثر من مرة قبل الآن . ولكني أمرت بان اسمح لكل انسان بالدخول عدا السيد تشيتشيكيوف» .

«حقاً ؟ ولِمَ ذلك ؟»

«هذا ما أمرت به وعليّ تنفيذه» ، قال ذلك ولم يتقدم بالطبع لتناول ما سيحلعه تشيتشيكيوف كما كان يفعل في المرات السابقة وباللطف السابق . وقصد انضح لديه ان تشيتشيكيوف (ما دام السادة قد رفضوا قبوله زائراً) لا بد ان يكون سافلاً .

تقال تشيتشيكوف لنفسه «أنا لا أهتم هذا» وغادر المكان متخذاً طريقه إلى رئيس المجلس المحلي ، ولكن الموثب المذكور بدا عليه انفعال شديد عند رؤية تشيتشيكوف حتى انه لم يستطع أن يلفظ كلمتين متتابعتين ، وإنما أخذ يهتز هتافاً يصل الضيف ورب البيت في دهشة داهشة . وتعجب تشيتشيكوف وهو يشترك البيت مما يمكن أن تصفيه تمتعات الرئيس الحرة التي لم يستطع أن يفرق فيها بين الرأس والذنب وبالنتائج زار رئيس الشرطة ونائب الحاكم ومدير البريد بالتتابع . لكنه كان في كل حالة إما أن يرفض قبوله أو يجد أن المقابلة غريبة فيها قدر كبير من التحفظ والتعيب وتضمنت الفكر ولا حرج ، حتى أنه بدا يغشى الجنون على مستقبله . وقد حاول مرة وأخرى أن يتكهن بالسبب وكان نصيبه القشل الشديد . وعن هذا ، راج يتجول في المدينة على غير هدى دون أن يدرك ما إذا كان الجنون قد أصابه أو أصاب الوظيفين . وأخيراً عاد إلى الفندق في حالة يرثى لها من الحمرة والذهول عاد إلى المكان الذي خرج منه عصر اليوم نفسه بمستويات عالية بمصعد عليها . وأحس برغبة تدفعه إلى أن يعمل شيئاً ، فطلب الشاي وهو لا يزال مستعرباً من وضعه لسماد القريب ، وكان على وشك أن يصيبه في الكوب عندما فتح الباب ودخل نورديف .

وبدا يقول «يقول المثل «ليس كثيراً أن تمشي يوماً كاملاً لتقابل صديقاً» . وقد كنت مارة قرب المنزل حينما

رايت نوراً من نافذتك ، وقتت لنفسي «ما رأيك في أن تصعد وتزوره ؟ انه على الأرجح لم يثم بعد ، ها ! ها ! ابي اوى شايمة على حالتك . حسناً ، اذن سأعرب معك قداماً لأنى تناولت طعاماً بائساً وبدأت أحس» ينقل على معدتي . فلن نعدك أن يعي لي غليوناً . أين غليونك ؟»

فأجاب تشيتشيكوف بيقظ «أما لا ادخن أبداً» .

«هراء ! كأنني لا أعرف أى مدخنة أنت ! ما اسمك خافك ؟ فأخراي ! تعال إلى هنا» .

«اسمه بتروشكا وليس فأخراي» .

«حقاً ؟ لكن كان عندك رجل سمه فأخراي . أليس كذلك ؟»

«لا ، أبداً» .

«اذن يجب أن يكون حاتم ديريين هو من افكر فيه . أى انسان معطوف ديريين هذا ! به عمة تساجرت مع ابنها لأنه تزوج أمة من الاقنان فتركت كل ثروتها له - بديرين . أه لو كان لي عمة من هذا النوع احتياطاً لطوارى المستقبل ! لكن ، قل لي ، لماذا كنت محتباً ؟ اظن أنك تقوى في الامور السهولة وثقفس في بطون الكتب» (أما ما الذى جرّ توردريف إلى هذه الاستنتاجات ، فلا أحد يدري - عن الانسب تشيتشيكوف .) «بالمعامية ، أريد أن أحرك عن امر يوصى نُعْر الدعاية لديك» . وهذا الاستنتاج عن نكرة الدعاية عند تشيتشيكوف لا حبر له في كلام

توزدريف) «وذلك أن ترى التاجر ليغاتشيف وهو
يغمر كومة كبيرة من القود في اللعب. بشرفي كنت
ستضعك ! وكان معنا شخص اسمه بيريديف كان
يقول ليت تشيتشيكوف كان هنا ، انه كان سيفضحك من
اعماق قلبه . » (وفي واقع الامر فان تشيتشيكوف لم
يقابل في حياته منذ أن ولد شخصاً باسم بيريديف .)
«مهما يكن من أمر ، فعليك أن تعترف يا صديقي بأنك
قد أسأت لي يوم أن لعبنا الشطرنج معاً . لكن ،
بما أني ربحت اللعبة فمن أجل لك حقداً . بالمقاسة ،
اتى الآن عائد من بيت الرئيس وعليّ أن أخبرك بأن
الرأي العام في المدينة نائر عليك ، لأن كل انسان
يعتقد بأنك مزيف نقود . وقد استدعيت شخصياً
وسئلت عنك ، ولكني دافعت عنك في كل صتيرة
وكبيرة واخبرت الموظفين اني كنت معك في المدرسة
واني عرفت اياك . لقد رددت السائلين في الواقع
خاسئين . »

فقال تشيتشيكوف وهو ينهض من مجلسه «تقول
انهم يعتقدونني مزيفاً ؟»

فقال توزدريف «نعم . لكن لماذا رحمت تخيف الناس
كلهم بأعمالك ؟ ان بعض الناس قد مستهم الجنون من
جرا ذلك ويقولون عنك بأنك نص مستتر او
جانس . حتى ان المبعث العام عوفي اس من هذه
الاخبار وسيدفونوه غداً ! الا تكون هناك ؟ ولكن القوم
يكادون يطيطون ذعراً من الحاكم العام الجديد لأنهم
يظنون انه سوف يخلق لهم المتاعب بشأنك .

بالمقاسة ، يقال عنه انه رجس متكرر يدس انفه في
كل شيء . فاداً كان ذلك كذلك ، فان عواقب السوء
من تكون محبودة ، لا سيما وهم قوم يستعقون
التماضي . أجل ، بشرفي ! اذا ما اعتزل الحاكم العام
الجديد في مكتبه وامتنع عن حضور الحفلات فستكون
العواقب اوحش مما في الحساب ! بالمقاسة ، ان
مشروعك خطر يا تشيتشيكوف .

فتساءل تشيتشيكوف بقلق ظاهري «اي مشروع
نص ؟»

«لماذا ؟ مشروع خطف ابنة الحاكم . على أية حال فلا
اكتك الحقيقة اذا قلت لك بأنني كنت اتوقع شيئاً
من هذا القبيل . وما رأيك معها في الحفلة الراقصة
حتى قلب لمضي «آه ، آه ! لا يمكن أن يكون
تشيتشيكوف هنا بغير ما سبب !» اما أنا شخصياً
فاعتقد أن اختيارك غير موفق ، لأنني لا أرى فيها أية
ميرة اطلاقاً . بينما هناك ابنة أخت صديق لي اسمه
بيكوسوف - فتاة لا غبار عليها ! أية من الجبال في
تياب انسان !»

فتساءل تشيتشيكوف وعيناه تتسمان «اي شيء
بالله هذا الذي تتكلم عنه ؟ وكيف يمكنني ان اخطف
ابنة حاكم الولاية ؟ اي شيء تعني بالله ؟»

«لماذا ؟ ماذا ؟ اي شخص كترم أرى ؟ ان كل
قصدي من المجهي اليك هو ان امد اليك يسد
المساعدة . اصنع لي . انك اذا ادتنتي ثلاثة آلاف روبل
مساقوم بتكليف الزواج وباعداد العرية وحيول

المواصلات . يجب أن احصل على هذا المبلغ ولو من في سبيته .

كان تشيتشيكوف طوال الوقت الذي بهذر فيه نورديف يفرك عينيه كي يتأكد فيما اذا كان حليماً ما يرى ويسمع . فانهامه بالتزييف واتهامه بمشروع الاختطاف وموت المدعي العام (وكانه كان سبيه) وقدم الحاكم العام الجديد . كل هذا جعله يشعر بأنه في منتهى اليأس وفي قرارة اليأس .

وقال بنفسه «حيث ان الامور قد وصلت الى هذا الحد فمن الأفضل ان لا اتلصق ويحب ان اغادر حالاً» .

وما تحصل من نورديف بأسرع ما يستطيع حتى ارسل في طلب سيليفان وأمره ان يستيقظ مع الفجر لتنظيف العربة ولتهيئة كل شيء للسفر في السادسة صباحاً . ومع ان سيليفان أجابه «سبحاً وطاعة يا ياغبيل ايمنوفيتش» . الا أنه تلكا برهة على الباب . ومن ثم امر تشيتشيكوف بتروشكا أن يخرج له الحقبة المميرة من تحت السرير ، ثم أخذ يكوّم فيها الجوارب والقبضان واباقات (الظلف منها والمتسخ) والاحدية وحصى التقاويم وادوات محتمة أخرى خليطاً بعضها فوق بعض . وقد وضع كل شيء في الحقبة كما تناولته يده ، فقد كان هدفه ان يعول دون ما قد يجد من عوائق عند السفر في الصباح . هذا بينما كان سيليفان يمتلكه يترك الغرفة ببطء - ببطء شديد جداً - ثم راح ينزل السلم بالبطء نفسه (تاركاً في كل خطوة من خطواته أنار قدميه الموحلتين) ووقف أخيراً يحدك

رأسه . اما ماذا يعني هذا الحد ؟ وما هذا كله بشكل عام ؟ امر الزعاج من عدم تمكنه من الالتقاء المقرر يوم غد صباحه في محطة البائس المحسزم بحرام عرض في حانة ام هو علاقة غرامية مع فتاة في مكانه الجديد ، واضطراره ترك وقفته المسالية عند البوابة في انتظارها ، وإصمائه يدها البيضاء بأدب جم في تلك الساعة التي يهبط فيها النساء على البلدة ، وفتى في ثوب أحمر يضرب على البلايكا أمام جمع من الخدم ، وحديث من التسميلة يتكلمون بأصوات هادئة ؟ ام مجرد اسم على ترك مكان صبار عامر؟ بالذنب ، في مطبخ الخدم ، وهو متدن في فروته قرب الموقد مع صحن جساء ملقّم هشّة ، ليعود من جديد الى التجوال في الطر والوخل ، وكل منقصات الطقس السيئ الاخرى ؟ فلن يستطيع أحد ان يجيب ، لأن هذا الحد عند عامة الروس يمكن ان يعنى أى شيء من مائة شيء .

الفصل الحادي عشر

بيد ان الامور لم تجري وفق رؤية تشيتشيكوف . أولاً ، لأنه نام اكثر من عادته - هذه واحدة . وثانياً ، عندما صبحا من نومه وسأل عما اذا كانت العربة مهيأة وكل شيء جاهزاً ، قيل له لا هذا ولا ذاك - هذه ثانية . واستعد ونفسه مشتتة غصباً أن يلقي على سيليفان أمضراً تمنيف مر به في حياته ، وأخذ ينتظر بفارغ الصبر سماع ما قد يدافع به القادم عن نفسه . ولا

حاجة بنا الى القول بأن سيليفان حالما ظهر بالباب اخذ يقدم المصاذير المعتادة التي يقدمها الخدم عادة عندما يكون السفر المستعجل أمراً حتمياً ،
قال على مهله «يا فيل ايفانوفيتش ، ان الثيرول بحاجة الى حذوات» .

فاجابه تشبيتشيكوف قائلاً «ايها الغبي ! لماذا لم تقل ذلك من قبل ايها المجنون اللعين ؟ ألم يكن لديك وقت كاف لحذوها ؟»

فوافق سيليفان بقوله «بلى ، لقد كان . واحدى المجلات أيضاً تحتاج الى اطار حديد لأن وعورة الطريق ابلت الاطار القديم ، ثم ، ان صندوق العربنة نفسه أصبح يالياً بحيث لا يستل سير مرحلتين» .

فضم تشبيتشيكوف قبضته واقترب من سيليفان كأنما سيلكمه ، فتهقّر الأخير خوفاً وانزوى كالكلب في ناحية . ووصاح عليه «يا سافل اهل تنوى ان تهلكنى وتعلم اصلاحي في الطريق ايها الابله اللعين ؟ لم يكن لديك اى عمل لثلاث اسابيع حلت ، والآن في آخر لحظة تجيئنى وانت تتبسم وتلبس دور المجنون ! كان عليك ان تعلم ذلك قبل الآن . هل عرفته ام لم تعرفه ؟ اجبني حالا» .

فأجاب سيليفان وهو يمدّ رأسه «نعم لقد عرفته» .
«أفّن ، لماذا لم تخبرني عنه ؟»

لم يكن لدى سيليفان جواب حاضر ، فاستمر يمدّ رأسه وراح يخاطب نفسه بهدوء «يا ويحي ، كيف تصرمت ! كنت اعرف كل شيء ومع هذا لم اقل» .

واستمر تشبيتشيكوف يقول «والآن ، اذهب حالا واحصر حداداً . وقل له ان ينيج كل شيء في ساعتين على اكثر تقدير . هل تسمع ؟ واذا لم تفعل ذلك فاني سأبلدك حداداً لم تفعله في حياتك من قبل» . وكان الغضب في الواقع قد احدث من تشبيتشيكوف ماخذه .

فانجبه سيليفان الى الباب كما لو كان ذاهباً لتفصيل الاوهر ، لكنه وقف وأضاف يقول «وذلك الحصان الارسط يا سيدي ، لا تظن من الانسب ان نبيعه لأنه ليس الا بذلاً . فوجوده عائق لامساعده» .

«ماذا ؟ انتتظر منى ان اذهب الآن الى السوق لبيعه ؟»

«أجل يا بافيل ايفانوفيتش ، فهو مظهر خداح فقط لا يصنع لشيء ، لأنه بطبيعته حيوان حيث جداً ، لم أرو في حياتي مطلقاً حيواناً خبيثاً مثله» .

«مجنون ! عنيماً لويد أنّ أبيعته فسوف أبيعته . أما أنت فلا تنص دعاغك فيما لا يبيك ، بل اذهب واحضر حداداً وليكن كل شيء جاهراً في غضون ساعتين ، والا خلعت شعر رأسك وصربتك حتى اطحى سحقتك . اصرخ ! أسرع !»

فانصرف سيليفان ، وتبادرت ثائرة تشبيتشيكوف فرمى على الارض حنجره الذي كان يحتفظ به دائماً كوسيلة لعرش احترامه على من قد يحتاجون الى ذلك . ثم صرف ربع الساعة التالية في مساومة اثنين من الحدادين - وكانا من ذلك النوع السافل من الرجال الذين اذا علموا ان امرأ ما مطلوب بسرعة راحوا يطلبون الأجر اصحافاً .

وفي الواقع لم يستطع تشيتشيكوف بثورته وهيبته
 وهو يمسحها انقاب اللصوصية والنهب والانهيار ان
 يؤثر فيهما ، اذ رفضا ان يخضعا هي لاسعار التسي
 طلباها - وهذا ما يتناقض تمام الاتفاق مع طبعهما
 وبسبب ذلك وحسب ، بل صرفا منذ اى بدأ بالعمل حتى
 انتهاء منه لا ساعتين فقط بل خمس ساعات ونصف
 ساعة . وسعدت الفرصة لتشيتشيكوف أثناء ذلك ان
 يستمتع بثلك المتعة السارة التي يعرفها جميع
 المسافرين ، الا وهي الجلوس في غرفة خالصة حارة
 الا من نثار التيوبول ونفايات الاوراق وما اشبه ذلك ،
 حين يكون الشخص لا هو بالمشافر ولا بالمقيم ، ويرى
 هي النافذة الحارين المتعرجين المحدثين عن امورهم
 الرحيصة ، والراخين ايضا رهم بفضل احق لينظرو
 له ، ثم يمشون في حال سبيلهم ، مما يعكر اكثر
 الحالة النفسية للمسافر المسكين الضجر . وكل ما يحيط
 به ، وما يراه سواء اكان العائوت المقابل له ، او راس
 عجز تسكن البيب المقابل ، وتقترب من نافذة ذات
 ستائر قصيرة ، كل ذلك مقرف له . ومع ذلك فهو
 لا يترك النافذة . ويقف سارعا تارة ، او موجه اهتماما
 مثلوما الى كل شيء يتحرك امامه او لا يتحرك ويقتل من
 الازعاج ذبابة تطن في ذلك الوقت وتضرب الزجاج تحت
 إصبعه . لكن لكل شيء نهاية . وجاء اللحظة المستطرة
 أخيرا ، حين وضعت الامتعة في العربدة ووضع الطار
 جديد للمحلل التالف وانتقلت الخيول بالفعال العديدة
 وانصرف العدادان المدرسان بشيئتهما ، ووضع في

العربة وغيليان ساخنان اشترى لثوبها ، وحشر
 سيليان شيئا لنفسه في مقعد الحودي ، وصعد بطلنا
 الى العربدة أخيرا ، بينما كان المادل الذي خرج لتوديعه
 يعطفه انعطى القصير بلوحا بلبعته ، وحدم الضيق
 ومختبف الدم والعدوية لاسياد آرين قد تجمعوا
 له وا كيف يفادر سيد غير سيدهم ، وفي مختلف
 الظروف الاخرى التي تصاحب استعداد ، والعربة
 الفضيلة عادة من قبل الزايب والتي تنوقف طويلا في
 البلدة ، والتي لا بد ان القاري قد ضجر منها الآن .
 وفكر تشيتشيكوف «الحمد لله» واطلقت العربدة تخرج
 عبر بوابة الفندق وتهتز فوق البلاط الحجري . فكسر
 تشيتشيكوف بذلك ورسم علامة الصليب . قسرع
 سيليان بالسوط . جلس بيتروشكا الى جانبه من
 جهة اليمين وقد تعلق لبعض الوقت على موطن العربدة ،
 وجلس بطلنا في وضع اروح عن سجاد حورحيسة .
 ووصع وراء ظهره معدة جلدية ، وحشر الرغيفيين
 اسناتين . الا ان شعورا غريبا لم يستطع تجديده
 استولى عليه وملا عليه صدره عندما راح ينظر
 الى البيوت واشوارع والساتين التي قد لا يراها فيها
 بعد مرة أخرى . وما إن دلت العربدة عند أحد
 المنعطيات حتى وجد انه مضطر الى الوقوف فجأة لأن
 موكبا كبيرا جدا لجنائز لا نهاية لها كان يسد
 الشوارع . انتهى تشيتشيكوف الى الامام وهو في العربدة
 ومال بيتروشكا عمن يدل عليه موكب الجنائز .
 فاجابه بانه يدل على انه المعنى العام . فاحسن

بصدمة مؤلمة وسارح برفع خيمة العربية واسدال الستائر على نوافذها وانزوى في ركن من مؤخرتها أما سيليغان وبتروشكا فقد خلعا قبعتيهما عندهما وقفت العربية وحلسا يشاهدان المشيعين أثناء سيرهم بعد ان تلقيا تعليمات حازمة بان لا يطرحا التحية على أى خادم يعرفانه . ومضى هو أيضاً يراقب بتنهيب من خلال زجاجة الحاجز الجدي على جانب العربية . كان يسير خلف النش جميع الموظفين حاسرى الرؤوس . ومع ان تشبتيشكوف أوجس خيفة - لفترة من الزمن - من ان يظن اليه بعضهم وهو في العربية ، ولكن لم يثبث أحد اليه ، لأن بالهم كان مشغولاً بشيء آخر . وفي واقع الامر ، حتى الاحاديث البسيطة التي تدور عادة بين المشيعين في مواكب كهذه لم تكن تدور بينهم . فقد كان يفكر كل واحد منهم منصرفاً الى مشكلته الخاصة فقط ، الى حير وصول الحاكم العام الجديد والطريقة التي سينتجها في ادارته ومدى ما سيلحقه من الازى منها . وتبع هؤلاء المشيعين عدد من العربات كانت تطل من نوافذها وجوه سيدات يرتدين ثياب الحداد . غير ان حركات ايديهن وشغافهن كانت تدل على انهن مستغرقات في احاديث حيوية - قد تكون حول الحاكم العام الجديد والحفلات الراقصة التي ينتظر ان يقيمها وزينتهن والاعيين العاصمة التي لا تنتهي وفي أحسر الموكب مر عدد من العربات الغازرة . وحالما مرت تمكن بطلنا من الاستمرار في طريقه ، فرمى خيمته العربية الى الخلف وراح يناجي نفسه «ايه ايها الصديق

الطيب ، لقد عشت حياتك ، لكنها انتهت الآن ! مستقر الصحف انك مت مأسوفاً عليك لا من اهلك وعشيرتك وحسب ، بل من البشرية جمعاء . وانك كنت انساناً محترماً وأباً رؤوفاً وزوجاً طاهراً لا تشوبه شائبة ، وانك ذهبت الى قبرك بين دموع ارميتك واطفالك ومعارك . لكن هذه الصحف تو اضطرت لسبب من الاسباب ان تعمل قونها هذا لوجئت ان السبب الحقيقي في حاجيك الفليطين الذين بلغا من الضمامة ما عهد للناس به من قل . ثم امر سيليغان ان يفتح الخطى وقال «ومع ذلك فلا ياس من مقابلي لهذا الموكب لانهم يقولون ان مقابلة الجنائز مال حسن» .

واسطعت العربية الى بعض الشوارع الضيقة غير المطروقة التي تكون محاطة بأسيجة حشبية والتي تدل عادة على قرب الانتهاء من صواحي المدن . وانتهى البلاط الحجري وتلته حصاة الطريق الصام وأخذت تظهر على جميات الطريق صفوف الاحجار الدالة على علامات الفرستات والعمال الذين يعملون ويرمون ، والقرى ذات اللون الرمادي وفنادق فيها سماعات ، وملاحات وفلاحون يهرعون من الحظائر والشبوان ملء أكعامهم ، ومشاة بأحذية متهرقة يلوح على المسير منهم أنه قطع ثمانمائة فرسنا ، ومدن صغيرة بأحصاص وضعت فيها براميل ملأى بالطحين المعد للبيع وعرضت فيها أحذية وأرغفة صغيرة وتوافه أخرى . وحواجز الطريق ، وجسور شبتت من كثرة الترميم ، وأفاق شاسعة من الحقول ممتدة الى اليمين والى

الشمال . وفارس واكب يحمل صندوقاً أحضر مقلداً
بالحديد كتب عليه «بطاوية» إل . . . المدفعية» ،
وأخاديد طويلة حرثت حرثاً جديداً كان ينعكس لونها
أخضر وأحمر وأسود على وجه الحقول . وختلطت بها
كله أصوات غناء ذات نفس طويلة وذرى شجر الصنوبر
سماوية في الضباب ، وفلمت الأجراس البعيدة المدى
وسحائب لا نهاية لها من الغريان السمسم والافسق الذي
لا حد له . آيه ، روسيا ، روسيا ، من منزلي الجميل
في بلد غريب لا أزال أراك ! فيك كل شيء مسكين
مشوش لا يليق . ليس فيك ما يبهج العين ولا ما
يغنى النفس من روائع الطبيعة . فيك لا يرى المرء
المدن ذات العمارات الضخمة المتعددة النوافذ الشامخة
شموع الصنوبر ، ولا الشوارع الباهية ، ولا الأطلال
التي تكسرها الأعشاب . ولا الضلالات تعيط بها
الأغصان الدالة الاخضرار ويصدر منها الهدير الذي لا
ينقطع ، ولا الأجرة الهادية تلبيل المقول بشخامة
صخورها ، ولا منظر الكروم والحليق وهلايين الورد
الرية وتلالاً زرقاء لا يحصى لأيامها عند تكاد تبدو أمام
البناء العلية الصافية وكأنها نوع من الخيال . فيك
كل شيء مبسط مكتشف . مدتك بارزة فوق السهل
الأمس المنبسط وكأنها النقط أو العلامات ، ولا شيء
كائناً ما كان مما يخلب البصر أو يسحره . لكن أى سر
وأى قوة فاهرة تشدني اليك ؟ أى شيء ذلك
الذي يرد ويعد هي أذى الأغنية العزينة التي تملق
على طول حدودك وعرضها ؟ وأى عبء تحصل تلمسك

الأغنية التي ؟ لماذا تمول في قلبي وتشتب وتحنّ فيه ؟
وما أذى تقوله هذه النفثات التي تعانق روعي وتضفيها
بالم وتحوّم حول نافثة ولولتها ؟ ما الذي تطببببببب
منى يا روسيا ؟ ما هو الرباط الخفي الذي يصل
ما بيني وبينك ؟ ولماذا تنظرين إليّ هذه النظرات ؟
ولماذا يصوب لي كل شيء فيك عينين هائلتين الشوق
والحنين ؟ حتى في هذه اللحظة التي أقف فيها وأفكر
ذاهلاً مستغرقاً متحيراً في مساحاتك الشاسعة وآفاقك
الواسعة يلوح لي أن دمية مثيرة محبلة بالامطّار
المتجمعة تلثم فوق رأسي . ما ذلك الذي يتبّأ بسبه
اتساعك الذي لا حد له ؟ ألا يقتبّأ بأن مستنهض فيك
ذات يوم أفكار مثلك لا حد لها ؟ ألا يقتبّأ أيضاً بأن
سينبث منك ذات يوم الأبطال القدامى إذا ما وجدوا
امجال لإبراز مواهبهم مرة أخرى ؟ وكيف يطوينني
جبروت عظمتك وينعكس في كيانني بسحر عجيب غريب ،
ويومض في عينيّ وميضاً يتعدى ما تعهده الطبيعة من
وميض ؟ نعم ، أباك تسعين في الحقيقة عن مرأى غريب
براق سماويّ أ يا روسيا . يا وطني العجيب !
وساح تيتشيكوف في ميليفان يقول «قف ، قف
أيها المجنون !»

وقد مرّت أثناء قوله هذا عربة ترويكاً - في مهمة
حكومية - تفرّغ على أحد جانبي الطريق ثم أختلت مني
عاصفة من غبار . أما الشتائم التي تلقّاها ميليفان من
تيتشيكوف لأنه لم يتجنب الطريق بقفّة ، فلم تكن
وحدها التي انصبت عليه ، فقد قدّم له حصّة مائدة

من الشتاءم شرطي" ريفي" بشاويين كالذراع طولاً كان
في العربة الأخرى .

أي شيء غريب حدث أب بل أي شيء خيالي خلاب
ذلك الذي تدل عليه كلمة «الطريق العام» ! وكم هي
لذيذة لذاتها هذه الطريق العامة ! ماذا كان اليوم يوماً
جميلاً (وإن كان بارداً) في خريف هذب ، فاضم أبك
عباءة سفرك وامسحب قلنسوتك هل أذنك واستكن
يراحة في إحدى زوايا العربة قبل أن تسري آخر رعشة
في أوصالك ، وسيطرد الدمع الباشي الجديد يرد
التخريف ورطوبته . وكم هو جميل ذلك النعاس الذي
ياتيك متخصماً ويسبل جفنيك والخيول سائرة في
طريقها خبيباً ! وتستظل أثناء نعاسك برجة من الزمن
تسمع أنفاس الخيول المتتابعة وقرقرة المجلات ،
ولكنك ستستغرق أخيراً في دور الشخير . وإذا ما
استيقظت - فماذا ستري ؟ ستجد أنك قد قطعت خمس
مراحل وأن القمر مشرق في السماء وأنك قد وصلت إلى
بند غريب مليء بالكندس والقباب الخشبية والأبراج
المسودة والبيوت البيضاء تصف الخشبية ! وإذا ما
وقعت أشعة القمر هنا وهناك فتكاد ترى الجنود
والشوارع والأوصاف وقد اكتسبت بالحلل - حلل مقلعة
بالظلال الفاحمة السوداء ، تبدو الأسطحة الخشبية
بالنسبة لها أكثر يريقاً تحت أشعة القمر الشمسية
المصبية عليها . ولن ترى انساناً في ناحية ، فالكل
غارق في النوم . لكن ، لا ، ففي إحدى التوافد المنعزلة
يتلألأ نور تحته يصلح أحد الحرفيين الطيبين حذاء

أو يسحب الثياب قطعة من عجين . أيها الليل ، وإشها
الليلة السماوية ، كم هو كامل ظلام قبئك أنتي لا حد
لها - كم هي شامخة وكم هي سحيقة أغوارها الممتدة
في سكون لا يبركه من الأحاسيس إلا السمع . وما
يرال اللين ينغث اعاسه المهدده المبعشة في وجهك
حتى تستغرق ثانية في غفوة شائخة . ويلتصم البك
جارك المسكين متضجاً وقد بدأ يشعر بثقلك عليه ،
ومن ثم تصحو مرة أخرى ، ولكنك لا ترى أمامك الآن
غير المعابر والحقول . حيثما وقع بصرك بعد الخلاء
لقمر . ولكن الحروف الدالة على علامات انغمسات
تقرر قهراً أمام عينيك ! الصباح في انبلاج والرعشة
في عودة ، وقد استطعت أن ترى حظ الاقوال الذابل
يشع بالتمريخ خيطاً ذهبياً باهتاً . والريح تزداد حدة
وانتماشاً ، وأنت تلتفت بمباهك التذلل . لكن كم هو
عظيم هذا الانتعاش وكما هو مدهش هذا النوم الذي
يطويك مرة أخرى ! ما هي مزة ! وتعود إلى وعيك
آخر الامر . النعاس الآن في كبه السبات . ومن ثم تسمع
صيحة عائلة «رويداً ، رويداً» وتلتفت فتري عربية
تسبح زراعية تطل من طريق جانبي . ومن تحتك ترى
صفحة ممتدة من الماء يحجزها سد منيع ووجه الصفحة
يتلألأ تحت أشعة الشمس كأنه لوح من نحاس وعلى
ناحية من المنحدر تنتشر اكواخ الملاحين ثم ييسر
السيد . وفي حد الأثير كنيسة القرية وصلبها الذي
يشع كالنجم . وتعمل الريح إلى أذيك أصوات ضحكات
الملاحين بينما تشمر في قرارة نفسك بشهية ليس إلى

مقاومتها من سبيل . ايتها الطريق العانة الطوبى ، ما اعطيك اكم مرة في كلالى وباسى انطلقت ماشياً عبرك فوجدت العز ، والسبوى ا وكم مرة اثبتت هديرىك فخلت عني الافكار العجيبة والاحلام الشاعرية والانطاعات الغريبة المدهشة ا كانت تسالنج تشيتشيكوف في هذه اللحظة رؤى ليست طبيعية عادية كلها دعنا نعدى في نفسه ونشاطه اياها ظل بادى ذى بد لا يمي شيئاً مطلقاً لأنه متشعول البال جداً يريد ان يستيقن ان أنه له تخلص من المدينة حقاً . ولكنه حالما رآى أنها اختفت امام نظريه كلياً بطلانها ومصامها ومنشأتها الاخرى ، وليس ذلك وحسب ، بل حتى غاصت ابراج الكنائس الحجرية تحت الافق . متدند بدا يمي الطريق واحتفت من مخبئه مدينة «ن» تمام الاختفاء كأنها شيء لم يعده منى الصبى . ثم اصبحت الطريق يدورها شيئاً لا يهمه ايضاً . وراح يغمض عينيه ويرمي برأسه على الوسائد . ويغتم المؤلف هذه الفرصة ويتكلم بأسهاب عن بطله ، فقد منحه (أى المؤلف) اشياء كثيرة من ان يفصل ذلك - نوردريف والعضلات والسيدات والزهورات السعيدة وآلاف التوائه التى تظهر ترواحه فقط اذا ما وضعت في كتاب ، ولكنها في الحياة الواقعية امور لها اهميتها . دعنا نطرح هذه الاشياء جانباً ونشرع في العمل .

اما فيما اذا كانت الشخصية التى احترتها سطلسى مترضى القارى ، بهذا بالطبع شيء مشكوك فيه كل

الشك . على اية حال ، فالسيدات لى يرضين عنه ، لان الجنس البطيف يتطلب من البطل الكمال . والعياذ بالله ، اذا حصلت لطخة نفسية او جسدية نعم ، فلى بيم العمق الذى يسير به المؤلف غور نفسية البطل ، ولن يهم ذلك الوضوح الذى يصور به صبرته كما لو كانت تنعكس على مرآة ، فلى يعترف له بفصل فيما فعل . والواقع ان بداية تشيتشيكوف وتقدمه في السن بصلان صدمه . واصفة الاولى في البطل جريمة لا تغفر ، ومعظم السيدات في حالة كهذه ميشحن بوجههن عنه فانلات لأنفسهن «اوفى ، اى» وحش هذا ا» نعم ، والمؤلف على علم بذلك . الا انه وان لم يستطع - ابقاء على حياته - ان يتخذ اساناً فاضلاً ليقوم بالدور الرئيسى في القصة ، فقد تكون في القصة قضاياء لم تطرق بعد ، وقد يبرز فيها كل الفسى الروحي الروسي الذى لا يحده حد . فهي تصور الى جانب تشيتشيكوف الفلاح بالفاضل التى حياه بها الله ، والعانة الروسية الرائعة التى لا تقصاهيها في العالم مناة اخرى في جمال الروح الانثوية ذلك الجمال الذى تمتد جذوره الى الطموح النبيل والكرامة الاصيلية . ولو قائلنا في الواقع هذه المناهج الروسية بشيلائها في الشعوب الاخرى ، لهدت هذه جامدة عديمة الحياة كما يبدو كتاب جامد لا حياة فيه اذا ما قوبل بنص كتاب ينض بالحياة والروح . نعم ، فمن حركة فكرية تظهر في روميب ، يتضح جلياً ان هذه الحركة هي من صميم الطبيعة السلافية ، بينما هي الزيد

ان يكون . كان يجب ان يشبه احد ابريه ، ولكنه كما
يقول المثل - لا لأمه ولا لأبيه بل رمته الريح مسي
فاعة الطريق» . هكذا نظرت الحياة لتشيبتشيكوف
بمتاعش مرير . فكان كالنمذة التي تبجح فيها الصبيح
فأصبحت تحجب النور : لا صديق له ، ولا زميل في
المدرسة . غرفة صغيرة ذات خرائن حقيرة لم تفتح
صيفاً ولا شتاءً ، أب عليل عليه دثار بطافته من جلد
الحروف ، وقمعه حافية تدها الأرباطات ، ما يتعكك
يرقر رفرات حارة عتيقة ويدرع العرفة جيتة وذهوراً
ويصق في عللة رمل ، وهو نفسه يقضي الفترات
الرسمية بالجلوس على مقعد خشبي ، الريشة في اليد
والحبر يصبغ اليدين والشفتين ، وكان يسمح في فترات
أخرى عبارة مأخوذة من كتاب تقول «لا تكذب أبداً ، بل
أطع رؤسائك وارح لفصية في قلبك» . وأصوات
جر نعال لا تنتهي رائحة غادية في الغرفة ، وإذا عسا
أصنعت الصبي وأجباته القائمة فحاول أن يحيى دفتره
بصوره من بات أفكاره سمع دائماً صوتاً مبهجلاً يصيح
به قائلاً «ها أنت تصابي مرة أخرى لا وهناك وقت
عسير يحيى» فيه احساساً مالوفاً أبداً ، لكنه مزعج
أبداً . يتبع الكلمات السابقة حينما تفرك اذنا الصبي
فركاً مؤلماً بين أصبعين طويلتين ملتويتين عند الطرف -
هذه هي الصورة البليسة لطغولة لم يعد تشيبتشيكوف
يذكر منها غير أحيايف باهتة . لكن كل حال تحول ، وكل
شيء في هذا العالم قابل للتغيير والتعديل العجائين .
فهي ذات يوم من اطلالة الربيع عندما ذاب جليد الانهار ،

الذي يطفو على السطح في الأمم الأخرى . لكن لماذا
أتكلم هكذا ؟ وما الذي أرمي اليه من وراء هذا
الحديث ؟ انه لمن العار حقاً على مؤلف بلع مرحلة
الرجاء من أمد بعيد ورأي نفسه على دراسة نفسه
وتحصيلها تربية عتيقة ، وثقت نفسه ثقيفاً محترماً
ان يعطي المجال لهذه التحليلات النافذة حول نقطة
كهنه . فبشكل شيء دوره ومكانه وزمانه وكما كنت
أقول ، فلم يكن بوسعي ان أحتار شخصية فاضلة
ليطوي . وسأحرمكم عن السبب السبب هو ان ند من
وقت طويل بدأ على استعمال كلمة «فقير ، لكنه ذو
فصية» . السبب هو ان كلمة «الرجل المحترم» أصبحت
كلمة مبتذلة . السبب هو ان «الرجل المحترم» قد
انصب الى حصار وليس من كاتب الا ويركبه ويبلده
بمناسبة وبغير مناسبة . السبب هو ان «الرجل المحترم»
قد أصبح حتى لم يبق لديه ذبالة من فصية ولم يبق
في جسمه الا الجلد والعظم . السبب هو ان «الرجل
المحترم» يتغنى دائماً عن الانظار . السبب هو ان
«الرجل المحترم» قد فقد احترام كل انسان . لهذه
الاسباب أعود فأؤكد ان الوقت قد حان لتخمد سادلاً
الى النير . تمالوا اذن نفد هذا السائل الى النير .
كانت ابتدئات بطلنا معتدلة كل الاعتدال ، غامضة
كل العموص . كان والده في الحقيقة من الاعيان ولكن
الابن لم يشبههما بحال من الاحوال . على أية حال فقد
حضرت ميلاده امرأة قريبة له ، قصيرة بديهة ، وقالت
وهي ترفعه بين يديها متعجبة «انه غير ما كنت أتوقع

اسطق الاب وابيه الصغير في قليلين^١ كما^٢ يجرها جواد اشقر من النوع الذي يسميه اصحاب الجيول «سوروكا» (أي عققز) ، ويسوقها احب قليل اللحم هو رب الصيلة الوحيدة من الاثمان التي يمتلكها تشيتشيكون الاكر ويقوم في بيت تشيتشيكون بكن الاعمال . وسار بهم سوروكا يوماً ونصف يوم كاملين ، قصوا اللين بينهما في نزل على جانب الطريق ، وقطعوا بهاراً واكلوا فطائر باردة وسم خروف مشرى ووصوا أخيراً الى المدينة . وظهرت الشوارع في عيني القسي مظهر يراق غير مالوف . ففسرناه ذاهلاً . واسطقت العربة في رفاق موحد اسدعى النول فيه جهد سوروكا الجهد وبسنت السائق والسيد ، ووصلت أخيراً الى رتاج حظيرة فيها بستان صغير للمواكبه فيه بعض الشجيرات ، وشجرتان مبرعتان من التفاح ، وصقيفة صغيرة قشرة صغيرة هي كل المشآت التابعة للبيت لدى جار عليه القدر . هنا عاشت احدي اقارب تشيتشيكون ، عجوز مسنة ذاوية كانت تنزل الى السوق بنفسها وتجهف جرارها على السمار . وما إن رأت الصبي حتى ربتت على خديه وابدت الرضى عن صحنه . واتضعت به الحقيقة الآن ، وهي انه سميح عسما فترة من الزمن يلعب فيها الى المدرسة . وعزم الوالد بعد ان استراح ليلة ان يعود الى بيته . ولم تتحلل الدموع الفراق بين الاب والابن . انما اعطى الاب

١ هبة مكشوفة بأربع عجلات . المترجم .

الصبي قطعة نحاسية او قطعتين ، ثم القى عليه (وهذا هو الأهم) النصائح التالية : «اسمع لي يا بني . اجتهد في دروسك ولا تكسل ولا تشعب . ولكن هتاك قيل كل شي استرضاء مملتك . وما دام هذا النهج نهجك فاللحاج حليتك ، وسين^١ لقرانك حتى لو حرمك الله من بعة العقل ولو أصابك الفسل في الدروس . ولا تندمج كثيراً مع الرفاق فاهم لا ينفعون . وادا كان لا بد من ذلك فلتكن صداقتك مع اكثرهم عسى فقد يعيدونك ذات يوم . ولا عليك ان تكرم او تقرأ منهم احداً ، بل دعمهم هم يكرمونك ويقرونك . وأخيراً ، وقيل كل شي ، احتفظ ووفر كل كروبك لديك . فاهم ما هي الحياة هو توفير النقود . ان الرفيق والصديق يشيان ظنك دائماً وحما أول من يجهضك ان حلت بك ضائقة ، ولكن الكريبك لن يتحل^٢ عنك مهما عظمت النازلة التي تلم بك . وسي هذه الدنيا لن يتحذر عليك عمل سي . ولن تعجز عن الوصول الى ما تبتغي بمساعدة البنود وعونها . وما إن القسي الاب هذه النصائح حتى صر^٣ ابه اليه وقتل عالماً . ومع ان الابن لم ير اياه بعد ذلك أبداً الا ان كليات الاب غرقت في اعمال نفسه واستقرت في ذواياها .

وفي اليوم التالي حضر بافلوشكا الصغير المدرسة لأول مرة . ولكن نفس الصبي لم تستكشف عن أية موهبة خاصة في أي فرع من فروع العلوم التي يتلقاها . بما كانت ميزته البارزة هي المثابرة والترتيب ، اما من نواحي الحياة الصلية فقد نما عنده

دكا، حارق . ففي أسرع من لمح البصر بهم كيف يجب أن تسيّر الأمور وحقق فنتها . وحصد ذلك الوقت أحد يسلك سلوكا خاصا بحر زملاته بحيث اذا ما قدموا اليه هدية - وشهد ما كانوا يفعلون - لم يكن يتمكن بعدم ردّ منلها اليهم بل كان في بعض الاحيان يسرع الهدايا في حيله ويبيعها لرفقة . ومع انه كان حبيبا كما هو - الا انه تمكن من أن يصبح عسافيا . ولم يصر كوبيكا واحدا من العلية الثانية التي أعطاه له والده ، بل راد في الواقع إلى ذخيرته في السلة نفسها بأن صنع عصفورا من الشمع ودمته وباعه بمرح غير قليل . وبالتالي ، ومع مرور الزمن ، شرع يشتغل في صفقات أخرى - هي بالذات بيع المأكولات . فكان يتخذ مجلسه قرب الاولاد الذين يحملون وبرة من النقود ، وإذا ما بدت على أحد هؤلاء الموريس اثارا الاعياء (وهذا يسمى انقراح شهيقه) دس له من تحت البعقد قطعة من الفطير أو كعكة رجبيل ثم تقاضى الثمن حسب شدة الشهية وجعم القصة . وقضى ايضا شهرين في تدريب نار احتفظ به في قفص حشبي صغير في غرفته . ولما وصل التدريب إلى نهايته أحر الامر كان الغار يقف على رجليه الحنفيين وبسطج ويهض ثائية امتالا لأوامر يديها عليه . ثم باع هذا المخلوق بكية محترمة من النقود . وهكذا بمرور الزمن بلغت مدراته حصة روبلات وبنا ، على ذلك صنع لنفسه كيس نقود ، وابتدا بملأ كيسا آخر مماثلا . لكن سلوكه تجاه اصحاب النقود

كان أكثر دقة وانتقا . فلم يكن باستطاعة امرئ أن يجلس في مقعده يلهو الذي كان يجلس به وبهذه المناسبة يجب أن نذكر أن معلمه كان رجلا يحب الهدوء وحسن السموك قبل كل شيء ، ولم يكن يطبق لأولاد الإذكياء الماهرين لأنه كان يظنهم يضحكون منه . وبناء على ذلك ، فكل من استرعى انتباه المعلم بدكانه في يوم من الايام كان يتمكن منه انتقاله من موطنه أو تحريك حاجبيه حتى تنور نائرة المعلم عبده فيطرده من الغرفة ويعاقبه عقابا لا رحمة فيه . وكان يقول ، ايه ، يا لك من ظريف ! عندي دوه لوقاحتك وعلمة احترامك لمعلمك ! اننى أعرفك أكثر مما تعرف أنت نفسك ، ولا كبحى جمالك واجعلت بجنو عسلى ركبتيك» . ومن ثم بصلطو الصبي المتعيس لسبب لا يعلمه أن يختر على لأرض راكما حتى تنهرا ركبته وأن يقيم على الجوع يوما كاملا . وكان المعلم يقول «ان المراهب والكلمات هراء في هراء . ولن احترام الا السموك الحسن . وسأعطي الطلاب الكاملة لأولئك الذين يستنون السلوك حتى لو لم تساعدهم مواهبهم على تعلم الاندية . أما أولئك الذين أرى فيهم الميل للبتاعة والزح فلن يكون نصيبهم الا ارسوب حتى ولو كانوا يفوقون هولاء علما» . ولهذا السبب نفسه كان المعلم يكره المؤنف كريلوف لأنه يقول في إحدى قصصه «عن لاجسى أن تترب الحر ولكن تصرف عملك» . وغاليا ما كان الأستاذ يقص على تلاميذه كيف كان في سائر الايام معلما في المدرسة وكان الصمت

يَحْتَمِلُ عَلَيْهَا حَتَّى يَسْمَعَ الرِّهَاطَيْنِ الدَّابَّاهِ وَكَيْفَ كَانَتْ تَقْصِي السَّيْرَةَ دُونَ أَنْ يَبْعَثَ تَلْمِيزَهُ أَوْ يَسْجُلَ فِي عَرْمَةِ الدَّرَاسَةِ ، وَكَيْفَ كَانَتْ الصَّبْرَ كَامِلًا وَلَا يَحْسُ اسْتِثْنَاءَ بِوُجُودِ اسْتِثْنَاءٍ . وَلَمَّا لَمَسَ الْبَصَرَ أَدْرَكَ تَشْيِيشِيكُوفَ عَقْلِيَّةً لِرَبِّتِي ، وَعَدَلَ مِنْ سُلُوكِهِ بِحَيْثُ يَرْضَاهُ . وَلَمْ يَكُنْ يَتَحَرَّكُ لَهُ حَاجِبٌ أَوْ يَصْرِفُ لَهُ رَمْشٌ خِلَالِ سَاعَاتِ الدَّرَاسَةِ مِمَّا تَلَقَّى مِنْ حَقِيقَةِ مَنَاقِبَاتٍ . وَإِذَا مَا قَرَعَ الْجَرَسَ وَكُفَّ سَابِقًا زَمَلَاءَهُ لِيَقْدِمَ لِمُعِيشَةِ الْقَبِيَّةِ الْمُتَلَكِّئَةِ الرِّوَايَا الَّتِي اعْتَادَ أَنْ يُلَبِّسَهَا الْإِسْتَاذُ ، وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَتَرَكُ غُرْفَةَ الدَّرَاسَةِ لِيَقَابِلَ الْمُعَلِّمَ فِي الطَّرِيقِ أَتَاءَ عَوْدَتِهِ إِلَى الْبَيْتِ لَا أَتْلُ مِنْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى تَسْبِغَ لَهُ الْفُرْصَةُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَنْ يَرُدَّ لَهُ مَعْبُوتُهُ مَحْيِيًّا . وَهَذَا أَتْلُ هَذَا الْمَشْرُوعِ نَجَاحَهُ الْكُلِّيَّ . فَكَانَ طَوَالَ أَقَامَتِهِ فِي الْمَرْسِيَةِ ذَا حِظَّةٍ كَبِيرَةٍ وَلَمَّا تَرَكَهَا حَارَ عَلَى عِلَاقَاتِ كَامِلَةٍ فِي كُلِّ مَوْضُوعٍ ، وَسَهَادَةِ دَرَاسِيَّةٍ وَتَكْنِيًّا نَقَشَ عَلَيْهِ بِالْأَحْرَفِ الْمُدْبَهَةِ «جَانَرَةُ الْإِجْتِهَادِ الْمَثَالِيِّ وَالسُّلُوكِ الْمُمْتَدِّ» . كَانَتْ عِنْدَهُ قَدْ كَبُرَ فَاصْبَحَ فِي حَسَنِ الْمَظَرِ وَبَلَغَ السِّنَّ الَّتِي تَطْلُبُ الدَّقْنَ فِيهَا مُوسَى الْخَلَاقَةِ ، وَفِي سِيَرَتِكَ الْأَوَّلَةِ مَاتَ وَالِدُهُ ، مُخَلِّدًا لَهُ بَيْتًا ، وَأَرْبَعَةَ صَدَارَاتٍ مُتَهَرِّثَةٍ وَمُعْطَفِينَ وَكِيَّةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ النُّفُودِ .

يَتَصَحَّحُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْوَالِدَ كَانَ بِأَرَاغٍ فِي إِسْدَادِ النَّصَائِحِ عَنْ تَوْفِيرِ النُّفُودِ لَا فِي تَوْفِيرِ النُّفُودِ . فَيَسْمَعُ تَنْتَشِيشِيكُوفَ الْبَيْتَ الْعَدِيمَ وَمَا يَحِيطُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ بِأَلْفِ رُوَيْلٍ ، وَاتَّقِلْ بِقَتْلِهِ وَقَدْ عَالَمَهُ إِلَى الْعَاصِمَةِ

حَيْثُ شَرَعَ يُؤَسِّسُ بَيْتًا جَدِيدًا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَحِقَّ بِحُدُودِ الْمَكُونَةِ . وَفِي الرُّقْعَةِ الَّتِي كَانَ فُسْطًا تَشْيِيشِيكُوفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، حَدَّثَ أَنَّ نَقْدَ نَظَرِ مَدْرَسَتِهِ (بِقَابِلِهِ أَوْ لِسْبِ أَحَدٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ) خَلَعَهُ فِي الْمَدْرَسَةِ وَالَّتِي اخْتَزَنَ فِيهَا الْكَثِيرَ مِنَ الصَّبْرِ وَحَسَنِ السُّلُوكِ ، وَجَرَّهَ حَزَنَهُ إِلَى الْخَيْرِ . وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ حَتَّى مَا يَفِي بِهَذَا الْفُرْصَةِ اعْتَزَلَ مَرِيضًا بِأَلَمٍ جَالِمٍ . فَمِنْ حَصْرِ سَحْطِهِ كَتَبَ . وَلَكِنْ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ السَّابِقِينَ - أُولَئِكَ الصَّبِيَّةِ الْأَذْكِيَاءِ الْبَاهِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَهَمُّهُمْ بِالْوَفَاقَةِ وَسِرِّ السُّلُوكِ - سَمِعُوا بِعَالَتِهِ الَّتِي يَرَى لَهَا عِجْمًا لَهُ مِنَ النُّفُودِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى أَنْهَى بِأَعْرَاضِهِ حَاجَاتِهِمُ الْعَصْرِيَّةَ ، الْإِشْيِيشِيكُوفَ عَادَ لَهَا حُلُوبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ أَدْعَى بِعِزِّهِ وَسَاوَمَهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ مِنْ خُبْزَةِ الْبِيَّتَانِكِ * وَذَلِكَ لَهُ زَمَلَاؤُهُ الْقَدَامَى فِي وَجْهِهِ صَانِعِينَ ، وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ بَيْتِهِ «إِذَا التَّرْبِيَّةُ الْمُسْكِنَةُ فَلَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ بِمَا عَمِلَهُ تَلَامِيذُهُ السَّابِقُونَ حَتَّى دَفَنَ وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَانْفَجَرَتْ الدَّمُوعُ مِنْ مَقَلَّتَيْهِ الدَّالِمِينَ كَمَا تَفْجَرُ فِي عَيْنِي الطُّفْلِ الْيَانِسِ . وَتَسْمَعُ بِصَوْتِهِ أَنْصَعِيفَ يَقُولُ «لَقَدْ بَعَثَكُمْ اللَّهُ إِلَيَّ كَمَا تَبْكُونِي عَلَى فَرَّاشِ مَوْتِي» . وَلَمَّا سَمِعَ بِأَبْنَاءِ تَشْيِيشِيكُوفَ قَتْلَهُ قَتْلًا عَمِيقًا وَقَالَ «إِلَهُ يَا بَافِلُوشْكَا ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَرَّكُ الْإِنْسَانُ إِذَا لَقِيَ كِتْمًا تَلْمِيزًا طَيِّبًا ذَاتَ يَوْمٍ ، وَمِنْ تَسْبِيبِ لِي الْمَتَاعِبِ ، وَلَكِنْ الْآنَ أَصْبَحْتُ مُتَكَبِّرًا حَقًّا » لَكِنَّا يَجِبُ أَنْ لَا نَسْتَنْتِجَ

* قِطْعَةٌ لَمِيزَةٍ لَمِيزَتُهَا خَمْسَةُ كُوبِيكَاتٍ ، أَظَاهِرُ .

من هذا ان شخصية بطلا أصبحت قاسية متجمدة
أو ان ضميره قد تجمد حتى نفى عنه كل ذرة من
الشفقة والصلف . وحقيقة الامر أنه كان يحسّ بهاتين
العاطفتين وكان يسره جداً ان يقدم العون والمساعدة
لعمله القديم لو لم يستدع ذلك المساس بخيرته
التي قرر ان تبقى سليمة لا يمسها احد . وبكلمات
أخرى نقول ، ان نصيحة الوالد التي قال فيها «احتفظ
ووفر» كل كوبيك» أصبحت قانوناً صارماً لا يحرق عند
الابن . الا ان الشاب لم يكن الدافع عنده لجمع النقود
هو حبّ النقود لذاتها ولم يكن مصاباً بغريزة البخل
وبسبب المال . انما كانت تحوم امام عينيه صور الحياة
وملذاتها وأطايها - صور عن المرات والبيت المؤثث
بفارس الاثاث والولائم الفخمة . وعلى امل الحصول على
هذه الاشياء يوماً من الايام راح يدخر كل كوبيك
ويصيّت على نفسه وعلى الآخرين ، واذا ما مرّ به غني
في عربة محملة بجواهر او اذن متماثلان مسرعان كان يقف
مفكراً تفكيراً عبقرياً ثم يقول لنفسه هل من يصحو من
النوم ، «لا بد» ان هذا الرجل كان موظفاً اخصائياً في
دوائر المالية ، فكان تسريحه بسيطاً جداً !! خلاصة
القول ، ان كل ما يقتضى بالثروة والفنى كان يؤثر فيه
تأثيراً لا يمحي . حتى حين ترك المدرسة ، لم يروح
عن نفسه بطلانة يستجم فيها ، اذ كانت رغشته شديدة
جداً في الحصول على عمل والدخول في سلك الحكومة .
الا انه مع كل ما احتوت عليه شهادته من مديح
وتقريظ لم يتمكن الا بعد غناء شديد من تمسيب اسمه

في وظيفة صغيرة يترتب قدره ثلاثون أو أربعون روبلا
في السنة . ومع كل ذلك ، وعلى يؤس الوظيفة التي
حصل عليها فقد حسّن ان يتخلّب على كل المقبات وأن
يصل الى الجاح بالانشاء الشديد الى عمله وقد أبدى
في الواقع من الصبر والمصمبة والاقتصاد ما يستحق
الاعجاب . فكان يجلس منذ الصباح الباكر حتى هرب
متأخر من الدبل متسبباً في عمله «الحقير» من نسخ
الوثائق الرسمية بحماس في اروح والحسد لا يعموه
الكلال . ويتماد على المكاتب في غريف الدائرة . وكان
يأكل ما تأتي له مع العارس صاحب الثوبة . لكنه كان
يساوك دائماً ان يظل نظيفاً مرتباً وان يحافظ على
بشاشة ملاعقه وقد جرتب ان يكسب حركاته سمات
الحمة والرشاقة . ويمكن ان تذكر مبرين ، ان زملاء
الموظفين كانوا على قدر غريب من البساطة ، دوى اشكال
لا تستحب . وكانت لبعضهم وجوه كالبحر الذي اسيء
خبره ، وحبود متورمة ، وذقون متقلصة ، وشعاع
مشققة متقرحة . ولم يكن في الحقيقة منهم انسان
جميل . هذا الى ان نعمة شرسة كانت دائماً في اصواتهم
كبا بر كانوا يفكرون في ضرب من معة يتكلمون وقد
انتفع من تصحياتهم المتكررة لياحوس ان الطبيعة
السلبية لا يزال فيها شيء من الوتنية الا ، مل كانوا
يدخلون غرفة المدير وهم لا يزالون تحت تأثير الحمر ،
وما ان رائحة انقاسهم لم تكن عطرة جداً مسرعان ما
يصبح جو الغرفة غير عطر ايضاً . وبطبيعة الحال ، بين
موظفين على هذه الشاكدة ، لم يشغل تشيتشيكوف في

استرغاء، الإتياء وإلفات النظر لانه كان على النقيض من
 زملائه في كل شيء. - في المرح ورقة الصوت وامثال
 المشروب اعمالا كلياً. غير أن السبيل لم يكن اتمامه
 سهلاً. اذ كان يرأسه لسوء حظه، رئيس كتبة كان
 معروفًا للثقل وقوة الاستمرار. فهو دائماً بعيد
 المال، على الوثيرة نفسها، لم يبتسم في حياته قط
 ولم يسأل مرة من الثرات عن صحة أحد معارفه ولم
 يعهده امرؤ أبداً يختلف في الشوارع أو في البيت عما هو
 عليه في مكتبه، أو مبدئاً أقل اهتمام بأي شيء، مهما
 كان ذلك الشيء، أو شاربياً أو منعمساً في نشرة الكأس
 أو مستسلماً لذلك المرح الغريب الذي يستسلم له
 حتى اللص ذا نمل. لا، لم تكن لديه ذرة واحدة من
 هذا، بل لم تكن لديه ذرة واحدة من أي شيء، حسناً
 كان أم سيئاً، شخصية سلبية تمام السلبية كان بها
 أثر غريب. وعلى هذا السؤال ذاته كانت تقاطيع وجهه
 الرخامية الفذيلة التي لم تكن تذكر رانها بشيء، كانت
 على قسط كبير جداً من التناقض الجامد، وكانت آثار
 الجدي السشرة في وجهه هي الشيء الوحيد الذي
 يضفي الى دوى الوحوش التي يقول فيها المثل المدرج
 «منى عديم الشيطان في الليل يطحن فولاً». وباختصار،
 كان يلوح وكان أي مرء لا يستطيع ان
 يقرب هذا الرجل أو يتال وضاه. غير أن تشبثشيكوف
 حاول جهده. فقد أخذ يأذي ذي به باستمالته في كل
 التواضع من الأمور. فكان ينظف ريشته بكل عناية وإذا
 ما تم ذلك وضعها حسب رغبتة عند كوعه. ثم يعض

القباز ورماد التبغ عن المكتب ويكنسه ويحصر مفرشاً
 جديداً لمحبرته، ويمتنع بقبضته - أحقر قيمة عرفها
 العالم - ويهيئها له في الوقت المحدد لانتهاء العمل،
 ويسمح ظهوره بالفرجون اذا ما تطلّح بغير الحائط، الا
 ان كل هذه الأمور مرت دون أن تسترعى انتباه
 الرئيس. وكان شيئاً لم يكن وأخيراً، حشر
 تشبثشيكوف انفه في عائلة رئيسه وهي حياتته
 البيتية، وعلم ان له بنتاً راشدة هي أيضاً بوجه مشى
 عليه الشيطان ذات ليلة يطحن بولا. هنا ظهرت فرصة
 لشئ مجرم جديد وبعد ان عرف أي كنيسة تزور
 يوم الاحد أخذ يقابلها فيها بملبس مرتب وقميص
 منشئ. وسرعان ما تكدل مشروعه بالنجاح والتوفيق.
 وتردد رئيس الكتبة الجاف بعض التردد، لكنه ما
 لبث ان انتهى بدعوته الى تناول المشاء، ولم يكن
 باستطاعة أي رجل من زملائه في المكتب ان يخبرك كيف
 توصل تشبثشيكوف في فترة وجيزة الى الانتقال الى بيت
 رئيس الكتبة وأن يصبح ضرورة لازمة في البيت لا غنى
 عنها. حاصيح يشتري الطمين والسكر ويكمل البيت
 معاملة العطية وينادي رئيس الكتبة «بابتك» * ويقبل
 أحياناً يد بابته. وقد ظل الموظفون في الواقع ان
 الزواج في نهاية شباط (أي قبل الصوم الكبير) بل
 وراح الأب العاق يوصي لمطلعات بشأن تشبثشيكوف
 حتى تمكن هذا من الحصول على وظيفة شغرت آذاك هي

* يا بنتاه، المترجم.

الروبل لا تكفي للناسخ ، فهو يتقاضى روبلا كاملاً
 «ماذا ؟ روبل لكل ناسخ ؟» - «طبعاً ، وهل بي ذلك ما
 يسعو الى التهمر ؟ سيتقاضى الناسخ نفسه ربع روبل
 فقط امنا الباقي فيذهب الى الرئيس» . وعلى ذلك
 يستحصل صاحب المعاملة المضلل غطاء لهذه الطريقة من
 احتلاس النقود ويلعن سموكهم الشائن الذي
 ويحسّر باللا «كان الانسان قبل اليوم يعرف ما يفعل .
 كان اذا اعطى اسدير ورقة مالية اصبح الامر في يده .
 امّا الآن فيضطر» بعد انتظار اسبوع الى اعطاء كسر
 ناسخ روبلا كاملاً لكي تسير اموره كما يشتهي . الى
 الشيطان بؤلاً . الموظفين المحترمين ! وكان الحق كل
 الحق مع الرجل في سجنه هذا ، فما دام قد انتهى دور
 المرتشين وما دام المديرون قد اصبحوا ذوى مكانة
 واحترام - كما يقولون - فلماذا يوعزون الى الكتبة
 والموظفين بأن يقوموا لهم باعمال المصوصية ؟ وسرور
 الزمن انبع امام تشبيشيكوف محال اوسع . فتشككت
 لجنة للاشراف على اقامة ميال للحكومة وقد رشح عسوا
 فيها ما تيسر انه من اضل الاعضاء . وشرعت اللجنة
 بالعمل دون تاخير . ولكن الميالي المذكورة لم تتم في
 غضون ست سنوات . وقد يكون السبب في ذلك ان
 الطقس قد اعاق عملية البناء ، او ان الرواد التسي
 استعملت كانت من النوع الذي لا يسمح لميالي كهذه بان
 تعمل عن الاساس ، وفي الوب نفسه شاهد اهل المدينة
 بيتاً جميلاً ذا مدسة غير حكومية يقام لكل عضو من
 اعضاء اللجنة . من الواضح ان التربة التي اقيمت عليها

اساسات هذه البيوت كانت اصلح من تلك التي اقيمت
 عليها بنائة الحكومة الممكودة . وبالمنظر ، فقد بدت
 مظاهر الرخا ، على كل اعضاء اللجنة واكملوا صف دينهم
 بالارواح . حتى ان تشبيشيكوف لاؤل مره في حياته .
 عبر القوانين العديدة التي فرضها على نفسه من كبت
 شديد وحرمان لا يرحم ، ولطف من حدة انتقاسف
 في الامساح عن اعطاب الحياة التي كان قادراً ايام
 شبابه على الامتناع عنها . نقول ، ان بعض العاجات
 الكسالية احدثت تظهرو في بيته ، فاستخدم طاهياً ماهرأ ،
 واخذ يلبس الفصان الكتانية . واشترى لنفسه بذية
 من نوع لا ينسبه احد في لمقاطعة ، ولبس الثياب ذات
 النقوش الربعة ما يون حرراً وبسبة راحية ، واشترى
 حصانين اصيلين (كان يقدوهما بلحام واحد) ، وتموّد
 ان يستحم بالمس المغلوط بباء الكونوليا وبغرف جسمه
 بأغفر انواع الصابون حتى يكسب جلده مسحة من
 الصفاء .

الا ان الاحوال لا تدوم . فقد ظهر على المسرح فجأة
 مدير جديد - رجل عسكري شديد التصب في عاداته
 لمرتشين ولكل ما يشبهه عن القانون . وفي اليوم التالي
 لوصوله طلب دفاتر الحسابات واكتشف مواضع النقص
 والكميات المفقودة . وكتب الى البيوت الجميلة السابقة
 اذكر والبنية بباء مديناً غير حكومي . ولتج عن ذلك
 مقلات عامة . فاحيل كثير من الموظفين على التقاعد ،
 واستردت الحكومة بيوتهم ، وحوّلتها الى ملاجئ مغلقة
 او الى مدارس لابناء لجنود . وهكذا حرّ الصرح القديم

الى الارض حاوياً - وخاصة تشيتشيكوف . مكان المدير
 يمتنع امتناعاً شديداً من وجه تشيتشيكوف بانذات .
 اما لماذا كان ذلك بهذا الشكل ؟ فص الصعب ان يجيب .
 لكنه امر يحدث غريباً في حالات مماثلة لا تعرف له
 سبباً . مهما يكن من امر ، فقد ابتغى المدير بقضاً
 قسلاً لكن المدير على ما هو عليه من عقلية عسكرية لم
 يكن على علم بالمدهاء الواقعي العقلية المدنية . بذلك
 لم يمض وقت طويل حتى تسكنت عصابه جديدة من
 الموظفين يظهر من الحصافة والكياسة ومقدرة على
 المداينة والرد ، ان تصد اليه وداعته . فوجد الجنرال
 نفسه في أيدي لصوص أربع من ساقيهم ، لصوص لا
 يتسرب اليهم الشك ، ظناً منه أنه اختار النخبة
 الصالحة ، وراح فوق ذلك يفتخر بأن به عيناً ناعية في
 ادراك البواب . وما لبث الموظفين المذكورون ان
 احدثوا يكيدون له البناء على نفسيته وشخصيته . ونتيجة
 لذلك توهم ان الدائرة التي يعمل فيها قد تحولت الى
 مؤسسة لاكتشاف كل ما يشهد عن القانون .
 ففي كل مكان وفي كل حالة كانت تطارد هذه
 المغالطات كما يطارد لصياد بحطائه الحوث السمين .
 وقد برهنت هذه الرياضه على نجاح تمام . فهي
 برهة وجيزة أصبح كل حبياسد من القوم المذكورين
 يمثل عدو آتال من الروبلات . عندئذ ارتد عدد كبير
 من المصابة السابقة الى الطريق السوي ، وسرع لهم
 بالعودة الى وظائفهم . ولكن تشيتشيكوف لم يستطع
 بوسيلة من الوسائل ان يتخذ الى الرجوع سبيلاً ، مع

ان السكرتير لاول للجنرال والحدير الحقيقي لشؤونه -
 مدعواً بمبالغ مجنونة من الاوراش المانية حاول هذه
 ان يدافع عن مصالح وطننا . ويظهر ان ايجرال كان من
 صف من الرجاان الذين وان كانوا يقادون من اوفهم
 سهوله (شريطة ان يجري ذلك دون علمهم) الا انه
 اذا تمسك بفكرة في رأسه فانها تثبت فيه كالسمسمار
 الذي لا يقصح . وكل ما استطاع فعله ذلك السكرتير
 الداهية هو ان يبرق الوثيقة الرسمية لتى تدل على
 سوء سيرة تشيتشيكوف عند الحكومة - حتى هذا لم
 يستطع فعله الا بعد ان قدم استرحاماً للجنرال
 باسم روجة تشيتشيكوف وأطفاله (الذين لم يكن لهم
 وجود في الواقع) .

وقال تشيتشيكوف لنفسه «حسناً ، لقد بذلت جهدي
 ولكني اخفقت في كل شيء، حتى الآن . ان لدي العتق لا
 يجدي تنبلاً . فالى العمل» . وصمم عندئذ ان يبدأ حياته
 من جديد وان يستلح بالفسح والعصامية مرة اخرى .
 ولكي يسهل عليه ذلك ، كان عليه طبعاً ان يعترس
 المدينة التي يسكن فيها . ومع هذا فقد اجفقت مساعيه
 فترة من الزمن . ووجد نفسه اكر من مرة مضطراً ان
 يغير وظيفة الى وظيفة اخرى لاس اشارة . وكانت هذه
 الوظائف كلها على احقر وانفس ما تكون . غير انه وهو
 الرجل المتساهل في الامانة ، لم يمنعه احتلاطه بزملا
 اقر ما يقال فيهم انهم لا يعرفون ما هي الامانة ، من ان
 يحافظ على حبه الفطري لكل ما هو محرم المظهر وعلى
 غريزته التي كانت تقوده الى تزيين مكتبه بالرخايف

الخشية المصقولة وإلى اخلال الترتيب والنظام في كل مكان . ولم يكن يسمح في وقت من الاوقات للكلمة باية ان تتسرب الى حديثه . وكان يشعر باستناده شديد اذا ما مرت في حديث الآخرين اشارة مهيبة الى ما يختص بالكبرياء والساصب . وسوى يصر العارى ايضاً اذا ما علم ان يطلبا كان يبدل ثيابه يوماً بعد يوم . وفي ايام الصيف عندما تشتد الحرارة كان يبدلها كل يوم . لأن اهل شك في رائحة كريهة كان يسي الى ثاقفه . ولهذا السبب نفسه كان - عندما ياتي اليه بتروشكا - يحشو منحريه بقطعتي قنفل . باختصار ، كان المساس بالوجهة والكبرياء يؤدي نفسه ويصر بها حتى كانت تمر عليه اوقات تنهار فيها اعصابه وكانها اعصاب فتاة . وهذا مما يزيد اعتماصه من العمل مع رجال لا معرفة بهم بالاحتشام في هذه الحياة . وعلى الرغم من تمسكه الشديد بهذه العادات الا ان اوقات الصانقة والشدائد غيرت من صحته فبدأ عليه شي من الترهكل . وكان قد احد يسم ويتعد تلك الاشكال المدورة المحترقة التي وجهه القارى فيها ، حين تعرف عليه . وحين كان يتطلع الى نفسه في المرآة كان يفكر غير مرة عن اشياء كثيرة لطيفة منها ما يتصل بانسباء . ومنها ما يتصل بالطعولة . وكانت الابتسامة تسبح هذه الأفكار . وكان اذا ما رأى نفسه في المرآة لم يتمالك ان يصيح «يا للعداء المقدسة اى وحش قبيح ارى ؟» ويروح فيما بعد يفكر مدة طويلة في هذه القضية بافعال شديد . لكنه تحمّل ذلك كله بالصبر

والجهد . وانتهى به الامر الى الاشتغال في دائرة الجمارك . ويمكن ان نقول ان هذه الدائرة كانت الهدف الذى يطمح اليه في سرته منذ امد طويل . لانه لاحظ الرشادة الاجنبية التي يتحل بها موظفوها ، ولاحظ انهم يرسلون بين الفترة والاخرى هدايا من الصبني والقماش النفيس الى اسواتهم وعماتهم . . . بل الى صديقاتهم عموماً . فسم . وكان يناجي نفسه ويتنهّد قائلا «هذه هي الدائرة التي يجب ان اكون فيها . عديّة على الحدود . وزملا ، ذوو ذوق . عندئذ ساصبح قادراً على اقتناء القمصان الكتانية المستارة . ويمكن ان نقول ان افكاره كثيراً ما كانت تنحى الى نوع من الصابون الفرنسى يكسب الجلد ابيضاصاً والحدود نصارة وبهاء . واسم هذا الصابون لايملمه الا الله ، لكنه على الاقل يمكن الحصول عليه عند الحدود فقط . وكما اقول . فقد كان تشينشيكوف يصير دائماً الى الجمارك ، ولكن اعاقته عن تقديم الطلب اليها - برهة من الزمن - اللجنة البنائية وما فيها من حيرات متنوعة مداراة . وكان على حق في ان يرى في الاحيرة طيراً في اليد . والاولى طيراً على الشجرة . ولكنه حسم الآن - مهما كانت الظروف - ان يتخذ الى الجمارك سبيلاً . وقد اتخذ هذا السبيل وقد بدأ العمل الجديد بحماس شديد مصدره انه كان يعتقد ان الطبيعة قد خلقت خلقاً خاصاً ليكون موظفاً في الجمارك . وفي الحقيقة كان ما ابداه من النشاط والبصيرة الثاقبة وحضور الدهن شيئاً لم يعهد ولم يعلم به من قبل . ففي اربعة اسابيع على اكثر

تقدير أحاط الإحاطة الشامة بشؤون الحمارك وأصبح على علم بكل صغير وكبيرة فيها ، فلم يكن يتقن الكيل واميران وحسب بل كان يستطيع ان يقدّر عدد الاندع في لفة القماش ، او اذا كانت مادة اخرى فانه يأخذ منها رزمة في يده ويعرف عدد ذلك عدد لارطان التي كان سيستعملها الميران . أمّا عبد الفتيش ، اجل ، فقد اعترف زملاؤه بان له حاسة الكلب النجوم ولا يستطيع المرء الا ان يعجب بالصبر والافاة اللتين كان يتمتع بهما الى مفتش كل رز وعروة في الشخص الضمين . وهو اثناء ذلك كله محتفظ بأدب صامت وبرودة في الدم تفوق مدى التصوّر . وفي الوقت الذي يكون فيه المهيرون يفرغون غيظا والزبد يصلو أشداقهم وينمتون لو بدّلوا ضحكة سحنته بصلصة قوية رنانة ، تجده هادئا لا تحرك عضلة في وجهه ولا ينقص لطف ذرة واحدة ، ويتمتم قائلا «هل تسمع لي بأن تكلف نفسك عنا الوقوف ؟» او «الرحاء ان تتفلسي بالدخول الى الغرفة (التالية يا سيدي ، حيث ستعطي بك روجة أحد الموظفين ، ار «أرجوك ان تسمح لي بأن أجرب هذا السكين في بطانة معطفك» (ومن ثم يروح ينتزع البطانة قطعة قطعة بفتور وبرود كالبرود الذي يخرج به امتعته من حقيبته الخاصة) . حتى ان رؤساه اعترفوا بأنه شيطان في عمله اكثر منه انسانا . فكانت غريزته مدعشة جدا في التفتيش في محلات العربات وصواريخها وفي آدان العيول وفي محلات يجب على المؤلف ان لا يفكر بها حتى في خياله - محلات لا يسمح الا لرجال

الجريك بالتدخل فيها . وتكون النتيجة ان يصبح المسافر التميم الذي قطع الحدود ضائعا في بحر من الحيرة ، يصطب عرقا ويعود جسده الفورة ثلثي الأخرى . ويقع يرسم علامة الصليب «هه ، هه ، هه ، هه ، هه ، هه» وينصر هذا المسافر في الواقع ان مثله مثل التميم الذي دعاه الناطر لينقي عليه بعض التلميحات فكان يصيه بدلا من ذلك ان ضربه ضربا مبرحا . وخلاصة القول ، ان تشيتشيكوف قطع رزق المهيرون فترة من الزمن . وقد أوقع اليهود البولويين بالذات في حالة من اليأس والقسوط . وكانت استقامته وتواضعه من المصاعب حتى لا تكاد تبدو طبيعية . فكان يتلعف عن الماء البسيط الذي يمكن الحصول عليه من البضائع المصادرة التي كانت لا تسلم للحكومة عادة توفيراً للمنا ، الكتابي . ولا حاجة بنا الى القول ايضا ، ان عملا كهذا بحساس طاع لا مصلحة من ورائه قد استمرعى انشاء الموظفين وتبعاً بذلك انتباه السلطات . وعلى هذا فقد وصلت قرينة ما لبث بعدها ان وضع مشروعا حقيقيا لاكتشاف المهرتين شريطة ان تحول له السلطة اللازمة لتنفيذه . وحولت له هذه السلطة حالا ، كما أعطيت له صلاحية لاحد لها في اجراء أي نوع من البحث والتفتيش ، كان هذا هو كل ما يريد . وحدث ان قامت قبل ذلك شركة لتفتريب على خط مرتبة منظمة ، وكان هذا المشروع يمشى بالمالين . ومع ان تشيتشيكوف كان على علم بها من قبل الا أنه قال لرسول الشركة الذي جاء لشرائه اول الامر «لم يمس الوقت بعد» . لكنه الآن - وقد

يعلم الا الله ما هو الرقم الذي كان سيصل اليه ربيهما
 لو لم يقطع عليهما قرتيها فهما طاردي سي . تقول ، ان
 الشيطان لسبب ما اضاع احساس الموظفين المتأمرين
 واما يتناظران بالحديث وانتهى الامر بينهما الى خصام .
 ذاب مرة اثنا جدال عنيف قال تشيتشيكوف لزميله -
 وود يكون نشوان ساعته - « يا ابن الكاهن » . ومع ان
 هذا الوصف هو الحقيقة الاكيدة بالنسبة للزميل ، الا
 انه استا منه وود على تشيتشيكوف بصوت حاد عال
 يقول « انت الكاهن ايسوك » ، واضاف نكاية في
 تشيتشيكوف يقول « نعم ، هذه هي حقيقتك ، وليكن هذا
 سلوماً لديك » . ومع انه قلب لتشيتشيكوف ظهر المجن
 ورد التحية باحسن منها وتوج عمله هذا بالتاكيد
 الاخير ، الا انه لم يقطع الا بان اوسل خطاباً سرّياً
 للسلطات . ويروي آخرون رواية اخرى عن فراغهما
 هذا ، ويقولون انه كان بسبب امرأة كانت على حدة
 التعبير الذي وصفها به رجال الجواك « كانها لياپ
 اللفت في ثمارتها وعنفوانها » ، وان اشقياء قد
 استخرجوا لهماجوا بطننا في زقاق مظلم ، وان
 المشروع متى بالشل ، وقد تبين ان تشيتشيكوف
 وزميله كانا مغدوعين لأن السيدة كانت تكن الود
 لكاتبتي اسمه شمشارييف . على أية حال فلا يلزم
 الحقيقة الا الله . ولندع الغاري الفضولي يستنبطها
 بنفسه اذا اراد . اما ما حصل في الواقع فقد كان ان
 اكتشفت الاتصالات بالمهربين اكتشافاً تاماً . ومع ان
 الموظف نفسه قد وقع في المكروه ، إلا انه اغرق

اصبح زمام الامور في يده - ارسل كلمة للعصاية يقول
 فيها « ان الوقت قد حان » ولم يكن مخطئاً في حسابه .
 فقد استطاع في غضون سنة واحدة ان يحصل على ما لم
 يكن ليحصل عليه في عشرين سنة من خدمة اممية .
 والحكمة نفسها هي التي جعلته يراقص في ايامه الاولى
 ان ينشئ علاقات مع الشركة ، لانه لم يكن عندنا شيئاً
 يستحق الذكر ومن يكون له في الغنام شيء يذكر . اما
 الآن ، فالسالة مسألة اخرى ويستطيع ان يسي ما
 يريد من شروط . وبالإضافة الى ذلك ، ولكي تسير
 الامور على ما يرام ، لم يمس ان يتراطا مع موظف
 مسؤول آخر من اولئك الموظفين الذين - وان شئت
 شهرهم - الا ان عزائمهم تغور امام المغريات . فاجرى
 العقد وباشرت الشركة العمل . وقد بدا العمل في غاية
 التوفيق لكن معظم القراء في الغالب يعرفون القصة
 التي كثر ترددها حول المعز الاصباني عسر الحدود
 ولكل ممزى منها جلدان تحمل بينهما ما فيه الكفاية من
 الدنكلات التي تباع بمديون روبل . ولن اعيد القصة
 مرة ثانية ، الا اثنى اقول ان رحلات كهذه لم تقع قبل
 ان يصبح تشيتشيكوف رئيساً بمحارك . وانه لو لم
 تكن له يد في المشروع لما استطاع يهود العالم اجمع
 ان يكللوه بالحناح . وما تمت ثلاث رحلات او اربع
 من هذه الرحلات الماعزية الضخمة حتى غدا تشيتشيكوف
 وشريكه يملكان اربعمائة الف روبل دفعة واحدة
 وهناك من يقدرون ان ارباح الاول منهما بلغت
 نصف المليون لانه بذل جهداً اكبر في هذا الشأن . ولا

زعميه . ووقع المؤلفان تحت طائلة التحقيق وجرداً ما
يملكان واجبوا على تسجيل كل ما علموا . ولم يتحس
زميل تشيتشيكوف وطأة خطيته فادمن على شراب حسب
العادة الروسية . اما تشيتشيكوف فقد واجه الامر
بالحزم ، وعلى الرغم من جهود السلطة الجهدية في معرفة
مفاسه الا انه استطاع ان يعقب 'قسماً' منها ، ولجا الى
كل الحيل والالاغيب التي يتقنها دجل حنكه الزمان عبر
زملائه خيرة واسعة . فلم يترك وسيلة مجدبة دون ان
يستعملها - الاحلاق السمعة والخطب المثيرة والنفاق
والرياء وحشو راحة اليد بالقنود بين أولئك وأخرى .
وكانت نتيجة ذلك ان ما لحقه من الفضيحة كان اقل
ما يزميله ، وان نجا من محاكمة فعلية بتهمة جانية .
بيد انه خرج مجرداً من كل راسماله ، مجرداً من كل
ما جمعه ، مجرداً من كل شيء . وكان هناك راغبون قبي
كل هذه الاشياء . نقول ، ان كل ما تقف لديه هو عشرة
آلاف روبل اذخرها ليوم تصعب واربعة وعشرون
قيصاً كتابياً وعرة صغيرة من النوع الذي يقتنيه
المراب ، وادمان سسها سيليفان وتروشكا . نعم ،
وقد دفع المظف موظفي الجمر الى ان يعطوه بعض قطع
الصابون التي كان يستعملها لضارة الغدود . وهكذا
وجد بطننا نفسه موهوناً مرة أخرى . فما هذه المصائب
المتجمعة التي اتصبت على راسه ؟ - لكنني كان
يسمئها «المقاساة في سبيل الحقيقة» . وسيظن القاري
ظناً لا مراء فيه ان تشيتشيكوف بعد هذه الصدمات
والحنس وتقلب الحظوظ - أي يصلح ذاق مرارة الحياة

وحاصلها - سينسحب بنفسه (وبالعشرة آلاف روبل
انماية) الى ركن هادئ في مدينة ريفية حيث يقسج
مرتدياً عباءته يستمع الى الفلاحين وهم يشاحرون في
ايام الاعياد او يذهب (كروياً عن النفس) الى باسح
الطيور ويحسن الفراخ اذا كانت تصلح للحساء فيقضي
حياة حادثة ليست ميثاً ، لكن شيئاً كهذا لم يحدث .
وهنا عدلنا ان نعترف بقوة شخصيته . وبكلمات
أخرى ، مع انه قد أصيب بما كان سيقتبره معظم
الرجال دماراً وثبيطاً وقصاء على الأمل الا أنه ظل
محتملاً ببيئته . وقد شعر - وهو السبوء الساطع
المستاء من العالم أجمع - بثورة على القدر الطالم وثيرم
من معاملة الرجال . غير انه لم يملك الا أن يكرر
المحاولة مرة أخرى . وباحصار ، كان ما ابداه من
الصبر يزيد عمن نوع الثبات الالمانى المتخشب -
الثبات الذي يرتد أصله الى دورة دمه البطيئة
الوسنى . ولكن الامر عند تشيتشيكوف لم يكن كذلك .
لان طبيعته تجعل تدفق الدم في عروقه عيباً ، وكان
عليه أن يبذل الكثير من قوة الإرادة ليكبح في نفسه
جياح العناصر الثائرة التي توشك ان تنفجر وتعرى في
طلب الحرية . وقد فكر ثم فكر ، ولاح له في تأملاته
المنطقى .

وقال بنفسه «كيف صرت الى ما صرت اليه ؟ ولماذا
لاحقنى سوء الحظ» هكذا ؟ ومن يترك فرصته فيصبح
الآن في الخدمة عند الحكومة ؟ الجميع يصلون . لم
أصبر في حياتي الى نقير ، ولم أسلب ارملة ، ولم أطرد

مغلوقة من بيتي . كان كل همتي دائماً أن أعظم من أولئك الذين يمكن أن أكثر مما يستحقون . ولم أكن - زيادة على ذلك - ألتقط الحب إلا حيث يلتقطه كل إنسان ، ولو لم أفضل لأتلقه غيري بدلاً مني . إذن لماذا ينبغي أن أتعلم ؟ وماذا أتعلم ؟ وماذا أتعلم ؟ وكيف أستطيع في المستقبل أن أنظر إلى وجه أي شاب شريف ؟ وكيف أتخلص من عذاب الفكرة التي أحملها عن تحطيمي ؟ وماذا سيقول ابنائي عن نفسي السنين المقبلة إلا أن أباؤنا كان حيواناً لم يخلت نسباً شيئاً فميت من ورائه ؟

ويجب أن أشير هنا إلى مدى التفكير الذي كان تشيتشيوكوف يكرسه لسلالته المقبلة . والحق أقول ، أنه لو لم يترك عقله دائماً هذا السؤال الدائم «ماذا سيقول أطفالنا ؟» لما انغمس في فضاله بهذا العمق . ومع ذلك فقد كان كائنات الحنة التي تختلج النظر يمتة وبسرة تترى فيما إذا كانت ربتها ستأتي نيل أن تستطيع احتطاف شيء ما وقع تحت مجلها (سواء كان زبدة أم دهنًا أو شحم حنزي أو كناري أو أي شيء آخر) - كان مثل صاحبنا مؤسس الأسرة المقبلة مثل هذه القطعة ، يبكي ويندب حفظه دائماً إلا أن عينيه لا تتعاصيان عن شأوده ولا واردة فاحتفظ بترقد ذهنه ونشاطه وأبقى على قدح فكره وأعماله ، وكان كل ما يحتاج إليه هو حيلة يسير عليها لذلك كله ، مرة أخرى استجمع قواه ، ومرة أخرى خاض غمار الحياة ، ومرة أخرى حشر نفسه في كل شيء ، ومرة أخرى ترك

البحر النقي المتحتم إلى حياة القدارة والاصطاط . وبكلمات أخرى اشتغل في وظيفة كاتب للدعوى - ريف يتيسر له عمل أفضل - وهي وظيفة لا مكانة لها ، يتراحم عليها الكثيرون ، ولا يعترها حتى صنفاء الموظفين في المحاكم ، وظيفة دعت إليها الضرورة ينظر إليها الجميع بظفارة واستغفاف . ولكن الحاجة الماسة أرغمت تشيتشيوكوف عليها . ومن بين المهمات التي عهد إليه بها هي أن يقدم مجلس الخيرية بضع مئات من الفلاحين كانوا يعملون في مزرعة حل بها الحراب . وقد حلّ الحراب بهذه المزرعة من مرض أصاب العشية ومن سمالة المديرين ومن انخاف الموسم ومن الاوالة التي تقتل أحسن العمال ، وأخيراً وليس آخراً ، من إدارة صاحبها الحقاء الذي أعد لنفسه بيتاً في موسكو على أحدث طراز وهرق كل كوبيك لديه بحيث لم يبق له ما يقيم به أوده فأضطر إلى وهنها بكل ما فيها من فلاحين . كان الرحمن إلى خريفة الدولة في تلك الأيام بدعة يظن إليها بكثير من التحفظ ، فاضطرب تشيتشيوكوف ، كوكيل في القضية أن يستفسر من كل الموظفين الذين يعينهم الأمر (وحيث نعرف أن أبسط المسائل القابولية لا يمكن أن توضع موضع التنفيذ إلا إذا صيبت في حلق كل كاتب زجاجة من الماديرا سلفاً) ، وأن يبني بهم - مخافة ما قد يجد حسن الاعتراضات القانونية - أن تصف الفلاحين قد ماتوا .

مسألة السكرتير «هل هم مسجلون في لوائح

الإحصاء ٩٠ وأجاب تشيتشيكوف «نعم» ، فأكمل السكرتير يقول «أذن ما الذي يخيفك ؟ إذا هانت نفس من النفوس تولد أخرى قبل «محلها» . وبهذا هيئت على بطلنا أفكار ملهمة لم تطرق عقلا بشرياً من قبل ، وراح يناجي نفسه قائلاً «يا لبساطتي ؟ لقد كنت أفتش عن قمازي بينما هو معلق طول الوقت في نظائري . أجل ، أهو قممت بشراً ألف نفس مهيئة ليل صدور النوائج الجديدة سيمطيني مجلس الفزينة أمام حائتي روبل بكل نفس ، وساجد نفسي عندئذ براسمال قدره مائتا ألف روبل مثلاً ! والحلظة الحالية هي الوقت المناسب إذ قد حلت أوبته في مختلف أرجاء البلاد ، وقد مات عدد كبير من النفوس والحمد لله . وقد اتخذ الملاكون في هذه الآونة يفعيون الورق ويقبضون الولائم ويصرفون القود بغير حساب وراحوا ينضمون إلى حملة الحكومة على بطرسبورج . وأهلكهم بناء على ذلك سائلة إلى الخراب والدمار ، فهي تدار كبقيا نيسر الأمر ، ولا يستطيع أصحاب دفع الضرائب عنها إلا «يشق» الانفس سنبة بعد أخرى . وإذا كان ذلك كذلك ، فسوف يسرهم أن يتنازلوا عن أنفسهم المينة بدلا من دفع الضرائب عنها . بهذه الوسيلة سوف أجمع من الناس غير قليل هناك بعض المصاعب طبعاً ، لكنني يجب أن أستعمل كل الدماء لكي أتجنب الضيعة . لقد أعطني الإنسان عقلا ليستعنه لا ليطرحه جانباً . واحد من أرباب هذا المشروع هو انه غير محتمل الوقوع ، وإذا ما طار طاري فلن يصدقه انسان . حقيقة أن شراء الفلاحين أو رهنهم

دون الأرض هو عمل غير قانوني ، ولكنني أستطيع أن أظهار بسهولة أنني اشتريهم لنقلهم إلى مكان آخر . والأراضي في توريدا وحارسون لا تكاد تساوي شيئاً ، وليس على المرء إلا أن يصلحها . أذن أي حارسون سوف اتقلهم وليعشوا هناك طويلاً ! وسيكون تسجيل نفوس المينة على أوق الإصول القانونية ، وإذا ما طلبت منى السلطات إثباتاً بشهادة مسابرز لهم كتاباً من رئيس الشرطة الخراسوني ، وأخيراً سيكون اسم القرية المنتظرة في خارسون «تشيتشيكوفوي» ، بل الأفضل «باتشوفسكي» حسب اسمي الأول . هكذا كنت في عمل بطلنا هذا المشروع العريب الذي قد يرضى عنه القاري ، أو لا يرضى ، ولكن المؤلف راض عنه بكل تأكيد . لأنه لو لم يخطر ببال تشيتشيكوف لما رأت هذه القصصة النور

ويعد أن رسم على نفسه علامة الصليب ، حسب العادة الروسية . راح منطلقاً بشروعه وأخذ يحث التفيتش على مكان يستقر فيه يتمتع زوايا الامبراطورية الروسية ، موجهاً اهتمامه إلى تلك التي حثت بها الكوارث الطارئة كاحراق الموسم وارتفاع نسبة الوفيات أو أي شيء آخر يمكنه من شراء الانفس بأرخص سعر مستطاع . لكنه لم يختار الملاكين اختياراً عابراً ، إنما اختار أولئك الذين توسم فيهم أخير ورأى أنهم يلائمون ذوقه وتوقع أن يعقد معهم الاتفاقيات دون عذر . وكان يحاول أول ما يحاول - سواء على أساس التعارف ، أو الأفضل من ذلك على أساس الصداقة - أن يحصل على

التفوسى هجاءاً حتى يتجنب تكاليف الشراء . وبهذه المناسبة يجب أن لا يلومنى قرأنى إذا لم تعجبهم اشخصيات التى وردت على هذه الصفحات . إنما أعجب غلبتاً ليس بطلنى إنما هو خطأ تشييتشيكوف لأنه سيد الموقف وعليه أن تتسع حيث سار . وإذا ما سدت يى قرأنى ، أيضاً ، لشيء من التفوسى أو نقص فى الأيضاح عن بعض الشخصيات الرئيسية محواسبى على هذا بأن منحنى الكتاب ومزاجه العام لن يتصحاً منذ البداية . مثل ذلك مثل السامر الذى يضل المدينة ، أو العاصمة ، لأول مرة ، فينطبع عندئذ فى ذهنه بلوهبة الأولى طابع من الضوضى ويبدو كل شيء أمام عييه رمادى اللون على وتيرة واحدة وتظهر أعنة دخان المصانع وصعوف المعامل لا نهاية لها ، ولكنه مع مرور الوقت تنجلي أمام عييه معالم البيانيات ذات الطوايق الستة والحوانيت والثرفات ومناظر الشوارع المريضة وخيط من الأبراج والأعمدة وإنسلالات - كل هذا ضمن إطار من الضجة والصخب والعنايب التى لا حدة لها مما قوصل إليه عقل الإنسان ويده . أما الطريقة التى اتبعها تشييتشيكوف فى مشنرياته الأولى فالقارى على علم بها . وسيعرف أيضاً تبعاً لذلك كيف تطورت الأمور ، وما مر به بطلنا من الجحاح والإحباط ، وكيف كان عليه أن يتنوع بالعزم ليتعلب على مشاكل هسي أكثر صعوبة من سابقتها ، وبأن قوة حيوة كانت تتحرك مجرياً هذه القصّة الممتدة الأطراف ، وكيف يترتب على ذلك كله أن يفسح الاق حتى ينتهي كل

شيء فيه منحى العظمة والفاعريّة سم . بلا تزال هناك مرستات عديدة ستقطعها فرقة مكونة من رجل وعربة من النوع الذى يعتميه العرباب وخادم اسمه بتروشكا وسائق اسمه سيليان وثلاثة خيول من المستشار الى الأرقع عرفهاها بأسمائها واحداً واحداً . وبالإضافة الى ذلك ، ومع اتنى قد قدمت وصفاً كاملاً لظهور بطلنا الخارجى (كما هو تماماً) إلا أننى قد أسأل عن تعريف شامل لشخصيته انخلقية . أما أنه ليس باسطل الذى يتعالى بالفصائل والكمال ، فهذا أمر يجب أن يكون واضحاً منذ الآن . إذن ماذا يكون ؟ هل هو ليدل ؟ ولماذا ندعوه ندلاً ؟ ولماذا نقسو هذه النسوة على رجل مثلاً ؟ لقد اعلم الانهال من الوجود في هذه الايام . بل هناك اناس اصحاب شهامة لاصاب . ولكنك قد تجد اثنين او ثلاثة اعانوا أنفسهم بأعرضوا حدودهم للصفح على الملأ . وحتى هؤلاء يتحدثون الآن عن المصيبة . من الاصل ان ندعوه جشعاً ان الجشع وحيد التحصيل خطأ شائع عند معظم الناس ، وهو السبب في نزوات كثيرة ، وكثيرة جداً بوصف عادة ياها «ثير شريعة» . وشخصية من هذا القبيل ، فسي الحقيقة فيها عنصر من القباحة . ولكن القارى انشاء تجرأه في الحياة قد يجلس مع شخصية من هذا النوع وقد يقضي مع صاحبها أطيب الاوقات ، ولكن سيكون اول من ينظر اليه نظرة المتسائل اذا ما علم أنه يترياً يرى بطل في رواية أو قصة . لكنه حكيم جداً ذلك القارى الذى اذا قابل شخصية كهذه يتفحصها بأمعان

ويسير غورها الى الأعماق بدلا من أن ينكمش عنها
بامتصاص وما من شيء في شخصية الإنسان إلا وهو
قابل للتبديل والتغيير في طريقة عين - لا شيء فيها
إلا وقد تنبثق منه سحابة أكالة تمتص منها انبعاث
الحية في لمح البصر . فلن تبدو لك في الإنسان لعامة
الناحية وحسب . بل ستبدو لك عاطفة أخرى من أحط
الفرجات في رجل خلق لأمر أجل من هذا . وهذه العاطفة
الأخرى تقوده الى نسيان واحائه العظيمة وفرائضه
المقدسة فيرى الجلال والتقدير في انفه الامور . ان
عواطف الانسان كرمال الشاطئ لا يحصى لها عدد ، وهي
بلا شك أكثر تنوعا وتبديلا كلها ، رفيعة
روضيها ، في خدمة الانسان ، ثم تتدرج حتى تصبح
مسيده المسميد . سعيد ، إذن ، هو ذلك الانسان الذي
يمتص من سلسلة العواطف البشرية عاطفة نبيلة ا
ساعة بعد ساعة يستنمو هذه الطريقة وتتكاثر الى أن
تصبح حيرا عميقا ، وساعة بعد ساعة يستنمو أعين
وأعني في جنان نفسه السردية . غير ان هناك عواطف
لا يستطيع الانسان أن يتخلص منها ، ولدت معه منذ
ولادته ولا حيلة له في تركها . وعلى هذه العواطف
تسيطر قوه العليا فتكبتها ، ولكنها تظل تناديه وتأبى
السكوت حتى نهاية حياته وستأخذ دورها الكامل في
هجال الحياة ، سواء تسمتت تحت حجب الظلام أم تزيت
بزي سيمتحوك الى نور يصي أرواح العالم . وهي في
كلنا العائين قد انبثقت لصالح الانسان . عن هذا
المثوال قد يكون ممثلا العاطفة التي جرت تشييتشيكوف

الى ان يعمل ما عجز دون أن يكون نفسه شاعرا بما
يعمل . وعلى الممثال نفسه قد يمكن وراء الجوهر البارز
شيء . يعمل الرجال يتدلون يوميا أمام حكمة الله
السردية . وهناك نقطة أخرى غامضة ، وهي لماذا طبع
تلك الشخصية في هذه القصيدة التي توشت أن تشر .
أما أن لا يرضى الناس عن بطل ، فهذا ليس من
الاصحية في شيء . فإني أرى هو استجاسهم الذي
لا بد منه تحت ظروف معينة وفي مواقف معينة . فلو لم
يتوغل المؤلف كثيرا في نفس تشييتشيكوف ولو لم
يعرك في اعماقها ما اكتسب واختبأ عن الأنظار ولو
ثم يكشف عن أفكار بطله التي لم يكن هذا الممثل
ليكتشف عنها حتى الى أعز أصدقائه وفي الواقع لو
أظهر المؤلف تشييتشيكوف كما أظهره نفسه لأهل
مدينة «ن» وسانيوف ولداقين كان علينا عندئذ
أن نطمئن الى أنه سيمر على رضى كل قارئ وسيعده
هذا التمثال لطيفا جدا . وقد لا يكون من الضروري أن
نصور تشييتشيكوف بدقائره بهذه الصورة التي رسمناه
بها فمصنفا مثلا أمام العين يشكك وهينه ونفسيته
حتى نترك له (أي للقارئ) من هذه الحال ما يستطيع
به بعد براعة من مطالعة الكتاب من أن يعود الى اعتكافه
وعبادته للعيب الورق الذي هو السلوان والمسرّة
الكبرى لجمرة الروس كلهم . نعم ، يا قارئ هذا
الكتاب ، ليس فيكم من يكثر عن صديق رؤيته
البشرية وهي بشرية . وتقولون «ولم يفعل ذلك ؟ وما
قائدته ؟ إلا عرفت من قبل ان في البشرية كثيرا مما

هو ثقيل محترق ؟ الا يكفى ان ترى نام اميننا الكثير من المزعجات ؟ كان من الافضل لو وضعت لنا قصة لطيفة حذابة ننسى بها افساسنا فليسلا . وعلى هذا الطراز يحاطب الملاك مأمور املاكه فيقول « لماذا حلت تحريمي ان شؤن املاكى متدهورة ؟ اسى اعرف هذا دون مساعدتك . اليس عندك شيء آخر تنبئني به ؟ ارجوك ان تسمح لي بتسليان هذه الحقيقة ، او دعنى ابقى جاهلها . ولك منى اطيب الشكر . » ومن ثم يروح هذا الملاك يصرف على ملذاته النقود التي كان يحب ان يصرفها في تمييز املاكه . والعقل الذي يمكن ان يكتسب مصلوا غير متوقع للتأثيرات العظيمة بالناس الآن . بينما اهدت صرابة مطرقة عمقية بيع ضيعة منى مراد علي ، وما لكها رحل لظوف في العالم . وينسى ، وروحه من التطرف مستعنة لكل الغيائج الذي كان هو نفسه يرتصب منها من قبل .

وقد يتعرض المؤلف للسلامة من الذين يدعون « بالوطنيين » الذين يجلسون بهدوء في رواياتهم يجمعون الاموال ويصيحون راسماليين على حساب الاخرين . نعم ، واذا ما حدث شيء مما يستورنه ماسا بسمعة الوطنين - كنشر كتاب عن العقائض المروعة مثلا - فستجدهم عندئذ يخرجون من مخائهم كالميكروبات التي لمحت ديانة تقع في سبيها . وسيصيحون قائلين « هل حسن ما اظهرت للعالم وتركت الناس يلوكون الحديث حولك ؟ ان الذي وصفت يستأنا وهو من شأنا نحن . هل هذا هو سلوك المواطن الصالح ؟ لماذا تريد من

الاجانب ان يفترضوا ان كل شيء لدينا على غير ما يرام وانا خلو من الشعور الوطني ؟ » اجل . فليس فسي الحقيقة من جواب يجاب به على هذه الملاحظات الحكيمة ، وخاصة فيما يتعلق برأى الاجانب بينا . لكن رويدك لقد عاش في يوم من الايام في زاوية من زوايا روسيا البعيدة مواطنان روسيان . أحدهما كان رجلا طيبا اسمه كيفا موقيتش وهو أب له عائلة ، كان لين العريكة وكان سائرا في حياته بعبادة يتدثر بها . ولم يكن يكثر لشؤن بيته ، وسبب ذلك انه كان قد ركز اهتمامه في التفكير والتأمل في الطبيعة . وكان في هذه بالذات متهمكا في مسألة فلسفية يصيها عادة في السؤال التالي ، « لقد ولد الحيوان عاريا . ولماذا كان ذلك كذلك ؟ لماذا لا يولد الحيوان كما يولد الطير - اى بان يعفس من بيضة ؟ ان الطبيعة اعلى من الادراك مهما حاول المرء ان يسير غورها » . كان هذا هو محور تفكير كيفا موقيتش . لكن هذه ليست هي النقطة الرئيسية اما الآخر فكان اسمه موكي كيلوفيتش . ابن الاول . كان ما تسميه - نحن الروس - بطلا . اذ بينما كان والده يترك في مولد الحيوان كان مراج الابن الضيف ابن العشرين سنة يناضل تضالا جبارا في سببيل تطوره ، غير انه لم يستطع ان ينجز أمرا دون ان يحدث معه حادث مائل في الجبروت والصف . كسر مرة اصبع احد الناس ومرة اخرى لكم شخصا على انفه ، حتى اصبح يهرب منه كل انسان وكل حيوان - من الخادم حتى الكلب في الساحة ، ولم يسلم من ذلك حتى

فراشه في سريره فقد تنافرت قطعاً . هكذا كان موكي
 كيوفيتش ومع هذا فقد كانت روحه خفيفة لطيفة .
 لكن هذه ليست هي النقطة الرئيسية ، بل النقطة
 الرئيسية كانت تتمثل في الواقع البالي . انه كان الجيران
 والخدم يأتون الى الاب قائلين : «سيدنا العزيز كيف
 موكييتش ؟ ماذا أنت عامل لنا موكي كيوفيتش ؟ اننا
 لا نرتاح منه ، فهو يرى نفسه اكبر مما هي » . فكان
 الاب يجيب «ان هذا سبب منه فقط ، ان هذا سبب منه
 فقط . وماذا ينتظرون منه غير هذا ؟ لقد فات اوان
 الحساب منه ، ولو حاولت ان افضل لسيتمنى الناس
 بالحمولة والفظاظة انه مشرور في الحقيقة بعض
 الغرور ، ولكني لو ربحته امام الناس فسيصبح هذا
 مدار الحديث وسينقلب الناس بألقاب الكلاب . واذا
 فعلوا ذلك فسوف يستسي القول لأنني ابرء . ثم اني
 ايضاً مشغول بالفلسفة ولا وقت لدي لهذه الانبياء في
 بعض الاحيان ، ولكنني ابو موكي كيوفيتش هو
 ابني ، وهو عزيز جداً علي قلبي » وأكد لهم كيف
 موكييتش عزة أخرى وهو بضرب صدره بيده ، و اضاف
 ان ابنه لو رأى ان يظل سادراً في لعبه ذلك فليس
 له - اي للاب - ان يصرح بالحقيقة أو ان ينفضل عن
 ابنه . وبعد ان تلفظ كيفا موكييتش بهذه الكلمات
 البليشة بالحنان الابوي ، ترك موكي كيوفيتش لاعماله
 البطولية وعاد بنفسه الى تأملاته السجيرة التي كان
 موضوعها الآن المسألة التالية «لغرض ان العيلة بدأت
 تفقس من البيض ، الا تكون قشرة هذه البيضه من

السمك بحيث لا تخترقها فتايل المدافع وهذا ما يدعو الى
 اختراع اسلحة من نوع جديد »
 وهكذا ، فاننا نرى بانتهاء هذه القصة اثنين من سكان
 زاوية هادئة من روسيا ، يريان - كما لو كانا
 يطلان من نافذة - يجيبان سراجاً متواسعاً عن الاتهامات
 الموجهة من جانب الوطنيين المتحمسين ، امشغلين
 بهدوء حتى الآن بفلسفة من الفلسفات أو بطرق الانراء
 على حساب وطنهم الذي يديون ، وهم لا يفكرون في
 ان يتجنبوا فعل ما هو شائن ، بل في ان لا يتحدث
 الناس عن كونهم يقومون بهذا الفصل الثامن . سم ،
 فالشعور الذي يثير من يسوء بالوطنيين ليس من
 الوطنية في شيء إطلاقاً . انما هنالك شيء آخر يكمن
 وراءه . ولم الخوف من قول ذلك ؟ ومن ذاك الذي سيرفع
 الصوت عالياً لأظهار الحقيقة ان لم يكن المؤلف نفسه ؟
 ان رجالاً مثلكم - يا مواطني الرثين - ليرجعون
 رعباً من العين التي تستطيع ادراك لامور ، فانتم
 انفسكم ترتعبون من توجيه نظرة عبيقة الى شيء ما ،
 وتحبون ان تمرروا عيونكم غير المفكرة على كل شيء
 حلقاً . وبعد ان تصحكوا ملء قلوبكم على نكبات
 تشيتشيكوف - وربما تمدحون المؤلف على براعة
 الملاحظة او طراوة الخطورة - ستشعرون بكبرياء
 متعاطفة في انفسكم وسيبسمون ابتسامة ملوفاً الرضى
 وتقولون «اهل ، ننا لا ننكر ان هناك في بعض
 المقاطعات افراداً على جانب من الغرامة والسخرية وان
 هناك سفلة انذالا لا ضمير لهم » .

يبدأ أنكم إذا ما جلستم هادئين وحيدين واحدكم
تجسبون أنفسكم ، فمن منكم لا يحس حساً إذا ما
راح يسير عود نفسه وي طرح عليها لسؤال الرزيسن
التالي : «ليس قتي عصر من تشيتشيكوف ؟» وسأدا لا
يكون ؟ ومن منكم لا يخطر أن يسر به في الشارع ذات
يوم أحد معارفه ، فينكر جاره ويقول ببحرية لا تكاد
تحق : «انظر ! هو ذا تشيتشيكوف ! ان الذي مر بنا هو
تشيتشيكوف نفسه !»

لكننا كنا نتكلم بأعلى أصواتنا بينما كان يهبطنا لا
يرال ذلماً في العربة ! وقد تردد اسمه كثيراً ونحن
سرد قصة حياته ، ولا بد أنه قد سمعنا ! وهو دائماً
تزعج سريع النضج إذا ما وردت سيرته بغير احترام .
وقد لا يهتم القارئ قتيلاً لأعصاب تشيتشيكوف ، ولكن
خصام المؤلف مع بطله مصدا الحراب ، إذ لا يزال عيبه
أن يمتشي مع تشيتشيكوف ، يبدأ بيد ، مسافات بعيدة
المدى

وصلدت صبيحة عن تشيتشيكوف تقول «ايه ، ايه ،
يا سيليفان !»

فأجاب سيليفان بصوت لأعسى «ما المسألة ؟»
«ما المسألة ؟ ما بالك تسوق ناعساً ؟ اسرع حركة
نفسك قليلاً !»

وكان سيليفان في الواقع جالساً منذ عدة طويلة
يعينين نصف مضطربين ويدين لا تستنجان العياد
الروستي الا بمسها باللجام على اودافها بين فترة
وأخرى . اما بتروشكا فقد اضاع قبضه وكان متعباً الى

الخلف حتى ارتاح راسه على ركبتي تشيتشيكوف -
وهو امر استدعي ايقاته منكية . ونحس سيليفان
وحاد على الارقط بضغ ضربات على ظهره جعلته يركض
حباً ولوح سيليفان للجميع بسوطه من فوق ، وغمغم
بصوت مترنم رخم . «لا تص !» وما إن هذا وميلاء
الأخران حذوه حتى راحت العربة تدرج الى الامام كأنها
حبة من خرز . وشحن سيليفان صوته وصاح «ايه ،
ايه !» بينما كانت تعارب الطريق توتة صاعداً نازلاً
عن مقدمه . وآنكا تشيتشيكوف في الوقت نفسه على
المصادفة الجديدة داخل العربة وايتسم ابتهامة الرضى إذ
أحسن ان العربة تطلق كالريح . وأى روسى لا يحب
أن يسرع ؟ ومن منا لا يتفر بعض الاحيان الى أن يطلق
لجياذه العنان وينقى بها الحبل على الخارب ويصيح قائلاً
«لا قليلب العام الى الشيطان !» وكيف لا تعبه نفسه
هذه المنحطاب ، رتبها شيء رالح عجيب إذ يحس المرء
أن قوى جيتارة ترفعه فكانه على جناح ، فيجد أنه
يغير والى الناحية المعاكسة كل شيء آخر يطير - علامات
المرسات والتجار على عربات السعي والنايسة ذات
الخطوط المعتمة التي يرسمها شجر الثنوب والصنوبر
والتي قد يسمع منها صوت بلطة الحطاب ونعيق
انغراب . نعم ، ومن خلال ذلك البون الشامخ المدي
الذي يكتفه الضوضى تتقدم الطريق الى ، ولا يبدو
لعمري شيء ساكن غير السماء والغيوم الخفيفة التي
يشقها القمر . ايها الترويكما ، ايها الطائر ، من
اشرعك ؟ لا يمكن أن تولدي إلا في مصب عالي الهمة .

بحواقرها ، وتحوّلت إلى غط واحد ممدود طائر فسي
 الهواء ، منطقة برحي من الربا روسيا ، الى ايس
 أنت تنطلقين ؟ اجيبيني انّها لا تجيب ، جرس يملا
 الهواء برنين عجيب ، والهواء يردد ، ويصير ريناً ،
 ويتحوّل إلى مزى . كل شيء على الأرض يمرق عاتراً ،
 وسطر الشعوب شجراً وتنتحي الشعوب والدول الأخرى
 قاسحة الطريق لها .

في أرض لا تحب المزاج ، بل تنداح منبسطة لتكسرون
 نصف العالم ، فيظل لمسار يعد صواري الطريق ويعد
 حتى تعجب عينيه . وقد يظن المرء أن واسطة السفر
 هذه لا دهاء فيها . إنها غير مثبته بمسامير حديدية ،
 ولكنها صنعت على عجل بالفأس والأرمل ، وصمّ بعضها
 إلى بعض دلاح حاذق من يارسلافل . وسائقها ليس السانبا
 في جرمة طويلة السامير . بل مبتع مورد الحديد يقعد
 على شيء لا يعلم ما هو إلا الله . ولكن ما إن يرفع
 جسمه ، ويفترج بسوطه ، ويطلق صوته بالغناء حتى
 تنطلق الخيول كالماصفة ، وتصير نضبان المجالات
 دائرة واحدة متساكة ، والطريق وحده يمتز . والباشي
 يتوقف صائحاً في عرج . وتنطلق الترويكسا
 وتنطلق . . . ولا يبقى إلا الغبار يدوم في البعيد ،
 ويتلونب في الهواء .

وأنت يا روسيا ، الست أنت أيضاً ، تنطلقين
 مثل ترويكسا خاطفة لا تسابق ؟ الطريق يتزوع تحتك
 كالسخان ، والجسور تهدر ، وكل شيء يتراجع ، ويبقى
 إلى الخلف . ريتوقف المتفرج مصموفاً بهذه الأعجوبة
 الإلهية ، الملها بارقة هيبت من السماء ؟ ما هذه الحركة
 التي تثير الفزع ؟ وما هذه الأروح غير المنظورة على
 تلك الحيول التي لم ير العالم منها ؟ آه ، يا حيول ،
 يا حيول ، وأية حيول ! أهي الروابع مخفية في اغرائك !
 أهي الأذن مرهقة السمع تتوهج في كل مصب منك .
 سمعت صوت أغنية مألوفة تسمعني في الأعلى . فترت
 صدورها النحاسية على الفور ، وهي لا تكاد تسمع الأرض

مقطعاً صغيراً من مشهد مسرحي صغير ، كأن قد أعجبه ،
على كل حال ، أكثر مما برأته له سابقاً قال : «كيف
يمكنك أن لا تبدأ بعمل كبير ، ولك هذه القدرة على
حمس لائنات ، وتصويره بضع لحظات ليطلع أمامك
حياتاً أن ذلك جرم تماماً » وفي ذلك أحد بصوري
صنف بطني . وعلى . التي يمكن أن تبتز حيتي في
وقت مبكر . وطرد في مثلاً على سرائس الذي كتب
بعض الروايات الصغيرة اربعة جداً والحيطة . ولكن لو
لم يأخذ بكتابة «دون كيخوت» لما أحل تلك المكانة التي
يحتلها الآن بين الكتاب ، وحتماً لكل ذلك اعطاني
موضوعاً من عنده كان يريد هو نفسه أن يكتبه على
شكل قصيدة ، وما كان بسيطه لشخص آخر ، حسب
قوله . وكان ذلك موضوع «الانفس الميتة» .

ويشعر غوغول في موضع آخر أورده فيما بعد
(الرسالة الثالثة . في «الرسائل الأربع» لاشخاص
محتلين بضموم «الانفس الميتة» لي أن المسودات
الأولية للقصيدة كانت مكتوبة بشيرات مختلفة قليلاً
وأكثر سهامة ، وتخصياتها تشبه «العيال» . وقد شعر
غوغول بضرورة تغيير هذه الطريقة بعد قراءة القصيدة
في بيت بوشكين (كان ذلك في نهاية ١٨٣٥ أو في
النصف الثاني من عام ١٨٣٦) . «حين بدأت أقرأ
لبوشكين الفصول الأولى من «الانفس الميتة» بما في ذلك
ما كانت عليه من قبل أحد بوشكين الذي كان يصحك
دائماً عند قراءتي (وكان مولداً بالصحك) يعيس تميماً
فضيئاً ، وأخيراً صار في منتهى السهامة . وما أن انتهيت

تعليقات

صدر المجلد الأول لأول مرة في عام ١٨٤٢ في كتاب
مستقل بعنوان : «مغامرة تهميشيكوف أو الانفس
الميتة . قصيدة ن . غوغول» . موسكو . ١٨٤٢ .
ترجع بداية العمل في هذه القصيدة إلى عام ١٨٣٥ .
والرسالة التي أرسلها غوغول إلى الكسندر بوشكين ،
بتاريخ ٧ تشرين الأول ١٨٣٥ - وهي الرسالة التي
طلب فيها أن يعطيه موضوعاً لمسرحيته المقبلة
«الميتش المصام» تتضمن أيضاً المعلومات الأولى عن
«الانفس الميتة» «بدأت أكتب «الانفس الميتة» .
الموضوع امتد ليصير رواية طويلة جداً ، واعتقد أنه
مضحك جداً . . . أحب أن أظهر في هذه الرواية جانباً
واحداً على الأقل من روسية» . وغوغول ، في إبلاعه
بوشكين هذا المنوع المعروف له يبدو وكأنه
يستأنف حديثاً قد بدأه من قبل .

وفيما بعد ، تحدث غوغول في «اعترافات مؤلف» عن
لظروف التي قدم فيها بوشكين له موضوع «الانفس
الميتة» : «كان يعتني منذ زمن بعيد على البدء بمؤلف
كبير ، وأخيراً ، وذات مرة ، بعد أن فرغت من قراءتي

القراءة حتى قال بصوت ملئوع : «يا الهى ، كم هى
موحشة بلادنا روسيا !» اذهلتنى هذا . . . ومنذ ذلك
الحين اخذت لا افكر الا بتخفيف الانطباع المرهق الذى
يمكن ان تتركه «الانفس الميتة» .

فى خريف ١٨٣٦ استأنف غوغول العمل فى «الانفس
الميتة» الذى كان قد بدأ فى بطرسبورج استأنفه فى
فيش (سويسرا) ومن ثم فى باريس ، وهو يبلغ صديقه
الشاعر فاسيل جوكوفسكى فى رسالة مؤرخة فى ١٢
تشرين الثانى : « . . . كل ما يداته قد راجسته من
جديد ، وفكرت اكثر فى النحلة كلها ، وانا الآن اسير
بها بهموه كمذونة تاريخية . ومنذ ذلك الحين بدت فى
سويسرا افضل ، وحيالها الرمادية الليلية الزرقاء
المساوية الوردية اخف واشف . ولئن انجزت هذا
العمل بالطريقة التى يجب ان يتجز فيها . . . فإى
موضوع ضخم أصيل سيكون» . وحسب خطة غوغول
الجديدة يجب ان لا يكرس محتوى العمل الجديد للجواب
المظلمة من الحياة الروسية فقط ، وبدلا من تصوير
روسيا من «جانب واحد» يتحدث غوغول الآن عن
«روسيا كلها ممثلة فيه» . وفى الرسالة المذكورة الى
جوكوفسكى لم تعد «الانفس الميتة» تسمى رواية (كما
فى رسالته الى يوشكين) بل «قصيدة» . والسطور
التالية التى وردت فى رسالة الى الكاتب والمؤرخ
والصحفى ميخايل بوغودين بتاريخ تشرين الثانى ١٨٣٦
تشير الى تلك التغيرات : «العمل الذى انكب عليه الآن
والكح . . . لا يشبه رواية قصيرة ، ولا رواية . . . انه

لويل ، طويل ، فى عدة مجلدات . وإذا اعاننى الرب
فسانجز قصيدتى ، كما يجب ، انها ستكون أول عمل
ابداعى معتبر لى . روسيا كلها منعكسة فيه» .

ورسائل غوغول فى تلك الفترة الى صافره وذويه
مشبعة بالرجاءات لتزويده بمختلف المعلومات فى
موضوع «القضايا المثيرة للفضول» ولا سيما تلك التى
«يمكن ان تحصل عند شراء النفوس الميتة» . ويطلب
غوغول من جوكوفسكى : «ابلق يوشكين بذلك ، فقد
يجد هو ايضا شيئا من جانبه» . وكل هذه الصادة
ضرورية للاستمرار فى القصيدة .

فى شباط ١٨٣٧ يصل الى غوغول ، وهو فى باريس ،
تبا مقتل يوشكين . ويكتب غوغول من روما : «كل متعة
حياتى ، كل متمى الرغبة اخذت معي . لم اكف القسم
على اى شىء بدون نصيحتته . . . وعمل الحالى ، الموحى
منه ، هو ابداعه . . .» . والآن يعتبر غوغول «الانفس
الميتة» بمثابة «وصية مقدسة» ليوشكين . (رسالة الى
ق. جوكوفسكى بتاريخ ١٨ نيسان ١٨١٧) .

فى أواخر عام ١٨٤٠ انتهى العمل فى المجلد الأول
بشكل عام ، واخذ غوغول يعده للطبع . وفى كانون
الأول يبلغ الكاتب ميرغى اكساكوف فى رسالة من
روما : «أنا الآن أعد المجلد الأول من «الانفس الميتة»
فى صيغته النهائية . أغبر ، واقنع ، وأعيد العمل كليا
فى اشياء كثيرة . . .»

ومساعد فى استنساخ القصيدة الاديب ناسيل بانوف
قريب ميرغى اكساكوف ، والذى صاحب غوغول نفس

رحلته الى إيطاليا ، وبعد ذلك ساعد في الاستنساخ بافيل اينيكوف ، الناقد والنائب ، وكتب المذكرات . وقد خلف اينيكوف رواية بديعة تصف فيها كيف جرى استنساخ القصيدة في صيف ١٨٤١ في روما .

بعد ان يقص نيقولاى فاسيليفيتش الكراسية امامه . . . كان يستغرق فيها كليا ، ويبدأ بالاملاء بتوازن وانتشاء ، وباحساس وضم تعبير جعل فصول المجلد الاول من «الانفس الميتة» يكتسب في ذاكرتى نكهة خاصة . كان ذلك اشبه بالهام هادئ متدفق باتساق يولده عادة الادراك العميق للموضوع» .

وحين استنسخ اينيكوف «قصة الكايين كوبيكين» التي اثار في مؤلفها الاحساس بارتياح واضح عبر اينيكوف عن شكه في ان تنشر القصة في يوم ما . فاجاب غوغول بثقة في النفس : «النشر شيء هين كل شيء سينشر» . «وتجلى شعور المؤلف بالارتياح النفسى بقوة اشد ، عند وصف حديقه يوشكين . وانا اتذكر ان حساسة الاملاء لم تبلغ هذا العلو في غوغول كما بلغت في هذا الموضع ، مع الاحتفاظ بكل الطبيعة الفنية . حتى ان غوغول نهض من مقعده (والظاهر ان طبيعة ما يصنعه مرء امام عينيه في تلك اللحظة) وصاحب املاءه بانشارة نفورة آتمة ، وبهائية كل هذا الفصل السادس المذهل كنت منفلا ، فوضعت الريشة على الطاولة ، وقلت بصراحة : «اعتبر هذا الفصل ، يا نيقولاى فاسيليفيتش ، شيئا عبقريا» . كور غوغول بقوة الكراسية الصغيرة التي كان يمل منها ، وقال بصوت

نحيل لا يكاد يسمع : «صدقنى ان بقية الفصول ليست اسوأ» .

في تشرين الاول ١٨٤٦ عاد غوغول الى موسكو عن طريق بطرسبورغ لاستنساخ «الانفس الميتة» بشكل نهائى وطبعها .

في ٧ كانون الاول قدم غوغول المخطوطة الى الرئيس ايفان سنيغيفوف ، وقد رجاء ان يبدى رايه فيما اذا كانت لجنة الرقابة في موسكو ستسمح بها .

وفيما بعد تحدث غوغول الى صديقه الكاتب والصلى بيتر بليتشيف (رسالة مؤرخة في ٧ كانون الثانى ١٨٤٢) عن الوقائع التي حصلت في اجتماع اللجنة : «ما ان سمع غولونفاستوف ، الذى كان يحتل مكان الرئيس اسم «الانفس الميتة» حتى جاز بصوت الرومانى القديم : «لا ، هذا لا يمكن ان اسمح به ابداً . النفس خالدة ، ولا يمكن ان توجد نفوس ميتة . ان المؤلف يحارب الخلود» . وأوضح للمراقبين ان المقصود فى ذلك الاقنان المسجلون فى الاحياء ، فزاد ذلك من انزعاج المراقبين . فان ذلك غير مسموح به ، ان ذلك يعنى الخروج على نظام القنائة» . كما لم تنفع حياطة سنيغيفوف الذى كان قد قرأ المخطوطة ، والى جانب معارضة «المراقبين-الاسيويين» عارض «المراقبون-الاوريون» . وقد قال احدهم ، وهو نيكيتا كريلوف

• ساعد ناظر لدارة التلغرافية الموسكوفية ، وطمسو رقابة .

استاذ القانون الرومانى فى جامعة موسكو : «مهما قلتم فان النمن الذى يدفعه تشيتشيكوف . . . الرويلين والنصف التى يدفعها للنفس الواحدة ، تقلق النفس . . . ان هذا لا يمكن ان يسمح به لافى فرنسا ، ولا فى إنجلترا ، ولا فى ان مكان . . . ثم ان اى اجبتى لن ياتى اثنا بعد هذا» .

واسترجع غوغول المخطوطة من لجنة الرقابة ففى موسكو خافوا من منعها ، وسلمها لبلينسكى الذى كان مسافرا الى بطرسبورغ وكان غوغول يعتمد على مساعدة اصدقائه فى العاصمة وهم - اوديفسكى وبلينتوف وسميرنوكا . . . فى تسهيل طريق «الانفس الميتة» الى الرقابة . وبالفعل ، سمحت الرقابة فى ٩ آذار بنشر القصيدة مع بعض التعديلات ، ولكن بحذف «قصّة الكابيتين كوبيكين» . وفى الاول من نيسان ابلغ الكسندر نيكيتنكو الذى راجع المخطوطة كرتيب . ابلغ غوغول أن «من المستحيل تماما السماح بقصة كوبيكين ، وما من احد يضمن نهم ذوو السلطة ، يقدرون ان يبقى عليها ، واثنت نفسك ستوافق ، بالطبع ، على اثنتى غير قادر على ان افضل شيئا فى هذا الخصوص» .

ومع ذلك فقد قرر غوغول أن يبقى على «القصة» بكل ما يملك من جهد . لقد كتب الى نيكيتنكو فى ١٠

* كاتب وفيلسوف وناقد وصحفى - الفاضل .

* امرأة متقربة من الامبراطورة مدبنة غوسول .
الناهى .

نيسان : أن القصيدة ، بدونها ، «استصواب بنق لا يمكن ترقية بشىء» وهذه القطعة ضرورية ليس لربط الاحداث ، بل لجذب اهتمام القارئ وتنويعه بانطباع تلو الطباع . . . ويقرر غوغول الرواية ، منزلا رتبة الشخصيات ، اذا صح القول : كبير القوم ، الجنرال ، يصير مجرد «وليس» وليس من يبين زواره جنرالات . ويبلغ غوغول صديقه بلينتوف فى ١٠ نيسان «اننى حذفت كل الجنرالات . بل حذفت حتى اسم «كورنيس القصر» تحاشيا لان يتبادر الى ذهن قمر الثناء الموجود فى هذا الكورنيس مع قصور كبار الموظفين البارزين . كما حذفت من خلق كوبيكين صفات من مثل التزمت وشدة الحساسية ويوافق غوغول حتى على تغيير اسم البطل («اذا كان اسم كوبيكين يضايقهم فانا مستعد الى تسميته «بيالكين» وما شاءوا» يكتب الى نيقولاى بروكوبوفيتش . فى ١٥ نيسان خائفا ، كما يبدو ، من ان يتبادر الى ذهن الشقى كوبيكين الذى كان اسمه شائعا فى الفلوكور الشعبى فى ذلك الحين . ولكن لم تظهر حاجة الى ذلك فى هذا الخصوص . فقد سمح بنشر الصيغة المعدلة من الرواية (النص المنشور فى الطبعات الحديثة ، بما فى ذلك الطبعة الحالية ، قبل خضوعه للرقابة) كما عدلت الرقابة اسم القصيدة : اذ كتب نيكيتنكو بالعيسى الاسم العتوان الجديد : «مغامرة تشيتشيكوف او . . .» فوق عنوان الكتاب القديم «الانفس الميتة» (والقصيدة فى الطبعات المعاصرة تصدر تحت الاسم الاول) .

وبينما كان الكتاب يطبع رسم غوغول نفسه غلافاً له . وهذا الغلاف مهم كمثل للتصميم الفروتسكى بشكل واضح ، والذي يجمع فى تأليف عجيبة مواضع الحياة اليومية ، وصور الناس والحيوانات ، مع عدد كبير من الجوامع الانسانية مما يناسب ، من جهة ، المحتوى الفروتسكى نفسه ، وقد قاد ، من جهة اخرى ، الى التقاليد القديمة فى الزخرفة الفروتسكية العاطفية بجمعها الفريد لتفاصيل الطبيعة الجامدة ، والعالم النباتي والحيواني والانسانى .

وصدر الكتاب فى أواخر آيار . وتركز اهتمام الراى العام كله على عمل غوغول الجديد هذا ، وقد اثارته من قبل قراءات فصول منفصلة منه (ابتداء من صيف ١٨٣٧ ، على اقل تقدير ، قام غوغول لعدة مرات بقراءة مقاطع من القصيدة فى بيوت مختلفة) وحمسته الشائعات عن تعقيدات الرقابة . ويذكر ييلينسكى : «كل الاهتمام الادبى ، وكل الاسئلة الصحفية مركزة الآن على غوغول» .

ومن بين التقييمات الاولى لهذه القصيدة احد المدونات من يوميات الكاتب الكسندر غيرتسين الذى صار فيما بعد ثورياً وشخصية اجتماعية ، مؤرخة فى ١١ حزيران : «الانفس الميتة» لغوغول كتاب مدهش ، تقرير مريض لروسيا الحالية ، ولكن لا يخلو من أمل» .

بقلم يورى مان

ترجمة غائب طعمة فرمان

مع حياني : علي مولا